

مركز الدراسات والبحوث اليمني

في
العربية
السعيدة

دراسات تاريخية قصيرة

٢

دكتور محمد عبد القادر بافقيه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في
العربية
السعيدة

دراسات تاريخية قصصية

في العربية السعيدة

دراسات تاريخية قصيرة

٢

دكتور محمد عبد القادر بافقيه

مركز الدراسات والبحوث اليمني

الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

حقوق الطبع محفوظة

مركز الدراسات والبحوث اليمني

الجمهورية اليمنية - صنعاء - شارع الزبيري - ص.ب ١١٢٨

هاتف ٢٠٠٤٨٥ - ٢٠٠٤٧٠ - برقية : يمنات

تنفيذ

دار الفكر المعاصر

لبنان - بيروت

تصميم الغلاف والخطوط
جمال بوسنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِ فِي أَمْرِیْ
مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْا 
قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيْدٍ
وَالْأَمْرُ إِلَیْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِيْنَ  قَالَتْ
إِنَّ الْمُلُوْكَ إِذَا دَخَلُوْا قَرْیَةً أَفْسَدُوْهَا
وَجَعَلُوْا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذٰلِكَ یَفْعَلُوْنَ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيْمُ

سورة النمل الايات ٢٢ - ٣٤

الإهداء

العربية السعيدة

اسم أطلقه الكتاب الكلاسيكيون الأجانب ، ضمن تقسيم ثلاثي
عندهم ، على جزء مما يسميه جغرافيونا : (جزيرة العرب) وهم
يقصدون به هذه الأرض التي دارت فوقها الأحداث التاريخية التي
تتناولها هذه الدراسات القصيرة .

وإني .. إذ أهدي هذا الجزء من سلسلة (في العربية السعيدة)
إلى الأعزاء :

فاتن وشيخ وسالي وعلوي وأحمد ، لأتوجه إلى العلي القدير أن
يجعل (العربية) لهم وللداتهم وبهم جميعاً ، (سعيدة) حقاً .

محمد

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من مجموعة (في العربية السعيدة) ، كتبت دراساته في الفترة ما بين عام ١٩٨٣ وعام ١٩٨٨ ، وفيها من التداخل والتكرار ماسبق أن أشرنا إلى مثله في مقدمة الجزء الأول وعزونا إلى « مقتضيات النشر في مظان متفرقة في أوقات مختلفة » ، و « الحاجة إلى أن تكون كل مقالة وحدة مستقلة بذاتها قدر الإمكان » .

وفيها إلى جانب ما تقدم عودة إلى كثير من القضايا التي عولجت من قبل ، وهو أمر تحته طبيعة هذا النوع من الدراسات التاريخية القائمة أساساً على معطيات النقوش ، وذلك لأن كل إضافة جديدة إلى المادة النقشية تقتضي مراجعة ما يتصل بها من أحكام سابقة بعد عرضها ، إذا تيسر العرض^(١) ، على المصادر التراثية من أنساب وأخبار ، وذلك لأنه « لا يمكن تنكب طريق الأنساب والأخبار وإسقاطها من الحساب عند تناول التاريخ العربي القديم فهي تضم في ثناياها الكثير من الحقائق وإن جاءت مشوهة بالحذف والإضافة والتقديم والتأخير ، شأنها شأن كل خبر قديم تتقاذفه الألسن وتلعب

(١) إن عالماً فسيحاً يمكن أن يفتح أمام المؤرخين لو أنه تيسر كشف أهميات التراث العربي ، أي فهرستها فهرسة تفصيلية ، تجعل من اليسير الاستفادة مما هو متناثر في ثناياها من أخبار وفوائد تأتي أغلب الأحيان استطراداً نتيجة لأسلوب الكتابة العربية القديمة .

به الأهواء من وعي وغير وعي «^(٢) - كل ذلك بهدف التثبت من تلك الأحكام فتبثيتها أو تعديلها^(٣) .

على أن دراسات هذا الجزء تتميز أيضاً بأنها ، تدور ، في غالبيتها ، حول ملامح الدولة في اليمن وما طرأ عليها وعلى نظام الحكم فيها عبر القرون قبل الإسلام من تغييرات . وإذا كانت حصيلتنا من النقوش لا تشجع الباحث المتأني وغير المعتسف للأمور على محاولة رسم لوحة تنبض بالحياة للعلاقات الاجتماعية فإن ما تحفل به تلك الحصيلة من معطيات عن (نظام القبالة) يعدّ مدخلاً لفهم المجتمع اليمني القديم .

هذا وقد تبدو (عودة إلى نقوش العقلة) مختلفة بعض الشيء عن غيرها من الموضوعات فهي محصورة في أوضاع مملكة حضرموت القديمة في القرن الثالث الميلادي .

ولكن لن يفوت القارئ أن يلاحظ أنها في السياق الذي جاءت فيه بين الدراسات الأخرى في الكتاب تأتي ممهدة للدراسات التي تليها والتي تتصل كلها بالقرون اللاحقة التي شهدت قيام وسقوط دولة

(٢) من مقال « الأنساب والسير اليمنية : عناصرها ومصادرها » هنا .

(٣) انظر على سبيل المثال « الرحبة وصنعاء في استراتيجية بناء الدولة السئية » ، و « بحلف سبأ وحمير وحضرموت » هنا وتداعيات النقش (الإرياني ٩٠) التي ذكرناها في المقال .

التبابعة التي اكتسب ملوكها صفة (التباعة) نتيجة لامتداد نفوذهم إلى حضرموت بالذات ^(٤) .

وبعد فإننا في دراستنا التاريخية منذ عام ١٩٨٣ إنما نستند في ترتيب الأحداث والمراحل إلى ما توصلنا نحن إليه من كرونولوجيا نسبية لفترة ملوك سبأ وذي ريدان ^(٥) ، وهي الموضحة في الجدول الملحق بهذه المقدمة بعد تعديل طفيف لبعض أجزائها في ضوء ما استجد من مؤشرات خلال الأعوام الأخيرة .

والله نسأل أن يهديننا سواء السبيل

صنعاء في ٢٤ شعبان ١٤٠٨ هـ
و ١١ نيسان (إبريل) ١٩٨٨ م
م.ع.ب

(٤) انظر « مجلف سبأ وحير وحضرموت » هنا .

(٥) بافقيه BAFAQIH

Le Yemen à la période des rois de Sabà et de dü Raydän, thèse de doctorat d'Etat es lettres et Sciences humaines (Histoire), Université de Paris Sorbonne-ParisIV, (en polycopie), 1983 part I, ChIVIII et tableau I.

صدر أخيراً بعنوان :

L'Unification du Yemen Antique (Bibliothèque de Raydän, Vol.1)
Paris, 1990

الحارث الرائش

ونسبه المختلف فيه

الاختلاف حول قضايا النسب عند العرب ، بغض النظر عن الأسس التي أقيمت عليها تلك الأنساب ، أمر معهود ، ويعود أحياناً إلى تجاذب بعض الكتل أو الأحلاف القبلية كتلة أو قبيلة معينة فيما بينها . ولعل أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث في صدر الدولة الأموية من تنازع بين النزاريين والقحطانيين لقضاة التي كانت في ذاتها كتلة كبيرة عاتمة واسعة الانتشار ، والتي كان انضمامها إلى أي من الكتلتين المتنازعتين يُعدُّ ترجيحاً لها^(١) .

(١) يعالج جواد علي (المفصل ٤١٩/٤) الخلاف حول نسب قضاة « ولا سيما في أيام معاوية وابنه يزيد اللذين بذلا أموالاً جسيمة لرؤساء قضاة في سبيل حملهم على الانتفاء من اليمن والانتساب إلى معد لكونها قوة كبيرة في بلاد الشام في ذلك العهد ، ولا سيما أن منهم بني كلب » . ويقول : « وذكر ابن الأثير في الأنساب هذا الاختلاف ، ثم قال : ولهذا قال محمد بن سلام البصري النسابة لما سئل : أنزار أكثر أم اليمن ؟ فقال : إن تعددت قضاة ، فنزار أكثر ، وإن تبنت ، فالين » . ويضيف : « وقد صرح بعض النسابيين المعروفين أن العرب ثلاث جذائيم : نزار والين وقضاة ، فجعل قضاة جذماً قائماً بذاته مما يشير إلى أهميتها قبل الإسلام وفي الإسلام » .

على أن الاختلاف حول نسب الحارث الرئس ، أحد أشهر الملوك الحميريين عند الإخباريين ، وهل هو من ولد الصوار أم هو من ولد حمير الأصغر (انظر الجدول المقارن) ، يبدو في ظاهره نزاعاً حول نسب شخص واحد ، من جهة ، ونزاعاً قحطانياً أو قُل حميرياً صرفاً ، من جهة أخرى .

وإذا رجعنا إلى أخبار عبيد بن شرية وكتاب التيجان المنسوب إلى وهب بن منبه فإننا نجد أن الاضطراب في نسب الرئس قديم . كما نلمس ، في نفس الوقت أن هناك ربطاً بين الرئس وبداية اهتمام الين (حمير) بالهند ، وهو العنصر الثابت في كل الأخبار المتعلقة بالرئس بغض النظر عن قضية النسب .

يقول عبيد (أخبار ٤١٤) : « فلم تزل حمير كذلك لا يعدون الين حتى صار الملك إلى الحارث بن ذي شدد بن عمرو بن الملطاط بن عمرو بن قطن بن زهير بن عريب بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ - فكان الحارث أول من غزا وأصاب الأموال وأدخل الين الغنائم ثم خيرها فسمي بعد ذلك الرئس » . و « أنه لما كان يؤتى للحارث وهو الرئس في بلاده من قبل السند والهند في السفينة من المسك والعنبر وغير ذلك من الأعاجيب من ياقوتها وغيره فتطلعت نفسه إلى غزوها فعبى الجنود .. » .

أما وهب بن منبه (التيجان : ٨٨) فيقول : « وولي أمر الملك بعد الهمال بن عاد ابنه الحارث بن الهمال وهو الرئاش الأصغر ، والرئاش الأكبر عمه لقمان بن عاد ، وهو الحارث ذو مرثد بن الهمال ذي شدد بن عاد بن ذي مناح (لعله مناخ) . وكانت تأتي هدايا الهند إلى التبابعة من أصناف الطيب والمسك والعنبر والكافور وحب البان والينجوج والزعفران وغير ذلك من أنواع الطيب ومرافق أرض الهند والفلفل والهليج وغيره ، ويأتي الجوهر والعقيق والذن (هكذا ، ولعله الدر) . فلما أتت الهدية إلى الرئاش الحارث ذي مرثد - وذو مرثد في لغة حمير ذو أيادي وذو مرثد ذويد - قال وهب : فلما أتت الهدية من قبل الهند إلى ذي مرثد ورأى ما رأى من عجائب الهند تطلعت نفسه إلى غزوها فعمى الجنود .. » .

ويتضح هنا أن المصدرين يتفقان في فكرة السلع المجلوبة أو الهدايا التي أثارت شهية الرئاش وغزو الهند والعودة منها بالغنائم .



ويأتي الحديث عن الرئاش عند الهمداني (ت . ح ٣٥٠ هـ) ضمن أنساب حمير من ولد الهميسع في الجزء الثاني من الإكليل المخصص لذلك . ومعلوم أن الهمداني ، عندما يتعلق الأمر بأنساب الهميسع فإن مرجعه هو أبو نصر اليهري ما لم يصرح بخلاف ذلك (انظر مثلاً الإكليل ١/ ٨٩) .

ونلس عند الهمداني ، وربما لأول مرة ، أن هناك من يجعل
الرائش من ولد حمير الأصغر ، فهو يقول (الإكليل ٥٢/٢) عند
حديثه عن والد الحارث الرائش : « فأولد الملطاط بن عمرو إلي
شدد بن الملطاط ، وقد يخففه بعض العرب فيقولون يشدد مثل
اليحمد ، ويحذفون فيقولون يشدد مثل يعمر ، ويبدلون الياء
فيقولون شداد ، ويحذفون فيقولون شدد وذلك يلتبس بسدد بن
زرعة بن سبأ الأصغر وهو بالسين والعالي من هذا إلي شدد . فأولد
إلي شدد بن الملطاط : الحارث وهو الرائش بن إلي شدد ، وإنما سمي
الرائش لأنه راش الناس بالغنائم . وقد يقال ذو رياش ، ومن يقول
ذلك ينشد بيت امرئ القيس :

أزال من المصانع ذا رياش وقد ملك الحزونة والرمال
« وربما قيل ريشان في اضطرار شاعر ، وسنذكر خبره في السيرة
إن شاء الله » .

ويعود الهمداني ثانية إلى الموضوع (الإكليل ١١٠/٢-١١١) عند
الحديث عن صيفي بن زرعة ليقول : « ومن هذا الموضع غلط من
غلط من العلماء ، قال : « أسعد أبو كرب بن ملكي كرب بن زيد تبع
الرائد بن عمرو تبع الأصغر ذو الأذعار بن ذي المنار بن الرائش بن
قيس بن صيفي ، وإنما هو أسعد تبع بن ملكي كرب بن تبع الأكبر

وهو الرائد بن تبع الأقرن بن شمر يرعش بن افريقس ذي المنار بن الحارث الرائش بن إلي شدد » .

وكان الهمداني قد أشار إلى ذلك من قبل (الإلكيل ٢٠٠/١) حين قال : ... فأولد مالك بن صيفي الحارث بن مالك ، وفيه يغلط الناس ويظنونونه الحارث الرائش بن إل شدد (لعله إلي شدد) : أبرهة ذو المنار بن الحارث الرائش بن قيس بن صيفي بن زرعة بن سبأ الأصغر بن كعب فيدخلون بني الصوار بن عبد شمس في بني جشم بن عبد شمس . وكذلك يهيمون من « جهة الرائد بن همال » . (قارن بكلام وهب بن منبه أعلاه) .

من ناحية أخرى جاء ، في شرح قصيدة الهمداني الدامغة (ص ٥٣٣) تعليقاً على البيت (٥٣٧) : « والرئاشان : الحارث بن شداد [هكذا] وهو ابن الشدد [هكذا] بن الملطاط بن عمرو بن ذي أبين بن قدم [هكذا] بن الصوار بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ومن وجه آخر [هكذا] الحارث بن قيس بن صيفي بن زرعة ، وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير ،

وهو أصح النسبين [هكذا] ، وياسر ينعم بن يعفر بن عمرو [أي أنه الرأش الثاني] ، وهما اللذان راشا الناس وأنما بالغنائم .. » .

ونحن إذا قبلنا أن يورد الهمداني أو ابنه الذي يعزى إليه تفسير الدامغة^(٢) ، الوجه الآخر في نسب الرأش فإنه من الصعب تقبل ترجيحه ذلك الوجه الآخر بهذه الطريقة ودون مناقشة أو توضيح . وإذا لاحظنا أن محمد بن نشوان قد تدخل في المتن بصدد نسب خولان العالية (الإكليل ٢٨٠/١) ، بطريقة أحدثت فيه اضطراباً وبصورة تتعارض مع ما هو معروف من رأي الهمداني في الموضوع (الإكليل

(٢) خصص الأكوخ ، محقق الدامغة ، فقرة في المقدمة (الدامغة ٧٥) بعنوان : « هل تفسير قصيدة الدامغة للهمداني أو لابنه ؟ » . ناقش فيها القولين الشائعين وأحدها أورده « الوزير القفطي في أنبائه في ترجمة الهمداني ج ١ ، حيث قال : وله كتاب القصيدة الدامغة النونية على معد والفرس ، وهي قصيدة طويلة ، وقد شرحها ولده » . وهو القول الذي أشار إليه نشوان (منتخبات : مادة ريش) وعقب عليه بقوله : « وقيل إنه الذي فسر قصيدته لولده ونسب تفسيرها إليه والله تعالى أعلم بذلك » . ورجح الأكوخ أن تفسير الدامغة للهمداني لابنه محمد لعدة أمور « منها النقطة (٢) التي جاء فيها « أنه قال في المقدمة (أي المفسر) : « شيخي الحسن بن أحمد رحمه الله » مما يوهم أنها ليست لابنه إنما هي لتلميذ آخر ولو كانت لابنه لألحق كلمة والدنا « ليشعر بالاعتزاز والفخر » إلخ .. ومع أننا نحجم عن محاولة القطع برأي حول شارح القصيدة فإننا نودُّ القول بأن عبارة شيخي قد استخدمها امرؤ القيس متحدثاً عن أبيه وذلك في قوله :

« والله لا يذهب شيخي باطلاً »

٣/١٠) ، وتناشئ مع رأي أييه . نشوان (منتخبات : مادة علو) .
وإن كاتباً آخر (لعله محمد بن نشوان نفسه) ، تدخل بالتعليق في
صلب الإكليل (١١١/٢) ، فإن ذلك ، مع الاضطراب حول مفسر
الدامغة ، يجعل هذه العبارة في تفسير الدامغة حول نسب الرئاش
موضع شك كبير . ونرى من المحتمل أن يكون المفسر قد اكتفى بإيراد
الوجه الآخر بينما أضاف شخص آخر : « وهو أصح النسبين : » . وعلى
العموم فلدينا في الإكليل الثامن أمثلة من إيراد وجهات نظر حول
الرئاش وغيره لا تتفق مع خط الهمداني الثابت ، منها ما جاء في
الصفحة ٢١٩ : « وصية الحارث الرئاش بن أنس ذي مرثد من ولد
[لعله : ولده] التبابعة » .

وبعد قرنين من وفاة الهمداني عبر نشوان بن سعيد الحميري
(ت ٥٧٣ هـ) عن رأيه في نسب الرئاش (منتخبات : مادة ريش)
فقال : « الحارث الرئاش ملك من ملوك حمير ، سمي بذلك لأنه راش
أهل اليمن بالأموال والغنائم . وكان يسمى ملك الأملاك ولا يملك
الأملاك إلا الله عز وجل » . وهو الحارث الرئاش بن شدد^(٣) بن
قيس بن صيفي بن حمير الأصغر ، هذا نسبه الصحيح ، ومن ولده
التبابعة . وقد نسبه الهمداني في الإكليل إلى ولد الصوار فقال هو

(٣) شدد بن قيس يوجد عند نشوان وربما ابنه (انظر الإكليل ١١١/٢) . أما الهمداني
(الإكليل ٢٠٠/١) وشارح الدامغة (ص ٥٣٣) فلا يذكرانه .

« الحارث بن أبي شدد [لعله إلي شدد] بن الملطاط بن عمرو بن
ذي أئين بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس . قال الهمداني :
« وقد قال بعض العلماء إنه من ولد قيس بن صيفي » . وقد خالفه
ولده محمد بن الحسن بن أحمد في تفسير قصيدة أبيه الدامغة فقال :

« والصحيح المعمول عليه في نسب الرئاش أنه من ولد قيس بن
صيفي بن حمير الأصغر [قارن بأعلاه] .

وقيل إنه الذي فسّر قصيدته ونسب تفسيرها إليه . والله تعالى
أعلم . وقد قال مصنف الكتاب في ذلك رحمه الله تعالى [هكذا] :

- | | |
|----------------------------|---------------------------|
| ١- تتابع الأملاك من حمير | عدتهم سبعون لا تقصّر |
| ٢- من ولد الرئاش جمهورهم | من حمير الأصغر ما حمير |
| ٣- يأياها السائل عن تبع | وتبع كالشمس بل أشهر |
| ٤- من ولد الصوار صيرته | والله في تصييره أبصر |
| ٥- فاسمع لقول غير ما قلته | يحفظه السائل والخبر |
| ٦- قيس بن صيفي أبو تبع | وجده حمير الأصغر |
| ٧- خير بني هود نبي الهدى | حيث انتهى السؤدد والمفخر |
| ٨- حيث استقر الملك من حمير | في بيته والعدد أكثر |
| ٩- هم وبنو الصوار من دوحة | قد طاب منها الفرع والعنصر |
| ١٠- قد أثرت أغصانها بالندى | ليست بشيء غيره تثر |

١١- والكل منهم جوهر واحد لم يتفاضل ذلك الجوهر

١٢- لكن قول الحق مستحسن والقول بالباطل مستنكر

١٣- وقال ذو العرش لأبائهم في وحيه ادعوه ولا تكفروا

وفي قصيدته التي سنشير إليها هنا بالقصيدة الحميرية (ص ٥٤)

يقول نشوان :

والملك بعدهم إلى شدد عصف الزمان به كعاصف الأرياح

وقد علق الشارح ^(٤) على البيت بعد أن أورد وصية الملطاط إلى

ابنه شدد بقوله : « وذكروا أن شدد بن الملطاط امتثل ما عهد إليه

أبوه فسعد به من قاربه ، وحظي به من لم ينأ عنه . ولم يكن له ولد

غير ابنين : الحارث الرأش [هكذا] ووتار ، فأسند إليه الملك

وأشهره به . كما قال (القصيدة الحميرية ص ٥٦) : « فلما توفي شدد

قام بعده ابنه وتار ، وكان ولي عهده . ولكنه يقرر أنه « لم تطل

مدة وتار ، ولا ثبت قدمه في الملك حتى نازعه عمومته بنو الصوار في

الأمر وقالوا : نحن أقعد ، وإنما هو ملك أينا ، ولن نتخاطى به إلى

الأولاد دون الآباء . فشح في ذلك وشحوا ، وتداعوا إلى الحرب . ولما

رأت ذلك وجوه حمير خافت الفرقة وحاذروا القطيعة ، فأرأوا خلع

(٤) كما حامت الشكوك حول مفسر الدامغة فإن الشكوك تلقي بظلمها أيضاً على شارح

القصيدة الحميرية (انظر المقدمة صفحة و) .

وتار وإخراج عمومته من الملك وقتلوا حبل الملك في يد بتع بن زيد صاحب السد سد بتع . فملك بتع بن زيد وحسنت سيرته ورضي بذلك بنو الصوار وقربهم جميعاً وأدناهم وأثرهم ، فكان له الاسم ولهم الجسم » . ويمضي الشارح في سرد العهود التي جاءت بعد عهد بتع (القصيدة الحميرية ٥٧ - ٦٠) : علهان ونهفان وشهران وتالب ريم .. إلى أن « ملك من بعده حاشد ذو مرع ، فأحسن السيرة غير طويل ، ثم جمع حمير وكهلان فقال : « أيها الناس إن لكل قوم دولة ، ولكل دولة مدة ، كما لكل حامله تمام ، ولكل مرضعة فطام ، وقد حان منا انقطاع أمد ، لظهور الحارث بن شدد ، وأنه لنا لولد ، وقد جاء في الخبر أنه الملك المنتظر ، والعلم المشتهر ، وأني قد رأيت أن أنزل نفسي منه منزلة القيالة خشية إن أنزلها منه » .

« فلم يزل على ذلك حتى قام الحارث الرائش فاستخلصه ، واعتضد به » . في هذه العبارات الموجزة المركزة يقدم لنا الشارح ، دون إسناد للأسف ، وصفاً لوضع يذكرون بما حدث في التاريخ بعد وتار بن إلي شرح يحضب (ملك سبأ وذو ريدان) ، الذي حدث بعد عهده حروب اتسعت رقعتها وأصبحت شاملة 6C315 وتمخضت آخر الأمر عن قيام ما يمكن تسميته بالفترة التبعية - الهمدانية في سبأ . هكذا إذن يجعل شارح القصيدة عهد الحارث الرائش بعد الفترة

التبعية - الهمدانية ، وهو ما لا يتعارض إجمالاً مع ما ذهب إليه
الهمداني نفسه والذي يقول في الإكليل (١٠/١١ - ١٢) :

« فأولد عمرو بن همدان زيداً فأولد زيد تبعاً للملك وإليه
ينسب سد بتع بالحشب مما يصالي حاز من حدود حمير . وهو قريب
إلي شرح يحضب بن الصوار بن عبد شمس . ولم يزل الملك في عقبه إلى
قيام الرأش على ما يذكر علماء همدان » .



وحق هنا ورغم العاطفة القوية التي تملكت نشوان وهو يعارض
في أبياته من صير الرأش من ولد الصوار فإن الأمر لم يخرج عن كونه
خلافاً حول النسب . وإذا كانت بعض تلك الأبيات تم عن حدة
وضيق كالبيت رقم ١٢ الذي يقول فيه : « والقول بالباطل
مستنكر » ، فإن هذا قد يجوز قبوله في إطار النقد المباح .

ولكن معارضة الهمداني - على ما يظهر - لم تتوقف عند ذلك
النوع من الرد ، وإنما تعدته في بعض الأحيان إلى حد التجريح .
ففي مخطوطة جديدة تضم قصيدة نشوان مع الشرح هي في حوزة
الأستاذ علي عقيل مدير عام المركز اليمني للأبحاث والآثار بالوكالة ،
والذي ندين له بفضل اطلائنا عليها ، تقرأ في الصفحة ٢٥ ابتداء من
السطر ١٤ إلى آخرها :

« هذا الملك هو الحارث الرئش بن سدد [هكذا] بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر هذا نسبه المحتج به ، من ولد [لعله : ولده] التبابعة . وقد نسبه الهمداني في الإكليل إلى ولد الصوار ، فقال هو الحارث الرئش بن سدد [هكذا] بن الملطاظ [هكذا] بن عمرو بن ذي أنس [هكذا] بن ذي يقدم بن الصوار بن عبد شمس . وقد قال بعض العلماء إن الرئش من ولد قيس بن صيفي [هكذا] .

وعلى الصفحة التالية رقم ٢٦ نجد :

« وقد قيل إن ملوك ولد الصوار أهل سور المسار [هكذا] أعطوه على النسب ألف دينار ليكون التبابعة منهم . وقد خالفه ولده محمد بن الحسين [هكذا] بن أحمد الهمداني في تفسير قصيدة أبيه المعروفة بالدامغة : والصحيح المعول عليه من نسب الرئش أنه من ولد قيس بن صيفي بن حمير الأصغر . وقيل إنه فسّر قصيدته ونسب تفسيرها إلى ولده والله أعلم بذلك . فقال : ثم أورد أبيات نشوان المذكورة آنفاً مع اختلافات طفيفة هنا وهناك . ولكن أيضاً مع إضافة بيت بعد البيت الثالث يقول :

تحرب في أعلى ملوك الورى فلا هناك الربح والمتجر

وقد لاحظ الأستاذ محمد بن عقيل بن عبد الله بن يحيى ، العلامة المعروف المتوفى عام ١٣٥٠ هـ ، ومقتني المخطوطة عام ١٢٩٦ بسوربايا

بجاوا ، كما خط بيده على ظهرها ، « أن فيها خرمأ ما بين الصفحة ٢٤ والصفحة ٢٥ لم يتنبه له قبل وضع العدد ولعله غير كثير » .

وتبدأ الصفحة ٢٤ بعبارة : « ذو أنس قام ابنه عمرو مقامه في الملك ثم أسند الأمر » . وهذا قريب مما جاء في الطبعة العربية من القصيدة المخيرية صفحة ٥١ . ولكن الصفحة ٢٤ من المخطوطة تنتهي بالبيت :

وعض زمان يابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف
وهو البيت الذي يرد في المطبوعة على الصفحة ٤٩

وفي أسفل الصفحة ٢٤ من المخطوطة في الزاوية نجد كلمة « ووازره » إشارة إلى الكلمة التي تبدأ بها الصفحة المفقودة . وهذه قد تشير إلى من وازر الملطاط بن عمرو كما في الصفحة ٥٢ من المطبوعة .

وكل هذا قد يعني أن الصفحة ٢٤ من المخطوطة تقابل من ناحية العهود الواردة فيها ما جاء بين آخر الصفحة ٤٩ وأول الصفحة ٥٢ من المطبوعة . وهو ما يكفي للدلالة على اختلاف الشرح والشارح بين النسختين .

أما الصفحة ٢٥ من المخطوطة فتبدأ بالبيت :

الناس كالوحش إن داريتهم شرعوا وإن دنيت لهم عافوا وما وردوا

وهو نفس البيت المنشور في الصفحة ٥٥ من المطبوعة ، ويلى ذلك في السطرين ٤ - ٥ من الصفحة ٢٥ من المخطوط عبارة :

« فلما توفي سدد تداول الملك جماعة من حمير حتى انتهى إلى الحارث الرأش » . ويعقب ذلك ابتداء من السطر السادس أبيات القصيدة الحميرية المتعلقة بـ « الحارث الملك المسمى رأشاً » .

ولما أن وفاة سدد (في المخطوطة سدد) ترد على الصفحة ٥٦ من المطبوعة والأبيات التي تتحدث عن الرأش تحيىء في الصفحة ٦١ ويتخلل ذلك وصف الفترة البتعية - الهمدانية كما تقدم فإن شارح المخطوطة كما هو واضح قد أوجز كل ذلك في السطرين المذكورين . وكل هذا إنما يؤكد أن الحرم الصغير وأن الشرح في المخطوطة مختلف ولعله مختصر من الشرح الأصلي مع حذف وإضافة ، منها إضافة تلك التهمة الغريبة .

أما من هم « ملوك ولد الصوار أهل سور المسار » فأمر محير خاصة وأن (سور المسار) لاتعني في مانعلم شيئاً ، ولكنها أغلب الظن تصحيف (مسور المنتاب) . وإذا صح ذلك فيكون المقصودون هم بني المنتاب الذين لم يسترسل الهمداني ، في ما وصل إلينا من أعماله ، في الحديث عنهم^(٥) بعكس الحال مع السخطين الذين وصفهم

(٥) يذكر الهمداني بني المنتاب في شعر له (الإكليل ٢٧/٨) ولكن نسبهم يأتي تحت =

(الإكليل ٢٤/٢) بأنهم : « اليوم على قلتهم بقية بيت المملكة وناصية بني الصوار ، ومن لا يقدر أحد من حمير يقول : إنه أشرف منهم ، وهم أكرم حمير رجالهم ونساؤهم منهم أبو الهيثام صاحب منكث في عصرنا .. » .

= نسب علاق بن عمرو بن ذي أبين (الإكليل ٧٤/٢ - ٨٣) . وللاكوع ملاحظة لطيفة في الهامش رقم ٢ على الصفحة ٧٧ تعليقاً على قول الهمداني : « حدثني إبراهيم بن عبد الحميد بن محمد بن الحجاج بن شوال المسوري » الذي يقول عنه الأكوع إنه « اشتهر في التاريخ بإبراهيم بن عبد الحميد اللتتاب السباعي ، وما أدري كيف لم يشد المؤلف بذكرة وبنوه به كزعم ، والحال أنه خالطه وناداه وأقام بمسور دار إمارة إبراهيم بن عبد الحميد . وأعتقد أنه حذف من الإكليل ، بدليل ما اطلعت عليه في مشجرة آل الجيوري المزبور في القرن التاسع الهجري ، وهو بخط نسخ جميل . وأكمل نسب إبراهيم بن عبد الحميد هذا ، فقال : ابن شوال بن شرحبيل بن زيد بن نوف بن زاد(؟) بن عبد الحميد بن ريب بن فائش بن مسور إلخ . وفي المشجرة المذكورة ما لفظه : قال صاحب الإكليل « وبنو عبد الحميد السباعي في وقت ما كتبت نسبهم ثلاث مئة رجل عبيدهم مثلهم ، وهم كرماء وعلماء فصحاء شعراء ما منهم إلا من يقول الشعر لفصاحتهم [ثم عدد أولاده] وهذه الزيادة موجودة أيضاً في النسخة المنقطعة » . وآل المنتاب اليوم كثيرون ، منهم من ذكرنا ، إلا أن الغالب عليهم في مسور البدوة والجهل ، وبنو الجيوري نسبة إلى جيور ، بلدة من مسور لا يسكنها إلا بنو المنتاب . ومنهم بيت بمدينة إب وبيت بصنعا .

إن حذف ما أورده الأكوع من الإكليل ليس إلا لغزاً يضاف إلى ألفاظ النسخ وما تتعرض له المخطوطات من حذف وإضافة يعقدان الدراسة . (راجع أيضاً ما جاء عن المنتاب في الإكليل الثامن مما يبدو متضارباً ومتعارضاً مع رأي الهمداني نفسه (ص ٢٠٠) .

وقد يكون إعجاب الهمداني هذا بالسخطيين ، واستشهاده ببعض رجالهم في قضايا النسب (الإلكيل ٦٣/٢) ، والذهاب إلى حد تغليب رأيهم على رأي أستاذه أبي نصر ، مصدر ضيق للبعض . ولكن الأمر بالنسبة لنشوان يبدو مختلفاً بعض الشيء ، فهو بدوره يعتبر (منتخبات : مادة سخط) بني « سخط من أشرف حمير من ولد سخط بن زرعة بن الحارث بن ذي نواس بن زرعة بن حسان بن أسعد الكامل وهم السخطيون ولهم في الين فضائل لا يبلغها أحد » . ولا يشير إلى الهمداني بشيء في هذه المناسبة على الرغم من أنه في حقيقة الأمر مع إشاراتهم إنما ينسبهم من خلال أسعد الكامل إلى حمير الأصغر كما في مذهبه في النسب . وأما بنو المنتاب فهم عند نشوان (منتخبات : مادة نوب) « من أشرف حمير يسمى بذلك [أي المنتاب] لأنه كان ينتاب ويقصد إليه في الأمور ، وهو المنتاب بن زيد بن علاق بن عمرو بن ذي أئين ، وفيهم يقول مصنف الكتاب : « شرف الله خلقه ببني المنتاب أبناء شمر ذي الجناح » .

ولما أن ذا أئين من ولد الصوار عند الكاتبين فإنهم عند نشوان وكذلك على الرغم من أنه لم يصرح به .

وهكذا فإنه من المحتمل جداً أن « ملوك ولد الصوار أهل سور المسار » إنما هم بنو المنتاب أهل مسور المنتاب . ومع ذلك فإنه من

المستبعد أن يكون لآل نشوان يد في تلك التهمة البشعة التي ربما أدخلها شارح متأخر . نقول هذا لأنه كائناً من كان الشارح الأصلي للقصيدة الحميرية فهذا هو محمد بن نشوان يركز في تقديمه للإكليل (٨٠/١) على ورع الهمداني وأمانته وعلمه فيقول :

« سألت ، أكرمك الله بأنواع كرامته وأعاذك من صرعة الباطل وندامته ، أن أوضح شيئاً من أنساب بما طلبت ، مؤتماً بما ذكره الشيخ الفاضل المؤتمن لسان الين وفائق من كان فيه من الزمن [؟] الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني رحمه الله ، مما صححه من عمله الجليل ، وحققه في كتابه المعروف بالإكليل . وكان رحمه الله بمنزلة في العلم والفضل ، ومعرفة بالفرع والأصل لا ينكرها إلا جاهل متعاط ماليس له بأهل ، فتصنيفه في سائر مصنفاته ، كتاب الأيام ونحوه ، يدل على غزير علم وقوة فهم وشدة فحص على أخبار العرب والعجم . وتصنيفه في كتاب جزيرة العرب كذلك ، ونحو كتاب المسالك والممالك ، دليل علمه الجم بأخبار العرب والعجم ، وإحاطته بأنساب الكافة وأخبارها ، ومعرفة أوطانها وديارها ، ومسافة طرقها ، ومسائل أوديتها وأنهارها . وتصنيفه في علم الطب والنجوم شاهد له في العلم بالحظ العظيم ، الذي فاق به علماء الطب والنجوم وبرز فيه على علماء الكفار والمسلمين - مع ما كان فيه من شدة الورع والفضل المشهور في عصره لا يتأري أحد في أمره » .

إن الهمداني حين تبنى الاتجاه القائل بانحدار الرأئس من الصوار لم يكن أول من فعل ذلك ولا آخر من فعله (انظر أدناه) فهو يستند فيه إلى شيخه أبي نصر . كما أن ذلك نسب معروف قال به أو بما يقرب منه عبيد بن شريه . على أن ذلك المذهب ربما كان أقرب المذاهب إلى قلب الهمداني وعقله ، فإننا نرى في نسب همدان (الإكليل ١٠/١٩) وشائج قوية بين بني الصوار وبني عمرو بن همدان .

وبالمقابل فإن نشوان حين عارض الهمداني فلم يفعل أكثر من تأكيد اتجاه قائم قبل الهمداني نفسه . ولكن ذلك ربما صادف أيضاً استعداداً عند نشوان الذي كان يفخر بانتائه إلى ذي مرثد (من بني حمير الأصغر حتى عند الهمداني نفسه فهو القائل في القصيدة الحميرية (ص ١٥٨) :

أو ذو مرثد جدنا القيل ابن ذي سحر أبو الأذواء رحب السباح
والقائل (منتخبات : مادة رثد) :

« ذو مرثد ملك من ملوك حمير واسمه حسان ذو مرثد بن ذي سحر من ولده نشوان بن سعيد مصنف الكتاب . ولا يوجد مرثد على وزن مقاتل ومحارب إلا في حمير ثم لا يوجد في حمير إلا في هذا البيت وهو بيت بلقيس ملكة سبأ بنت الهدهاد بن شرح بن ذي سحر » .

والغريب أن نشوان لم يتعرض صراحة لقول الهمداني (الإلكيل ٧١/٢) : « وجملة القول أن حمير لم تكن ترضى بولاية امرأة من غير ولد الصوار » . وذلك في ترجيحه لنسب بلقيس في بني الصوار ، ربما لأن الهمداني أورد هناك الرأي الآخر (الإلكيل ٣١٨/٢ ، ٣٩٨) ، كما أن شارح قصيدته الدامغة (ص ٤٦٦) اكتفى بإيراد نسبها إلى ذي سحر .

والحق أن الاختلاف بين وجهتي نظر الرجلين في ما يتعلق بالأنساب عامة يرقى إلى درجة كونه يمثل مدرستين متباينتين تماماً . وليس هنا مجال استعراض نقاط الخلاف ، ويكفي أن يرجع المرء إلى مواد شمس العلوم (منتخبات) ذات الصلة بأسماء الملوك ويقارنها بما جاء عند الهمداني .

ولم ينته الكلام في الين حول نسب الرئس بما بثه نشوان في ثنايا كتبه فهذا هو ابن رسول (ت ٦٩٦ هـ) صاحب طرفة الأصحاب يعود إلى الموضوع دونما ضجة فيتبنى من جديد الرأي الذي دافع عنه الهمداني ، وذلك بعد اطلاعه على أعمال الرجلين واستشهاده بهما . فهو يقول بعد أن بدأ الكلام بإشارة إلى نشوان كسند (طرفة الأصحاب ٤٣ - ٤٥) : « وواصى [أي عبد شمس] بالملك للصوار .. وبقي الملك في عقب الصوار إلى مبعث النبي ﷺ . ثم ملك بعده ابنه ذو يقدم ثم ملك بعده ذو أبين .. ثم ملك الملطاط .. ثم ملك بعده

ابنه شدر [لعله شدد] فظهر من ذريته كثير من قبائل حمير . ثم ملك بعده ابنه وتار ومن ثم انتقل الملك إلى تبع بن يزيد [لعله تبع بن زيد] من همدان فملك عدة سنين عن تراض من حمير . ثم انتقل الملك من همدان إلى حمير . وكان أول من ملك بعد همدان الحارث الرائش فبقي في ذلك زماناً طويلاً ، وغزا بلاد الأعاجم والروم فوطئ أكثر الأرض وهو من أولاد الصوار وكان يدعى ملك الأملاك ولا يملك الأملاك إلا الله عزّ وجلّ ، وحملت إليه الهدايا من أرض الصين وبلاد الهند وبلاد الترك خوفاً منه .



وبعد ، ماسرّ كل هذا الجدل حول شخصية ليس هناك في المصادر الأبيوقرافية (النقشية) المعروفة ما يشير إليها لا من حيث الاسم (الحارث) ، الذي لم يكن من الأسماء المعهودة في ذلك العصر ، ولا من حيث اللقب (الرائش) ؟ هل يكفي القول بأنه جدل ناتج عن نزاع بين فرعين ينتميان إلى حمير ؟ أياً كانت أسس ذلك الانتماء ، هم بنو الصوار وبنو أخيه جشم . ولكن الصوار وجشم كليهما لم يكونا أيضاً من الأسماء التي وردت في المصادر الأبيوقرافية بأية صورة ، فهل يتعين علينا أن ننفض أيدينا عن هذه المشكلة باعتبار أنها مفتعلة من الأساس وأن الجدل حولها عقيم ؟

يقول جواد علي^(٦) (المفضل ٤/٤١٩) إن الأنساب « من المستحدثات التي بدأت في الجاهلية المتصلة بالإسلام » وهو رأي وجيه يدل عليه هذا التباين الصارخ بين معطيات النقوش ومشحرات النسب من ناحية الأسماء بوجه خاص . ولكن هل يعني الاستحداث الاختراع والتلفيق ، أم أنه كانت هناك نواة من أخبار قد تكون تعرضت للتحويل ، بل وحتى التشويه عبر التناقل الشفهي قبل أن يصار إلى تقييدها كتابة في عصر متأخر ؟ أغلب الظن أنه كانت هناك مثل تلك النواة فيما يتعلق بنسب كل جماعة أو قل أخبار أسلافها ، فهذا هو الهمداني يذكر بين مصادره ما « خبرني به الآباء والأسلاف » (الإكليل ٩١/١ مثلاً) . وفي الإكليل العاشر ما يدل على تخلف آثار قوية لتاريخ همدان القديم عند الهمدانيين بالذات استعين

(٦) انظر جواد علي (المفضل ١/٣٧٠ وما بعده وخاصة ٣٧٣) حيث يقول عن الأحلاف : « فإن هذه الرابطة تنتهي إلى نسب يشعر معه أفراد الحلف أنهم من أسرة واحدة تسلسلت من جد واحد » . وص ٣٧٤ عن حلف « تنوخ » . وقد تحدثنا عن التفكك في البين أواخر عهد التبابعة في بحثنا عن « الثامنة » الذي ألقيناه في الذكرى الألفية لأبي محمد الحسن الهمداني في صنعاء أكتوبر ١٩٨١ ، ومشور في (في العربية السعيدة) ، (انظر أيضاً الطبري ١٢٧/٢ حيث يقول : « يقاتل كل رجل عن مقولته وناحيته ») .

حروب الجاهلية الأخيرة المعروفة بأيام العرب كان من بينها حروب بين قبائل قحطانية : همدان ومذحج ، وحمدان وخولان مثلاً : وهناك في الإكليل الثاني إشارات كثيرة إلى تلك النزاعات ودور العصبية فيها .

بها في وقت متأخر في وضع المشجرات عندما نشأت الحاجة إلى الأنساب ، كما استعين بها ولا شك في كتابة السير .

هذا ولعل اهتمام القبائل اليمنية بالأنساب (والكثير منها قبائل قارة تسكن المدن والقرى وتعنى بالزراعة) قد جاء نتيجة حاجة طارئة إلى إقامة أحلاف معينة أملت ظروف يمكن تصورها خاصة بعد أن ازداد عدد العشائر التي تتخلل مواطن القارين . ثم بعد أن أخذت دولة التبابعة في التفكك وحدث الصدام بين القبائل اليمنية أو القحطانية وجيرانها من القبائل النزارية أو حتى بين المجاميع اليمنية نفسها بعضها ضد بعض .

وإذا صح أن اليمنيين في الين قد عنوا بحفظ أخبار أسلافهم بصورة أو أخرى ، ولسبب أو آخر ، فإن هجرتهم شمالاً أيام الفتوحات الإسلامية أدت ، فيما يبدو ، إلى تطور مختلف لتلك الأخبار عند المقيمين بالين والطاعنين إلى الشام والعراق . وكان ذلك من أسباب عكوف الهمداني على إخراج عمله الموسوعي الكبير (الإكليل ٨٣/١ وما بعده) . هذا إلى جانب ما تسبب فيه التنافس النزاری القحطاني ، الذي سبقت الإشارة إليه ، من آثار في هذا المجال^(٧) .

(٧) يقول المسعودي (مروج الذهب ٢٧٧/١) ونحن ننقل هنا عن جواد علي (الفصل ٥٠٦/١) « ولولد نزار وولد قحطان خطيب طويلة ومناظرات كثيرة لا يأتي =

ولقد لجأ الينيون منذ البداية إلى القصص القرآني لإضافة مفاخر جديدة إلى مفاخر أسلافهم ، فكانت قصص ذي القرنين وبلقيس وتبع ، وهي القصص التي تولد عنها ملاحم شعرية ونثرية طويلة لها قيمتها الأدبية والعلمية من حيث أنها حفلت بمعطيات تعين في بعض الأحيان على فهم أفضل لبعض معطيات المصادر الأخرى وخاصة الايقرافية منها ، ولكنها أيضاً تسببت طويلاً في تعقيدات أخرى خاصة في الجانب الكرونولوجي (التسلسل الزمني للأحداث) ، فالمكان الذي اختاره الإخباريون لإدخال عهد بلقيس فيه بعد الحارث الرأش وقبل ياسر يهنم ، أدى إلى الارتفاع بعهود كثير من الملوك المتأخرين المعرفين وأولهم ياسر يهنم نفسه (أواخر القرن الثالث حسب المصادر الايقرافية) ، والارتفاع أيضاً بالفترة البتعية - الهمدانية (أواخر الثاني - أوائل الثالث) تمشياً مع ما هو معروف عن زمن الملك النبي سليمان بن داود . ومن غرائب الصدف أن شيئاً من هذا القبيل قد حدث في العصر الحديث حين اعتمد أوائل المشتغلين بالدراسات الينية كرونولوجيا عالية لدولة معين .

ومن ناحية أخرى فإن الأنساب الينية وما يتصل بها من أخبار أو سير تكاد تكون مسألة حميرية بحتة من حيث أن عناصرها الهامة = عليها كتابنا هذا في التنازع والتفاخر بالأنبياء والملوك وغير ذلك مما قد أتينا ذكره من حجاجهم وتآدلى به كل فريق منهم من سلف وخلف .

كلها تقريباً تعود إلى فترة بروز العنصر الحميري على أبعد تقدير .
أو إلى فترة قيام نظام « ملوك سبأ وذي ريدان » . فالفترة العتيقة ،
التي امتدت إلى نهاية الألف الأول تقريباً قبل الميلاد والتي تمت خلالها
إنجازات هامة ، اختفت تماماً أو تبلورت عند النسب والإخباريين
في شخص واحد اسمه سبأ حكم خمس مئة عام ، وقد قام ببناء السد
الشهير سد مأرب حتى إذا ما حضرته الوفاة قسم المُلْك (أو بالأحرى
المهام) بين ولديه حمير وكهلان ، فكان لحمير المُلْك ولعقبه ، وكان
لكهلان أعمال الأطراف والثغور (انظر مثلاً التيجان ٥٨
وأخبار ٤١) . و « كذلك يقال لحمير وكهلان شعباً سبأ » على رأي
الهمداني (إكليل ٩٧/١) الذي يصفهما أيضاً ب (الفرعين) (الدامغة :
بيت ٤٠) . وهذا لا يمكن إلا أن يشير إلى لحظة قيام نظام (سبأ
وذي ريدان) بجناحيه السبئي - الكهلاني (قارن مثلاً : J653)
والحميري .

على أن تقدم اسم حمير هنا لا ينبغي أن يؤخذ دليلاً على أن
العنصر الحميري كان هو السائد منذ قيام ذلك النظام ، إذ يكفي أن
يسيطر العنصر الحميري منذ أواخر القرن الثالث الميلادي لتطمس
كثير من المعالم وتصبغ بلون العنصر الغالب ، خاصة وأن مأرب كانت
قد أخذت تتوارى في الصفوف الخلفية قبل لحظة الانتصار الحميري
بوقت ، وذلك بعد أن انتقل مركز الثقل الفعلي إلى المرتفعات .

وأصبحت سبأ مارب عند مجيء الحميريين قبيلة غارقة في شؤونها الخاصة ، هناك بعيداً على أطراف الصحراء ، وتحارب في صفوف جيش الأعراب الذي وحده ووسعه الحميريون (الإرياني ٣١ و ٣٢) .

إن مما قد يؤكد هذا التصور هو أن القحطانية في الين تبلورت في الأنساب في ثلاث كتل رئيسة لم تكن سبأ مارب إلا طرفاً هامشياً فيها^(٨) . هذه الكتل هي :

١ - قضاة : التي عدت ولداً لمالك بن حير . ويهمننا منها هنا خولان الجديدة / خولان الشام أصحاب صعدة .

٢ - بنو الهميسع : وهو الولد الأكبر لحمير والذي آل إليه الملك وظل في عقبه .

٣ - كهلان : والتي تضم في مقدمة من تضم كامل الشعوب / القبائل التي كانت على (أرض سبأ) : همدان (بعد أن شملت حاشد وبكيل) وخولان العالية / خولان الطيال ، ومعها جرة على الأقل .

وهذا التقسيم ينعكس بقوة في كتابات الهمداني ، وفي خطة كتابه الهام الإكليل حيث عالج الأنساب في ثلاثة أجزاء منه ، كل جزء مكرس لواحدة من تلك الكتل .

(٨) انظر مثلاً الإكليل (٢٠٤/١ و ٣١٦ - ٣١٧) حيث وصفت سبأ هذه بسبأ الأوسط =

ويكاد يجمع النساب والإخباريون على أن الحكم كان دائماً في عقب الهيمسح الذي تداول الملك أبناؤه وأحفاده حتى صار الأمر إلى الصوار من نسله . وبعد الصوار بفترة (انظر القصيدة الحميرية ٥٦ - ٥٧ والإكليل ١١/١٠ - ١٣) ، يؤول الملك إلى تبع بن زيد ليستم في عقبه حتى ظهور الحارث الرائش أبي التبابعة ، والذي يتعاقب أبناؤه على العرش حتى النهاية بلا انقطاع إلا في ماندر (الإكليل ١١٤/٢) كما حدث لدى اتصال بلقيس بسليمان الذي حكم الين حتى جاء ياسر يهنم و « رد ملك حمير إليها » . (الإكليل ٦٩/٢ على سبيل المثال) .

هذا هو تصور المدرسة التي يتبعها الهمداني ومن قبله أبو نصر اليهري ، وربما قبل الجميع عبيد بن شريح مع اختلافات في التفاصيل .

وتضم الأنساب الحميرية العديد من الأسماء التي عرفت في النقوش كملوك في سبأ وفي حمير دون أن ترد صراحة في الخط المتصل للملوك الحميريين . فالشرح (إلي شرح) يحضب لم يملك ، ووتار ابنه مختلف في نسبه ، والفترة البتعية - الهمدانية التي ينسب شارح القصيدة

= وهي سبأ بن لهيعة بن حمير [الأكبر] . ولا بد أن هذا الوضع تبلور في وقت متأخر إذ أنه في القرن السادس ظل يفرق في النقوش بين سبأ وحمير وغيرهم . انظر مثلاً (Ry510/6) .

الحميرية شخصياتها إلى بني الصوار (القصيدة الحميرية ١٧٨ - ١٧٩) لا ترد أسماء ملوكها ضمن الملوك الذين تعددهم القصيدة المذكورة ، كما أن كرب إل ايفع (اسم ملك حميري في القرن الثالث) لم يكن في الأنساب إلا بطناً (إكليل ٧/٢) . ويختلف النسابة في علاقة ياسر يهنعم (الأب) وشمير يهرعش (الابن) الذي يجعله البعض ابناً لافريقس بن أبرهة ذي المنار (الإكليل ٥٣/٢ على سبيل المثال) . بل ويمتد الاختلاف إلى أواخر الملوك الذين حكموا في القرن الخامس ومطلع السادس .

وهذا إذا دلّ على أن الأساس الذي تتركز عليه الأنساب والأخبار يتمثل في روايات تعرضت لتشويه أدى إلى تضاربها نتيجة عوامل كثيرة متشابكة ، ربما في مقدمتها النقل الشفهي ، فإنه لا ينفي أن هناك تصوراً مشتركاً هو بمثابة الهيكل الثابت لتلك الروايات التي تقوم على نقاط ارتكاز متفق عليها تشير إلى مراحل معينة يمكن أن تشكل فيما بينها كرونولوجيا نسبية . وهي مراحل تقترب بأسماء ملوك معينين كما يلي :

(أ) الهميسع : أول الملوك من ولد حمير الأكبر (على أن حميرته غامضة ولعلها أضيفت عليه بآخره ، وفي كل الأحوال لا ينبغي أن نأخذها قضية مسلمة)^(٩) .

(٩) هناك عند عبيد بن شربة (الاخبار ٤١٠) عبارة حول حمير وكهلان باعثة على =

(ب) الصوار : مؤسس فترة جديدة أو أسرة جديدة على أن حميرته تقترن بظهور تباشير حمير الصغرى ممثلة في أخيه جشم الذي « فيه العدد والثروة وهي جشم العظمى من جميع العرب » (الإكليل ١٠١/٢) .

(ج) بتع بن زيد : مؤسس الأسرة البتعية - الهمدانية التي تأتي في أعقاب اضطرابات تلي عهد وتار بن إلي شرح يحضب بن الصوار . وبتع من نسل عمرو بن همدان (الإكليل ١١/١٠) .

الحارث الرائش : مؤسس فترة جديدة الخلاف يدور حول كونها امتداداً لحكم بني الصوار كما يريد الهمداني مثلاً أو بداية الحكم الجديد في بني حمير الأصغر من ولد جشم كما يريد نشوان مثلاً .

= التأمل . يقول : « فأولد سبأ بن يشجب حمير بن سبأ بن يشجب بن قحطان وكان يقال له العرنجج - فهم أهل المدن وفيهم كانت الملوك ، وكهلان بن سبأ ، فملك بعد أخيه حمير حتى ألح به الهرم فرجع الملك إلى ولد حمير ، غير أن المشورة كانت في ولد كهلان » . فالقول بأن حمير « هم أهل المدن وفيهم كان الملوك » يذكرنا بالعهد الذي كتبه الرسول ﷺ لقيس بن مالك بن سعد الأرحبي وثبته فيه على همدان أحورها وعربها . وكيف أن الأحور [تأتي الأحور جمعاً لخميري وتكتب في النقوش : أحرن] فسروا بسأهم : قدم وآل ذي مرّان وآل ذي لعوة وأدواء همدان . « وقيل أحورها أهل القرى » (انظر الفصل ١٨٧/١) . وهذا قد يفسر حميرية الملوك والأقبيل ، التي هي حميرية الحكم نتيجة قرون من حكم حمير ، وحميرية القبائل التي تنحصر في قبائل الشطر الجنوبي من دولة سبأ وذي ريدان وما ضمه بعد ذلك من مناطق كانت تابعة لمملكة حضرموت الكيان السياسي الرئيس الباقي لحظة انتصار بني ريدان .

(هـ) بلقيس : ملكة سبأ المعاصرة لسليمان الذي يحكم الين فترة

(و) ياسر يهنعم : (أحياناً تاشر النعم) الذي « رد الملك على

حمير بعد سليمان » . والذي يتتابع التبابعة من بعده حتى النهاية وأولهم وأشهرهم شمر يهرعش الذي قد يكون أول التبابعة بالمعنى التاريخي إذ أنه بضمه لحضرموت ومينة قد وحد الين .



ونحن إذا تأملنا في أخبار الرأئش وموضعه من النسب في ضوء ذلك التصور المشترك وكرونولوجيته النسبية فنلاحظ :

(أ) أنه أحد الملوك المتأخرين الذين عاصروا الفترة البتعية - الهمدانية أو جاؤوا بعدها (قارن القصيدة الحميرية ٦٠ والإكليل ١٣/١٠ ، ١٩) .

(ب) أنه أحدث انقلاباً معيناً في نمط الحياة عند الحميريين إذ لم « تزل حمير كذلك لا يعدون الين حتى صار الملك » إليه ، على رأي عبيد (أخبار ٤١٤) . هذا الانقلاب مرتبط بقيام علاقات مثرة مع الهند بالذات .

(جـ) أنه هو الملك الذي ينحدر من صلبه التبابعة ، وأن هذه النقطة هي التي يتركز عليها احتجاج نشوان .

وكل هذا يشير في الأرجح إلى تطور في الجانب الريداني ، ففي حوالي وقت قيام الفترة البتعية - الهمدانية (أ) كان هناك ملوك حميريون يتحلون باللقب المزدوج « ملك سبأ وذي ريدان » منهم ذمار علي يهبر المعاصر لوهب إل يحوز (GI1228) وثاران يعب يهنعم المعاصر لإيلعز يلط الحضرمي (Ja923) صهر وخصم شاعر أوتر البتعي - الهمداني . (ب) كما أن العلاقات مع الهند كانت في تلك الفترة نشطة ولدينا شاهد من العقلة عن وصول وفد هندي أيام العزيز نفسه (Ja93:4-4) . (ج) وأما التبابعة فهم على اختلاف التفاسير أولئك الذين حققوا توحيد الين^(١٠) ، وهذا لم يتحقق بصورة فعلية ثابتة إلا على يد بني ذي ريدان .

وهكذا فإن الرائش ربما كان ملكاً ريدانياً احتفظ الحميريون بالمعنى الايقرافي التاريخي الجغرافي ، بذكره . ثم جاء الخلاف حوله ،

(١٠) ليس هناك تفسير واحد متفق عليه للقب (تبع) . ومع أنه لا يوجد شاهد واحد في النقوش المعروفة عليه فإن ذكر (تبع) في القرآن الكريم يدل وحده على أن اللقب أو الاسم كان معروفاً . ولا شك أن اهتمام الأخبار بالموضوع عائد إلى هذه الإشارة القرآنية . ومع ذلك نستطيع القول بأن التبابعة (جمع تبع) عند الإخباريين هم عدد من الملوك الحميريين يركز على ثلاثة منهم : أكبر وأوسط وأصغر ، والأوسط بالإجماع تقريباً هو أبكرب أسعد أو أسعد الكامل . والثلاثة هم من الملوك المتأخرين ومن ثم من حمير (انظر مثلاً القصيدة ٢١٥ ، و ١١٤ - ١١٧ ، والدمغة ٥٢٤ ، والإكليل ٥٤/٢ - ٥٦ ، والتيجان ٢٣٢ و ٢٤٦ - ٢٤٨) .

لحظة قيد الأنساب وتدوين السير في صورتها المعروفة في الإسلام ،
لسبب يتعلق ، أغلب الظن ، بأبرز مواطن المنافسة وهو تنازع
المفاخر القائمة على القصص القرآني (قصص ذي القرنين وبلقيس
وتبع) . ولعل كهلان وهمدان بالذات أرادت أن يكون لها نصيب في
أبوة تبع فجعلت الرأش من بني الصوار الذين تتشابهك أنسابهم مع
البتعيين - الهمدانين من خلال المصاهرة (الإكليل ١٢/١٠ و ١٩
مثلاً) . ولا غرابة فهم فعلوا شيئاً شبيهاً بذلك حين أدلوا بدلوهم في
المنافسة على بلقيس فجعلوها أيضاً من بني الصوار (انظر أعلاه)
وانتدبوا لها زوجاً منهم (الإكليل ٢٢/١٠) . أما ذو القرنين فكان نهياً
مشاعاً بين الجميع .

على أننا إذا رجحنا حميرية الرأش فتبقى لدينا مشكلة ذلك
اللقب الغريب الذي لا يت بصلة إلى ما نعرفه من المصادر
الايقرافية . ولكن أولم يفعل الإخباريون نفس الشيء مع أبكرب
أسعد الملك المعروف حين جعلوه (أسعد الكامل) حيث أصبح الاسم
(أبكرب) في حالته كنية ، واللقب (أسعد) اسماً ، وأضيف له لقب
جديد هو (الكامل) لم يعرف من النقوش (الإكليل ٥٦/٢ - ٥٨) .
وأولم يفعلوا ذلك أيضاً مع يوسف أسأر يثأر وهو أقرب عهداً إلى
الإسلام فلم يعرف عندهم إلا بذي نواس وإن قال بعضهم إنه تسمى
بيوسف حين تهود . أفلا يجوز إذن أن يكون (الرأش) لقباً من نوع

(الكامل) و (ذي نواس) بقي بعد أن ضاع الاسم الحقيقي الذي استبدل بالحارث ربما لأنه من أسماء الملوك العرب ؟

إننا لننيل إلى أن (الصوار) أيضاً قد يكون لقباً من نوع هذه الألقاب (ربما الشعبية) ! وإن صاحبه ملك له دور بارز في تطورات فترة ملوك سبأ وذي ريدان . كما أن صلته بإلي شرح يحضب تغري بأن تجعلنا نفكر في كونه ملكاً سبئياً من حملة اللقب المزدوج ، لعله أسس أسرة جديدة في فترة لا تبعد كثيراً عن زمن قيام الأسرة البتعية - الهمدانية . وبالمثل فإن (الهميسع) من نفس الفئة وقد يكون تحريفاً لاسم حقيقي^(١١) . وهو قد يرمز إلى مؤسس النظام المشار إليه أو أحد أبرز الملوك في مطلع ذلك العهد .

إن النسابة يجعلون الرئاس أبا لشاران أكلب الأعلى « اسم ولقب

(١١) الهميسع ، كالصوار والرئاس ، لقب . أما اسمه فهو أنس (طرفة الأصحاب ٣١) . والثلاثة كما لاحظنا ، وإن اعتبرهم البعض من أسرة واحدة ، بمثابة مؤسسين لعهود متتابة . وهذا وحده قد يكون سبب التركيز عليهم . ولعل من غرائب الصدف أن الحروف التي يتكون منها لفظ (الهميسع) إذا أعيد ترتيبها يتكون منها (سمه علي) وهذا من الأسماء المتكررة في الأسرة المالكة السبئية القديمة . وهذا اسم والد ذمارعلي وتر ينعم الذي قد يكون أول من حمل لقب ملك سبأ وذي ريدان إن لم يكن أيضاً أول من حمل لقب (وتر) السبئي المعهود مصحوباً بلقب (ينعم) القتباني ثم الريداني والذي قد يكون وسيلة لتأكيد اللقب الملكي المزدوج .

ونعت كأنه قال : تاران أكلب المنعم وهو ينعم الأكبر » كما يقول الهمداني (الإكليل ٥٢/١) . وهذا يذكرنا بشاران يعب ينعم الذي سبقت الإشارة إليه . كما أن هناك شبهةً تداخل بين الشخصين من حيث معنى لقب الرئاش الذي يأتي في بعض التفاسير مرادفاً لأنعم ينعم ، حتى أن الهمداني ليصف الحارث الرئاش ويأسر ينعم بالرئاشين (الدامغة بيت ٥٧٧) . إن العلاقة بين الرئاش هنا وتاران هي أشبه بالعلاقة بين الصوار وإلي شرح يحضب .

ولا ينبغي أن تقف قصة بلقيس عقبة دون ما أوردناه من احتمالات ، وذلك لأن عهد بلقيس إنما هو من صنع الخيال المحض ، فالكتب المقدسة لم تذكر اسم ملكة سبأ ، ومكانها على أي حال سابق على ظهور حمير والعلاقات مع الهند . ولكن التسابق على استغلال القصص القرآني هو الذي أتاح اختراع القصة وتفصيلها المتعددة الروايات^(١٢) ، منسوجة حول نواة عجيبة هي (المقه) (الإكليل ٣١٨/٢) الذي تتحدث النقوش عن مُلكه (مثلاً Fa71) وتعني أراضى سبأ . والقصة في ذاتها لدليل آخر على حداثة علم الأنساب . وقد نسجت بعد أن جهل كل شيء عن معبد أوام أو (محرم المقه) ليصبح (محرم بلقيس) . والأعمدة التي تقف أمام مدخله عرش

(١٢) انظر مثلاً : - التيجان ١٤٧ - ١٥٩ وأخبار ٤٢٥ والدامغة ٤٦٨

بلقيس إلخ ، لمجرد أن القرآن تحدث عن عرش ملكة سبأ^(١٣) . وأكثر من ذلك فإن لبلقيس أختاً هي (شمس) التي تذكر في بعض النقوش ومنها نقوش المعبد نفسه إلى جانب المقه كعبود آخر . والغريب أن مصادر إخبارية تقول : « لما ولي ياسر يهنعم الملك أقر بلقيس على ملكها مبارب ولم يغير عليها شيئاً من أمورها » . والذي فعله ياسر يهنعم وفعله من بعده ملوك آخرون فترة هو المحافظة على مكانة محرم المقه بعل أوام مبارب .

وهكذا فإنه ليس هناك في الواقع انقطاع بين الرأش وأبنائه التبابعة . وإذا كان لا بد من إيجاد تعليل لعبارة « رد الملك إلى حمير » بالنسبة إلى ياسر يهنعم فإن ذلك قد يعني استرجاع المعافر بعد أن تحكم فيها الأحباش بضعة عهود . وقد تكون غزوة سليمان المزعومة^(١٤)

(١٣) يبدو أن الهمداني يسمي بلقيس (يلمقه) وليس (المقه) كما جاء في الإلكيل (٣١٨/٢) ، فهذا ما نراه في كتاب الجوهرتين (ص ٢٤٣) إلا أنه مع ذلك يربط بين الاسمين بطريقة ثانية ، فهو يقول : « وكان في ننانير حمير ودراهمها صورة الشمس والقمر والكواكب لأنهم كانوا يعبدونها واسمها عثتر عندهم ، والقمر هبس والنجوم الامقه والواحد منها المق ويلمق . ولذلك سمو بلقيس يلمقه كأنهم قالوا (زهرة) ، وهذا وإن غير صيغة الاسم فهو لا يغير شيئاً من ارتباط اسم بلقيس بآله بعل أوام بل ربما يؤكد .

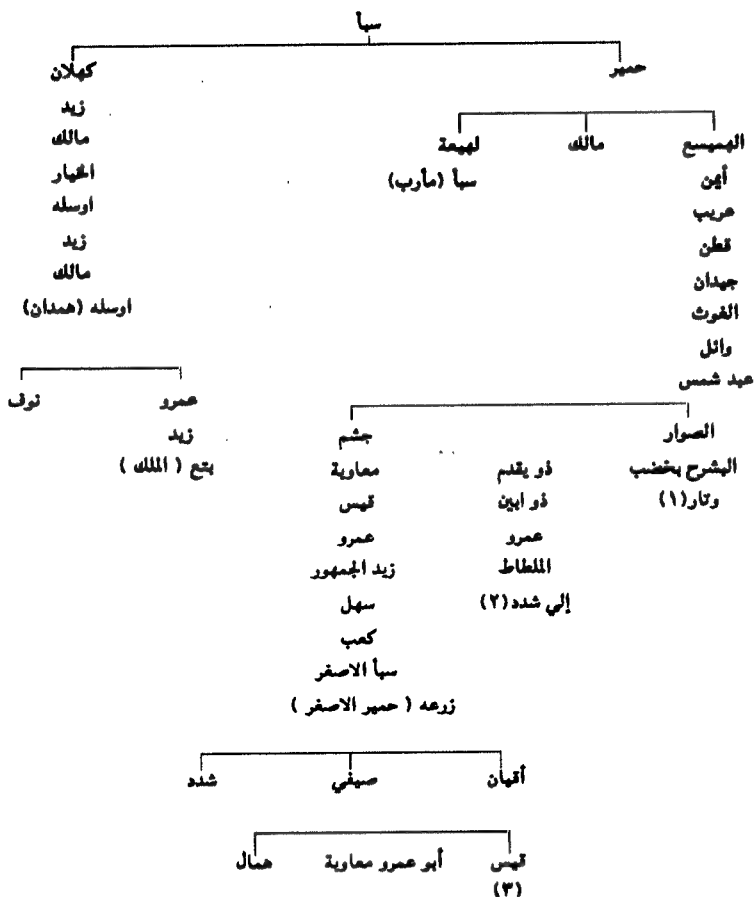
(١٤) في التيجان (١٦٥) وأخبار عبيد (٤٤٨) رواية عن زحف سليمان على أرض اللين تكررت فيها عبارة : « لا ينزل إلا على الماء بصورة توحى بأن القصة ربما استعيرت من ذكرى تخلفت عن الفروق الرومانية التي لم يعثر بعد على أية =

وعلاقته ببلقيس رمزاً للتسلل الحبشي الذي بدأ بتحالف سبأ وأكسوم
(C 308 et C) (☆) .

= إشارة إليها في النقوش . على أن استعادة ياسر يهنم للحكم قد تكون تعبيراً عن
تحرير المناطق التي كانت خاضعة للأحباش .
وفي التيجان (ص ٢٣٠) عبارة تقول : « فعبّر ناشر النعم البحر وسار على
ساحله يريد أرض الحبشة فأخذها » قد تكون متخلفة من أخبار حروب ياسر
يهنم مع الأحباش (نقشا المعسال) .
(☆) أعد هذا البحث مساهمة في كتاب مهدي إلى العالم الفرنسي والكاتب المعروف
مكسيم رودنسون إعداد كرسيان رويان .

Melanques Linguistiques offerts à Maxime Rodinson Edetés par Ch.
Robin, Paris 1985, P.14 et Suiv.

ونشر بإذن خاص في دراسات يمنية العدد ٢٠ ، صنعاء ، إبريل - يونيو ١٩٨٥ ،
ص ١٨ - ٤٠ . ونعيد نشره هنا لتسهيل الرجوع إليه من قبل القراء العرب .



جدول مقارنة لانساب الملوك حسب رواية الهمداني

- (١) انظر الإكليل ج ٨٦/٢ الذي يسمي ولد إليشرح بخضب بن الصور « عمر يشار ذا غمدان بن إلي شرح بخضب بن الصور . قال : وعمرو يشار أول من شرع في تشييد غمدان بعد بنائه القديم . ووتار بن إلي شرح عن غير ابن نصر وكذلك هو في مسند ناعط » .
- (٢) انظر الإكليل ج ٥٢/٢ « والد إلي شدد بن الملطاط الحارث وهو الرائش بن إلي شدد » وقارن بما في شرح القصيدة الحميرية ص ٥٥ عن الملطاط « ولم يكن له غير ابنتين : الحارث الرائش ووتار فأُسند إليه الملك واشتهر به » .
- (٣) انظر منتخبات في أخبار البن مادة ريش « وهو الحارث الرائش بن شدد بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر » .

المراجع

- ١- رسول: السلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول طرفة
الأصحاب : (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب) تحقيق
ك.و. سترستين ، دمشق ١٩٤٩ م .
- ٢- شريه : عبيد بن شريه الجرهمي : أخبار: «أخبار عبيد بن شريه
الجرهمي في أخبار الين إلخ...» . ذيل كتاب التيجان لوهب بن
منبه ، نشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، (تصوير الطبعة
الأولى لحيدر آباد عام ١٣٤٧ هـ) ، طبعة ثانية ، صنعاء (١٩٧٩) .
- ٣- علي : الدكتور جواد علي : (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)
(١) الجزء الأول (ط١) بيروت ١٩٦٨ (٢) والجزء الرابع (ط١)
بيروت ١٩٧٠ م .
- ٤- منبه : وهب بن منبه : التيجان : (كتاب التيجان في ملوك حمير ،
رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام) نشر مركز الدراسات والأبحاث
اليمنية ، (تصوير الطبعة الأولى بحيدر آباد عام ١٣٤٧ هـ) ، طبعة
ثانية ، صنعاء (١٩٧٩) .
- ٥- نشوان : نشوان بن سعيد الحميري : (١) القصيدة الحميرية : (ملوك
حمير وأقيال الين) ، تحقيق السيد علي بن إسماعيل المؤيد

وإسماعيل بن أحمد الجرافي، القاهرة ١٣٧٨، (٢) منتخبات :
(منتخبات في أخبار الين من كتاب شمس العلوم ودواء كلام
العرب من الكلوم)، نسخ وتصحيح عظيم الدين أحمد، لندن
١٩١٦ م.

- ٦- الهمداني: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني: الإكليل :
(١) كتاب الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الجزء
الأول (ط ٢). بغداد ١٩٧٧ م.
(٢) كتاب الإكليل، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، الجزء
الثاني (ط ١). القاهرة ١٩٦٧ م.
(٣) كتاب الإكليل، تحقيق نبيه أمين فارس، الجزء الثامن، طبعة
دار الكلمة صنعاء ودار العودة بيروت (بلا تاريخ).
(٤) الإكليل، تحقيق محيي الدين الخطيب، الجزء العاشر، القاهرة
١٣٦٨
(٥) الجوهرتين : (كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين البصفراء
والبيضاء).

Herauxs geben und übersetzt von Christopher Toll. Uppsala
1968

- (٦) الدامغة : (كتاب قصيدة الدامغة)، تحقيق محمد بن علي الأكوع
الحوالي، القاهرة ١٩٧٨ م.

الرحبة وصنعاء

في استراتيجية بناء الدولة السبئية

صنعاء مدينة سبئية بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى ، فقد أمر باختطاطها ملك سبئي ووطن فيها عند بنائها بعضاً من قبيلتي سبأ وفیشان . وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي بعد قرون طويلة من قيام المدن السبئية الرئيسية الأخرى مثل مارب وصرواح .

ولكي نفهم الظروف التي أقيمت فيها هذه المدينة العريقة والأدوار التي اضطلعت بها بعد أن قامت حتى أصبحت عاصمة ثانية فينبغي أن نعود إلى الوراء نتتبع تطور الدولة السبئية قبل ظهور صنعاء وبعده .

١- الاستيطان

وعلينا تمهيداً لذلك أن نتناول سياسة الاستيطان التي اتبعتها السبئيون في مناطق مختلفة من نجد الين والجوف (R.3945) (☆) في

(☆) الرموز بين الأقواس التي تتخلل النص هي رموز نقوش كراجع .

أراض كانت من قبل تابعة لقبائل أخرى بعضها كان قد اتخذ شكل المملكة فاستولوا على المدينة استيلاء بعد طرد أهلها منها أو أدخلوا على تركيبها السكانية تعديلات تجعلهم قادرين على تحقيق الهدف الذي كانوا يسعون إليه والذي هو توسيع رقعة دولتهم وتثبيت أركانها وتأمين حدودها .

ولم يخرج الهدف من بناء صنعاء في المكان الذي بنيت فيه عن جوهر أهداف تلك السياسة الثابتة . فقد أقيمت في بقعة تكاد تكون مأذنية صرفة^(١) ، بل وإلى جوار (شعوب) حاضرة مأذن ، وعلى مشارف الرحبة التي اقترن اسمها بعد ذلك بصنعاء في النقوش وارتبط مصيرها بها ثم انتهت بأن نسبت إليها فليل (رحبة صنعاء) .

والرحبة ، كما هو معروف ، قاع من قيعان نجد الين الواسعة التي عددها الهمداني في الصفة حين قال : « ثم البون ، وهو أوسع قيعان نجد الين هو وحقل جهران والرحبة وحقل شرعه وحقل قتاب وقاع الجند وحقل صعدة »^(٢) .

وقد حرص السبئيون على استيعاب تلك القيعان والحقول واحتوائها ، خاصة تلك التي تقع منها في الجزء الشمالي من نجد الين .

(١) الهمداني : الإكليل ٢٤٣/٢ .

(٢) كأعلاه .

واتبعوا لتحقيق ذلك استراتيجية ثابتة تتمثل في إحاطتها من أقطارها
بالمراكز الحصينة المتقدمة التي وطن فيها سبئيون وفيشانيون .

١ - صرواح مركز متقدم :

ولعل أقدم تلك المراكز السبئية المتقدمة هي مدينة صرواح أقدم
المدن السبئية في الهضبة أو النجد ، غير بعيد من حاضرتهم الكبرى
مارب في المنخفضات ، وفي منطقة خولان (العالية) التي ارتبط
تاريخها المعروف بالسبئيين باستمرار .

ولدينا نقشان من صرواح نرى فيهما ما يؤكد هذا الذي تقوله
بشأن تلك السياسة السبئية .

أولهما وهو (C.601) الذي يتحدث عن توطين سبأ ويهملح في
المدينة في وقت ما من المرحلة العتيقة التي نسميها نحن فترة ملوك سبأ
والممتدة من البدايات حتى لحظة تحول اللقب الملكي إلى « ملك سبأ
وذي ريدان » .

وثانيهما وهو (R.3951) الذي يتحدث عن تحرك المقاتلين من
صرواح لفرض الهيمنة السبئية في مناطق من نجد الين هي في النقش :
الرحبة والكابة (كبتن) والمعللات (معلتن) وأسمدن . والرحبة
ينبغي أن تكون رحبة صنعاء قبل قيام صنعاء لارحبة أذنه ، والكابة
سنعود إليها . أما المعللات فالأرجح أنها التي أصبحت تعرف ، في

النقوش اللاحقة (المعسال ٣) وحتى أيام الهمداني ، بالمعلل^(٣) .
وتبقى (أسمدن) مستعصية على التعريف .

٢ - نشان والجوف :

هذا ويعدّ نقش النصر (R.3945) لكرب إل وتر بن ذمار علي
الملك - المكرب خير ما يصور السياسة السبئية التي نحن بصدها .
وهو يعد من نقوش معبد المقه بصرواح .

من ذلك النقش نلّس أن الجوف كان يعج بمالك صغيرة يهمنها
منها مملكة نشان وهي مدينة تعرف خرائبها اليوم بالسوداء .

ونشان هذه التي يصف النقش حملة كرب إل عليها تأديباً لها
حين تمرت عليه مرتين ، كان يحكمها على ذلك العهد ملك اسمه سمه
يفع تمتد ممتلكاته إلى مناطق تقع في الغرب من موضع صنعاء منها
دورم في وادي زهر ومدينة شبام (كوكبان) . وكان ملوك سبأ قد
منحوا ملوك نشان من قبل أراضي ومصادر مياه لعلها كانت في الجوف
فاستردها كرب إل واستولى على مدنها بما فيها شبام إلخ .

ومن الربط في النقش بين نشان ونشق التي لم يذكر لها ملك
نفترض أن نشق كانت هي الأخرى من المدن التابعة لذلك الملك .

(٣) كعلاء ٥٥/٢ و ٢٣٨

وكان آخر ما اتخذه كرب إل في حق المدينتين هو :
- أن تجنب حرق نشان - وكان قد أحرق مدناً نشانية كثيرة -
واكتفى بإزالة سورها . ثم فرض على سبه يفع أن يقبل بإقامة سبئين
فيها وأن يبني بوسطها معبداً لألقه المعبود الوثني السبئي^(٤) .
- أما نشق فقد استولى عليها غنية لألقه ولسبأ ، فظلت من
يومها مدينة سبئية يتكرر ذكرها في النقوش كأحد المواقع الهامة لسبأ
إلى جانب صنعاء ومارب (جام ٥٧٧ مثلاً و ٦٦٥) .
ولقد كان لسبأ مدينة تسمى (كبتن) (الكابة) ، سبقت
الإشارة إليها عند الكلام عن صرواح ، لا يعرف أحد على وجه
التحديد أين كانت تقع . وهناك نقش معين من مارب (جام ٥٥٠)
خطه أحد أعيان سبأ إثر عودته من تلك المدينة بعد أن أقام بها عاقباً
(والياً) على سبأ والقبائل الأخرى في منطقتها طيلة الأعوام التي
استغرقتها حرب كانت تدور بين سبأ وقبتان . وكان عليه أثناء
وجوده بها أن يجمع المقاتلين ويرسلهم إلى المدينة (تهرج) التي
يعتقد أنه يقصد بها مارب ذاتها .

M.A.BAFAQIH:

(٤) محمد عبد القادر بافقيه :

Le Yemen an cours de la periode des rois de Saba et de dü-Raydän,
Thèse de Doctorat d'Etats es Lettres et sciences Humaine (Histoire),
Université de Paris, Sorbone-ParisIV, (en polycopie) 1983 (2.1.4). or
L'Unification de Yemen Antique, Paris, 1990

هذا وإذا عدنا إلى نقش النصر نجد أن كرب إل ، الذي شملت أعماله العسكرية مناطق تتراعى بين نجران والمدن الساحلية على البحر العربي وبين السوط في الهضبة الحضرية (الجول) والمعافر (الحجرية) ، لم يتعرض لأي من قيعان نجد الين ، وهو ما لا يمكن تفسيره إلا بأن تلك المناطق وأهلها وأي حكام محليين لهم كانوا على وئام مع الدولة السبئية .

ولعل ما يؤكد ذلك أن ملك سمعي ، إلى الشمال من الرحبة كان وأسلافة على علاقة ود بملوك سبأ وبكرب إل بالذات ، وكانوا يتلقون الإقطاعات من سبأ (C.37) .

٣ - المدن البكيلية :

وفي وقت من الفترة العتيقة ذاتها ، وربما بعد كرب إل ، قام السبئيون بحملة استيطان أخرى ترتب عليها انتشار ما سمي وقتها بأرباع بكيل ، في خط ينتظم ثلاثاً من المدن على الأقل ، مواز لخط تقسيم المياه في السراة ، وغير بعيد من الرحبة . وهي مدن : ريدة وعمران وشبام (كوكبان) .

ولا بد أن ذلك قد أكمل إحكام تطويق قيعان الهضبة كما ذكرنا وبه استقرت حدود الدولة السبئية من صعدة إلى الأطراف الجنوبية لقاع جهران شمال تقيل سمارة ، ومن مارب إلى خط المدن البكيلية المذكورة .

٤ - السلام السبئي :

وهكذا فإنه يمكن القول بأن قيعان نجد الين ومنها الرحبة نعمت بالاستقرار في ظل ما يمكن تسميته بالسلام السبئي طيلة الفترة العتيقة وهي فترة ازدهار اقتصادي ذائع الصيت . وكانت تلك القيعان مقسمة بين شعوبها (قبائلها) الأصلية التي انتشر بين زعمائها أو حكامها المحليين لقب القيل ، فكانت أراضيها عبارة عن مقولات تتمتع بالاستقلال الداخلي ضمن صيغة اتحادية يجمعها الولاء للملوك سبأ مما يبيناه في أبحاث كثيرة سابقة^(٥) .

ولم يكن ذلك لينع أعيان سبأ وأثرياءها من تملك الأراضي الزراعية هنا وهناك ، وخاصة حول المدن التي استوطنها السبئيون والتي يمكن وصفها بأنها مدن ملكية ، وتتجلى سياسة الاستصلاح والاستثمار السبئية في عدد من النقوش لعل أقدمها هو (جام ٥٥٥) الذي يتحدث صاحبه عن أراضيهِ في نشق وجهران وأراضي الشعبين مهأنف ويبرين .

٢ - سبأ وذو ريدان

لقد كانت الفترة العتيقة فترة ازدهار للتجارة العربية حتى جاء

(٥) بافقيه : « الأقيال والأدواء ونظام الحكم في الين القديم » ، في دراسات يمنية ، عدد ٢٧ ، صنعاء ، يناير - مارس ١٩٨٧ م ، ص ١٤١ وما بعدها . وهنا .

وقت قال فيه أجاثر خيدس (الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد) :

« ليس هناك من الأمم من هو أغنى من السبئيين والجرهائيين [لعلهم الهجريون] الذين كانوا وكلاء كل شيء يقع تحت اسم النقل بين آسيا وأوروبا ، فإنهم هم الذين جعلوا سوريا البطالسة غنية بالذهب ، وهم الذين سهلوا للفينيقيين سبل التجارة المربحة » ^(٦) .

وكان الإقبال على اللبان بالذات ، وغيره من المواد العطرية الينية ، في أرجاء حوض البحر المتوسط قد زاد منذ أيام الإسكندر المقدوني على الأقل ودفع الحضارة آخر الأمر إلى العناية بمناطق اللبان الشرقية فيما كان يسمى بالسائل (سأكلن) الذي يعرف اليوم باسم ظفار ويقع في سلطنة عمان ، فأقاموا فيه ميناء خاصاً اسمه (سمهر) تنقل منه حاصلات المنطقة بجرأ إلى قنا .

وفي أواخر القرن الثاني قبل الميلاد وهو الوقت الذي كتب فيه أجاثر خيدس ما كتب اكتشف البطالسة في مصر سراً استخدام الرياح الموسمية وبدأت سفنهم تقوم بالإبحار رأساً إلى الهند وإنما بأعداد صغيرة .

على أن هذا أدى مع الوقت إلى الاستغناء عن التوقف بميناء عدن

(٦) بافقيه : تاريخ الين القديم ، بيروت ١٩٧٣ و ١٩٨٥ م من ٧٣

الذي كان من قبل ملتقى السفن القادمة من مصر والهند ، وفيه يحدث التبادل في سلع الجانبين (الطواف فقرة ٢٦) .

ولكن ميناء آخر على البحر الأحمر اسمه في المصادر الكلاسيكية الأجنبية (موزا) ، لعلة موزع ؛ قام أو اشتد نشاطه في ذلك الوقت . وكان يحتكر التجارة مع بلاد الزنج (شرق إفريقيا جنوب رأس حافون) ، وتقصده السفن الأجنبية للتزود فيه ببعض المواد العطرية التي قد يكون بعضها من منشأ إفريقي .

في نحو ذلك الوقت قامت وازدهرت أذوائية بني ذي ريدان الحميريين^(٧) ، أصحاب القصر ريدان في ظفار ، إلى الشرق من يريم ، واكتسبت من الأسباب مامكنها من السيطرة على التجارة في موزا (موزع) وعلى المعافر .

هنالك واجه السبئيون تحدياً لاستراتيجيتهم القاضية دوماً بعدم السماح بقيام وضع في ذلك الركن يهدد أمن دولتهم التي بنوها بصبر ومثابرة عبر القرون وخاضوا في سبيلها المعارك مع أوسان ثم قتبان حين تعاظم نفوذهما في ذلك المكان بالذات ، وكل مانعرفه أنهم لم يلبثوا أن فرضوا سيطرتهم على بني ذي ريدان كما يدل على ذلك اتخاذ

(٧) بافقيه : (موجز تاريخ الين القديم) في بافقيه وآخرون : (مختارات من

النقوش اليمنية القديمة) تونس ١٩٨٥ م ، فقرة ٣-٣

ملوكهم لما يسمى باللقب المزدوج « ملك سبأ وذي ريدان » عنوان المرحلة التالية في التاريخ السبئي ، بل وإلى حد ما التاريخ اليمني على إطلاقه . وكان ذلك أغلب الظن في أعقاب الغزوة الرومانية الفاشلة حوالي عام ٢٤ ق.م .

ونعلم من نقوش وقعت عليها البعثة الأثرية الفرنسية قبل أعوام قليلة في جبل اللوذ ، عند مخرج طريق البخور في الجوف نحو نجران وشمال الجزيرة ، أن أوائل الملوك السبئيين الذين اتخذوا ذلك اللقب كانوا يسيطرون على كامل الرقعة الممتدة من هناك حتى بلاد أو مخلاف مقرى غربي المنطقة التي تقوم فيها ذمار ويتحكمون بذلك ، كما كانوا يتحكمون دائماً ، في مخرج الطرق التجارية نحو الشمال .

وهذا يدل في الوقت نفسه على أن الاستقرار القديم في قيعان النجد ومنها الرجة بقي على ما هو عليه بعد حدوث التحولات المذكورة في الركن الجنوبي الغربي .

١ - اختطاط صنعاء :

ثم بعد حين ، وفي منتصف القرن الأول أو بعده تقديراً ، قامت صنعاء مدينة تتقاسمها سبأ وفيشان ، أقامها ملك اسمه هلك أمر بن كرب إل وتر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان (G1.A.542) .

فما الذي أحوج السبئيين ، بعد كل تلك القرون ، إلى فرض

وجودهم الحسي في هذه البقعة الآمنة إلى جوار (شعوب) حاضرة
مأذن ؟

إن الاستيطان السبيّ حين كان يتم فيما سبق في أراضي قبائل
أخرى إنما كان يتم عادة على حساب تلك القبائل نتيجة إحساس بخطر
على مصالح الدولة السبيّة أو مقدمة لفرض هيمنتها على مناطق
جديدة .

ولكنهم اختاروا طريقاً آخر في هذه المرة إذ أبقوا على شعوب
حاضرة مقولة بني مأذن التي ظلت موالية لهم كما يظهر من النقوش في
الفترة اللاحقة وأقاموا صنعاء في مكان حصين إلى جوارها . فما هي
الملابس التي حتمت وجوداً سبيّاً في ذلك المكان وذلك الزمان هو
أشبه بالمدد ؟

ربما وجدنا الجواب على هذا التساؤل في الأحداث التي تداعت
بعد قيام صنعاء ووجود سبيين على مشارف الرحبة . ففي عهد
لاحق غير بعيد هو عهد كرب إل بيّن ملك سبأ وذي ريدان بن ذمار
علي ذرح نجد سبأ في صدام مع حضرموت في الجوف (جام ٦٤٣ +
٦٤٣ مكرر) . ثم نلاحظ أنه رغم الهزيمة النكراء التي مني بها الحضارمة
في تلك المعركة إلا أن المصائب توالى على سبأ بعد ذلك . فلم يلبث
أن ثارت شعوب (قبائل) بني ذي ريدان الحميريين في العهد التالي

مباشرة ، وهو عهد يهقم بن ذمار علي ذرح ملك سبأ وذي ريدان ، وجعلته يخوض بنفسه حرباً بلغت أنحاء يافع (روبان - برون بني بكر) . وبالمقابل فإن قبيلة شداد ، الموالية أو التابعة لبني ذي ريدان ، استولت في إحدى المراحل على القصر سلحين بمارب فيما كان الملك موجوداً بصنعاء . وقام بطردهم منه ومطاردتهم قيل غيان وقبيلته بأمر من الملك (جام ٦٤٤) .

٢ - المواجهة :

ولم يلبث أن استولى بنو ذي ريدان على قاع جهران والمناطق المجاورة على جانبيه ، وعندها اتخذوا اللقب المزدوج من جانبهم (C.40) وكانوا محقين في اتخاذه ، وذلك لأنهم أصبحوا يحكمون جزءاً من أراضى سبأ إلى جانب أراضيم الأصلية التي يرمز إليها في اللقب بنذي ريدان^(٨) .

حدث ذلك أواخر القرن الأول / أوائل القرن الثاني ، وأدّى إلى سقوط الأسرة الملكية السبئية التقليدية^(٩) . وبدأ في الجزء المتبقي من سبأ حكم ملوك من الأسر القيلية في النصف الشمالي من نجد الين ، خاصة : من جرة أصحاب نعص عند جبل كنين جنوب شرق صنعاء ،

(٨) بافقيه كأعلاه الفقرتان ٤ - ١ و ٢

(٩) بافقيه : في العربية السعيدة ، صنعاء ١٩٨٧ م ، من ٦٥ وهامش ١ و ٧

ومنهم بل أول الجميع نشأ كرب يهأمن يهرحب الأول الذي تخلى عن اللقب المزدوج (C.573 مثلاً) / ومن بني مرثد وذو كبير أقيان أصحاب عمران وشباب (كوكبان) ، ومنهم من أهمهم إلي شرح يحضب الأول (جام ٥٦٨) الذي يجعله النسب والإخباريون ابناً للصوار / ومن غيان القريبة من صنعاء ، ومنهم أنمار يهأمن على الأقل (عام ٥٦٢) ، ومن يقع وهان أصحاب ناعط وحاز ، ومنهم يريم أين (جام ٥٦٥) . وكلهم - كما لا يفوتنا أن نلاحظ - من الذين تحيط ديارهم بالرحبة وبصنعاء^(١٠) .

وأصبحت الرحبة وصنعاء ، بعد وصول بني ريدان إلى قاع جهران ، هي الخطوط الأمامية لدولة سبأ أو ما تبقى منها في مواجهة بني ذي ريدان ، يفصل بينهما نقيض يسلم ونقيض آخر مجاور اسمه (يجران) تكرر ذكرهما في النقوش السبئية (جام ٥٧٧) والحيرية (المعسال ٣) على السواء ، في سياقات تتصل بالمعارك بين الجانبين .

وطيلة قرنين هما الثاني والثالث ، ظلت الحرب تدور سجلاً بين ملوك سبأ الجدد الرافضين للحكم الريداني والملوك الجدد من بني ذي ريدان ، وظلت حضرموت طرفاً ثابتاً فيها لاعتبارات تتعلق بها وإن تقلبت مواقفها . وأصبحت الحرب في إحدى المراحل حرباً شاملة كما يقول نقش ليريم وأمين وهو قيل (C.315) .

(١٠) بأفقيه : (Le Yemen opcit, (Ch VIII et tableau II

كانت حمير قد أصبحت حينها الدولة الأقوى في غرب الين^(☆) ،
إذ انفردت بموزا (موزع) على البحر الأحمر أنشط الموانئ منذ حين
(الطواف ٢١ - ٢٤) إذ بلغ نشاطه أضعاف نشاط الميناء الأكسومي
المنافس أدوليس / عدولي (فقرة ٦) . وقد ساعد ذلك الحميريين على
مواصلة الضغط على سبأ حتى اضطرت إلى التحالف مع حضرموت في
الشرق وأكسوم عبر البحر في الغرب .

وإزداد الموقف تعقيداً بدخول الأحباش طرفاً في النزاع إذ تمكنوا
من الانتشار في تهامة طيلة القرن الثالث حتى أصبحوا يسيطرون على
البرين العربي والإفريقي في النصف الجنوبي من البحر الأحمر .

وعندها أصبحت أكسوم إحدى دول العالم الكبرى في ذلك القرن
كما يقول ماني الفارسي .

٣ - صنعاء والرحبة في النقوش :

وهكذا على مدار القرنين الثاني والثالث تردد اسم صنعاء والرحبة
في النقوش مقترنين في كثير من الأحوال .

ففي منتصف القرن الثاني وسبأ تخوض حرباً ضد تحالف
حضرمي قتباني يضم أطرافاً أخرى صغيرة (جام ٦٢٩) رابط في
(☆) وصف الطواف (فقرة ٢٣) دولة سبأ وذو ريدان بالدولة الأولى في بلاد العرب
وذلك في القرن الأول غالباً .

الرحبة كل أقيال حاشد وحملان ويُرسم ومعهم قيل بكيل ريذة ، بل وقيل لذمري التي كانت تتبع بني جره ، وذلك تحسباً من مفاجآت من الجانب الحميري . كما رابط في الوقت نفسه قيل الجراف (المجاورة لصنعاء) في صنعاء ذاتها ولم يرد حينها ذكر لغمدان .

كما ذكر نقش قتباني (CIAS47.82/02) من المرحلة نفسها قيام آخر ملوك قتبان واسمه (نبط) بالانتقال من مدينة (ذات غيل) إلى الرحبة للقاء ملك سبأ ثم إلى أرض حمير ، فهل لذلك من علاقة بالصلح الذي تمّ بعد الحرب الشاملة ؟

وفي القرن الثالث تكرر تردد الملكين إلي شرح يحضب الثاني وأخيه يازل يبن على مدينة صنعاء والرحبة ، وكانا يحرضان على تأكيد ذلك في نقوشهما التي يكثر فيها ذكر غمدان كما سنرى . وكان إلي شرح يقود المقاتلين منطلقاً من صنعاء إلى أرض حمير وإلى السراة حيث انتشرت عصابات الأحباش وكثرت تحرشات العشائر البدوية بالسبئيين بدفع حبشي (جام ٥٧٦ + ٥٧٧ و 954 + C.314) .

ويذكر نقش حميري فريد (المعسال ٢) هجوماً حميرياً على أرض مهدم والمعلل في الغرب من صنعاء ، وغارة على عدد من القرى في الرحبة كبيت سخيم وبيت نخيم اللذين لم يتخلف لهما أثر في المصادر الإسلامية .

٤ - غمدان في النقوش :

ويأتي أول ذكر لغمدان القصر الملكي بصنعاء في نقش لشعر أوتر الملك السبئي الكبير قبل اتخاذه اللقب المزدوج . جاء ذلك في عبارة :

« شعر أوتر ملك سبأ والبيت سلجين وغمدان وأتباعه (أدمهو) سبأ وفيشان » . (نامي : نقوش عربية جنوبية ١٢) .

وهذا يذكرنا بما قاله الهمداني بشأن بناء غمدان فهو يقول : « إن الذي بنى غمدان إلي شرح يحضب ، وإن شعر أوتر هو الذي أوصل بنيان القصور وأحاط صنعاء بجائط » (الإلكيل ٤/٨ - ١٩) .

والهمداني هو أيضاً الذي قال في مناسبة أخرى إن هناك من ينسب بناء غمدان إلى ابن لإلي شرح يحضب يختلف الرواة في اسمه فمنهم من يجعله عمرو يثأر وينعته بذئ غمدان ، ومنهم من يقول إن اسمه هو وتار (الإلكيل ١٠٢/٢) . ونحن نعرف أن إلي شرح يحضب الأول (ابن الصوار) له ابن اسمه وتار حكم بعده (جام ٦٠١ مثلاً) . وإلي شرح يحضب الأول هو الذي قابل التحدي الريداني بالرجوع إلى اللقب المزدوج . وليس هناك ما يمنع من أن يكون ما قاله الهمداني له أساس من واقع مذكور في نقوش كانت معروفة على أيامه ولم تصل إلينا بعد .

والمهم في كل الأحوال هو أن قيام غمدان في صنعاء معناه أنها أصبحت عاصمة ثانية ، وهذه في تقديرنا حالة نادرة أو فريدة في التاريخ اليمني القديم أملتتها الظروف التي اقتضت وجود الملوك في صنعاء والرحبة لفترات طويلة . وقد رأيناهم يترددون عليها أيام يهاجم (جام ٦٤٤) إبان احتلال سلحين وأيام كرب إل وتر يهنم بن وهب إل يحوز الذي أوكل أمر سلحين في إحدى الفترات إلى قيل غيان فوصف القيل المذكور أسرته بني ذي غيان بأنهم أصحاب القصر سلحين (أبعل بيتن سلحن) (جام ٥٦٤) .

ونحن نعرف أن القصر بالنسبة إلى الملك في عاصمته كما هو أيضاً بالنسبة إلى القيل في حاضرة مقولته هو مركز السلطة ورمزها . ولدينا في هذا الصدد نص ممتع لأحد أقيال ردمان هو لحيعة يرخم بن وهب إل يحوز (جام ٢٨٦٧) فقد جاء فيه قوله : « واشعبها أشعب يقلن وخرج بن بيتهو هران » . أي : وقبائلهم تلك القبائل التي يتقيل عليها ويحكمها من قصرهم هران . وقد يجمع القيل بين قصرين حين يجمع بين قباله مقولتين مثلاً كما حدث في أحوال كثيرة منها حالة الأقيال اليزنيين في القرن الرابع حين كان لهم القصر (يزأن) في عبدان والقصر (يحضر) في حلزوم (نقش عبدان الكبير) .

ولكن هذا الجمع بين القصور كان على ما يبدو من نتاج الظروف

المضطربة التي رافقت الحروب الضارية وتقلب التحالفات ، فهو تطور لاحق أدخل على القاعدة التي تقضي بوحدة المقولة كما تقضي بوحدة المملكة ووحدة السلطة ومن ثم وحدة القصر الرمز .

ولعل عبارة ، البيت سلحين وغمدان (بصيغة المفرد) في نقش شعر أوتر المتقدم ذكره هي من قبيل تأكيد وحدة السلطة واعتبار القصرين بمثابة القصر الواحد وأن غمدان ليس إلا امتداداً لسلحين في صنعاء ، ولا غرابة في ذلك فقد دأبت النقوش على اللجوء إلى أساليب رمزية في التعبير لتأكيد الوحدة في جوانب أخرى ، ففراها تصف أحياناً شعبين (قبيلتين) بأنها قبيلة واحدة كما في حالة ردمان وخولان قبيلتي بني معاهر وذي خولان وحالة ضيفتن ومشرقن قبيلتي اليزنيين حين أصبحوا أذواء يزن ويلغب مثلاً إلخ .

وإنه لمن قبيل الرمز بلا شك ما جاء في نقش (الإرياني ٩٠) عن وصف التحالف العابر الذي تم بين الأخوين إلي شرح ويأزل من جهة وشهر يحمد من الجهة الأخرى ، فقد وصف ذلك الاتفاق بين الجانبين السبئي والحيري بأنه تأخ بينهما (وحشك) (اتحاد حميم) بين سلحين وريدان .

ونحن نميل إلى الاعتقاد بأن قيام نظام سبأ وذي ريدان الذي يرمز إليه اللقب المزدوج إنما تم منذ البداية على أساس حلف أو اتحاد

من هذا القبيل . ولعله عند ذلك اتخذ الرمز المونجرامي الشهير الذي يشبه نخلة زخرفية (𐤎) ، والذي زينت به العملات المضروبة باسم القصر ريدان كما زينت به نقوش بني ذي ريدان وأقيالهم مثل نقش بيت ضبعان (الإرياني ٤٠) فهذا الرمز - مهما كانت مكوناته - إنما يرمز إلى سبأ وحمير معاً ، ومن ثم ينبغي أن يشير إلى القصرين سلحين وريدان .

وقد يؤكد ذلك وروده فيما يمكن اعتباره خاتم التبابعة الذي ختمت به نقوشهم بعد ضم حضرموت ، فهو يتكون من ثلاثة مونوجرامات متعاقبة أولها 𐤎 : الذي يجمع حروف كلمة (بحلف) ، والثاني هو هذا الرمز الشبيه بالنخلة ، وثالثها هو المونوجرام 𐤎 لكلمة شقر (شقير) اسم القصر الملكي في شبوة ومقر الملك بها (الإرياني ١٣) . فالخاتم إنما يقول « بحلف سبأ وحمير وحضرموت » كناية عن الطبيعة الاتحادية لدولة التبابعة ، والاتحاد بعد هو سمة الحكم في اليمن القديم^(١١) . ومع أن كل ما تقدم إنما يؤكد هامشية غمدان كرمز للسلطة إلا أن القصر كان أيام الأخوين إلي شرح ويأزل موضع عنايتهما لكثرة ما اضطرتها ظروف الحرب في المرتفعات وفي أنحاء السراة وتهامة إلى الانطلاق منه والعودة إليه .
فهما يذكران في أهم نقوشهما المعروفة عودتهما من الحروب إلى سلحين

(١١) بافقيه : تحالف سبأ وحمير وحضرموت ، ريدان ، عدن ١٩٨٨ م .

وغندان ، بالنون ، والمحرمين ومارب وصنعاء ونشق وكل مقاولهم ،
(جام ٥٧٦ + ٥٧٧) . ومقاولهم هنا لغة في أقيالهم والمقصود أنهم
عادوا ومعهم الأقيال .

بل إنه حين سحق الملكان ثورة أو تمرداً أو انقلاباً داخلياً قام به
القيـل غـران أو كن فقد وصف أحد أتباعها استعادتها لزمـام الأمور
بعبارة :

« ستوفين ملك ونبت وأتوت مرأيهـمـو إلي شرح يحضب وأخيه
يأزل بيّن ملكي سبأ وذي ريدان بني فارع ينهب ملك سبأ عدي
البيتين سلحين وغمدان » (الإرياني ١٨) ، أي تحقيق ملك وانتصار
وعودة سيديهم إلي شرح ... ويأزل ... إلى القصرين سلحين وغمدان .
ولكن هذا التركيز على غمدان أيام الأخوين المذكورين يعد حالة
خاصة لا تسمح بوضعه في مصاف واحد مع سلحين . ويأتي تأكيد
ذلك من نقوش عهد ابنهما وخليفتهما نشأ كرب يامن يهـرحـب الثاني
آخر الملوك السبئيين ، فهو حين أحس بالأخطار تتهدد ملكه كما
تهددت من قبل ملك سميـه نشأ كرب الأول (C.573) ، فإنه لم يذكر
غمدان ، وإنما اقتصر في تقدماته العديدة إلى معبوده المقه في محرمه
بمارب على الدعاء للملكه وقصره سلحين وحده . (جام ٦٠٨ - ٦١١) ،
ولا غرابة فسلحين هو القصر الذي انتقل ياسر يهنـم وابنه شمر يرعش

من ظفار إلى مارب خصيصاً لاستلامه ، تكريساً وإشهاراً لتوحيدهما دولتي سبأ وحمير من جديد (الإرياني ١٤) .

وهكذا تحقق ذلك المشروع الذي بدأته الأسرة التقليدية الملكية في سبأ فتعرضت بسببه لمتاعب جمة من داخل المملكة ومن خارجها - متاعب أدت إلى سقوطها كما أسلفنا . وبتحقيق وحدة سبأ وحمير بدأت مرحلة جديدة في التاريخ اليمني بخاصة والعربي بعامة هي مرحلة التبابعة التي دامت قرنين توحد خلالها اليمن .

٣- صنعاء عاصمة اليمن

وتسكت النقوش المعروفة بعد ذلك عن غمدان ولكننا نعرف أنه بقي شامخاً يتردد عليه الملوك كما يقول الهمداني ويزيدون فيه حتى هدم أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أكل ما يكون .

وإذا كان مركز الثقل قد انتقل بانفراد التبابعة بني ذي ريدان بالملك ، إلى ظفار وإلى قصرهم ريدان فيها ، وإذا كان بعض أتباعهم قد اكتفى بالإشارة إليهم في النقوش بأنهم أصحاب القصر ريدان (أبعل بيتين ريدان) كما كان يفعل أتباعهم من قبل منذ كانوا أذواء ، فإن انهيار دولة التبابعة في مطلع القرن السادس ، وظهور ذي نواس يوسف أسار يثأر ، الذي يسميه أنصاره ملك كل الشعوب ، قد تسببا في أن يصبح غمدان ، دون غيره من القصور ، هو القصر الأوحـد ،

وصنعاء - دون غيرها من المدن - هي العاصمة المركزية الواحدة . فهل
دار شيء من ذلك بخلد هلك أمر حين اختطها ووطن فيها جماعات
من قبيلته مستلهمًا تلك الاستراتيجية التي وضعها أسلافه ، ربما قبل
كرب إل وتر الملك - المكرب ؟

لقد دار الزمان دورات عديدة يحوم حول الرجة وصنعاء قبل
أن تحتل صنعاء مكانها الطبيعي عاصمة مركزية لليمن .



الأقبايل والأذواء

ونظام الحكم في اليمن القديم (☆)

القيـل والذو :

لكل سـلالة من الأقبايل أو الأذواء في النقوش اسم يتقدمه لفظ (بن) أو (ذو) للمفرد ، و (بنو) أو (ألـهـت) بمعنى أذواء للجمع .

ولم تتضح بعد تماماً العلاقة الزمنية بين ظهور كل من اللقبين . ولكنه ثابت أنها تعايشا منذ عصر ما قبل الميلاد ، وأنها يمثلان من ناحية المكانة الاجتماعية لحامل أي منهما وضعاً مشابهاً للآخر على وجه الإجمال . فلكل من القيل والذو أراض وأتباع عليها يحكمهم .

على أنه يبدو فيما يتعلق بالأقبايل أنهم أو بعضهم كانوا في بداية ظهورهم أمراء حلّوا مكان بعض ملوك القبائل الصغار الذين كانت اليمن تعج بهم في العصر العتيق (R.3945) .

(☆) ألقى هذا البحث في ندوة أقسام الآثار بالجامعات العربية المنعقدة بجامعة صنعاء - إبريل ١٩٨٦ ، ونشر في اليمن الجديد ، ثم في دراسات يمنية العدد ٢٧ صنعاء ، يناير - مارس ١٩٨٧ ، ص ١٤١ - ١٥٤

ولقد كانت هناك إلى جانب الأقيال والأذواء فئات أخرى ، خاصة في سبأ ، هم غالباً رؤساء تلك القبيلة أو الاتحاد القبلي الذين يتميزون بلقب (كبير) مضافاً إلى اسم العشيرة مثل (كبير خليل) و (كبير أقيان) . وشبيه بهم أيضاً أولئك الزعماء الذين كان يكتفى في تمييز مكانة الواحد منهم بلفظة (بن) مضافة إلى اسم العشيرة مثل (بن جدن) و (بن حزفر) . ولعله من بين أمثال أولئك الزعماء جميعاً من كان ينطبق عليه وصف (الأسبوء) الذي قد لا يعني أكثر من جمع (سبئي) ، مصاغاً على وزن الأفعول المعروف . والذي يكتب في النقوش (أسبءن) . وكان الأسبوء ، في مرحلة من المراحل على الأقل ، يتقدمون في المكانة على الأقيال في مملكة سبأ (جام ٦٢٩ مثلاً) .

على أن (بن) لم يكن دخولها مقتصرًا على أسماء زعماء عشائر سبأ فهي تتقدم أسماء بعض السلالات القبلية الأخرى فيقال ، على سبيل المثال ، (بن همدان) لأقيال حاشد مع ذكر لقب (قول) أي قيل وجمعه أقوال بعد ذلك أو بدونه .

ألقاب إماراة :

المهم في أمر كل هذه الأسماء أو الألقاب : (بن ، وذو ، وكبير ، وقيل) ، أنها جميعاً تستخدم لتمييز أمراء محليين يتفاوتون من ناحية

الاهمية أو القوة الاقتصادية - السياسية ، بمقدار ما يملكون من أرض وعدد من يتبعهم من حملة السلاح هم الذين إذا وجدوا ينسبون إلى الأقبال ومن في مستواهم فيقال : (شعبهم) .. كما في (شعبهم حاشد) مثلاً بالنسبة إلى بني همدان .

وهناك ما يوحي بأنه في حالة (الذو) يتفق أحياناً لقب السلالة الحاكمة واسم الشعب الذي يتبعها . (فذو ريدان) مثلاً هو لقب الإمارة الأصلي في بني ذي ريدان الذين أصبحوا ملوكاً في آخر المطاف . وهو أيضاً كما يظهر من وروده في اللقب الملكي (ملك سبأ وذي ريدان) اسم الشعب الذي يتبع بني ذي ريدان إذ يأتي بمعنى أهل ريدان ، والريدانيين كما في عبارة (ذي ين) التي ترد بمعنى أهل الين أو الينيين .

القبالة :

وكل هذه التسميات تمثل أوضاعاً هي من نتاج الأحوال الطبيعية للبلاد وتضاريسها التي لم تكن تسمح في ظروف العصر بقيام حكم مركزي مباشر حتى مع وجود قوة ذات وزن كبير كقوة سبأ مثلاً خلال قرون عديدة . فقد أدت تلك الأحوال الطبيعية إلى قيام تجمعات متفرقة تسمى في النقوش (شعوب) يحكم معظمها إن لم يكن كل واحد منها في المراحل المبكرة حاكم محلي بلقب ملك ، ثم مع تضخم

وزيادة قوة بعض تلك الممالك القبلية كما حدث لسبأ ، تمكنت تلك المملكة من إخضاع الشعوب أو القبائل الصغيرة وملوكها . فنشأت الحاجة إلى التمييز بين لقب الملك الأعلى أو (ملك الأملاك) - ولا ملك للأملاك إلا الله - وألقاب الملوك التابعين . وتمّ ذلك من خلال تطور أدى إلى قيام أو انتشار نظام القيالة فاختلف مع الوقت لقب الملك في الشعوب التابعة ليحل محله لقب (قيل) .

ولكن بعض المناطق لم يحدث فيها التحول إلى لقب القيل بهذه الطريقة وإنما اتخذ مساراً مختلفاً ، ومراً أحياناً بمرحلة واحدة وسطى على الأقل كان فيها الحاكم المحلي يلقب بـ (كبير) - اللقب المتقدم ذكره . فهذا ما نلمسه من تاريخ سبأ حين أوكل إلى بعض (كبار) العشائر أمر الاستيلاء على مناطق معينة على رأس مستوطنين من العشائر السبئية وأتباعها . وهذا هو - في نظرنا - التفسير المحتمل للقب (كبير أقيان) الذي حمّله طويلاً أقبال بكيل شام (كوكبان) ، ثم تخلّوا عنه في المراحل المتأخرة وأصبحوا يعرفون بـ (بن أقيان) تتبعها صفة القيالة التي اكتسبها قبل ذلك (الإرياني ١٣ مثلاً) .

وهذه الطريقة التقى الأقبال الذين اختلفت ظروف وصولهم إلى مرتبة أو لقب القيالة .

لقد ساعدتنا الكثرة النسبية للنقوش السبئية المعروفة على تتبع

تطور نظام القِيالة في النصف الشمالي من نجد الين حيث كانت تقوم مملكة (سمعى)^(١) التي عرف جزآن منها على الأقل لقب القيل منذ فترة مبكرة (C.37) . والتي قد تكون هي مهد نظام القِيالة .

الأذوائية :

أما منشأ الأذوائية فما زال يكتنفه بعض الغموض . وكل ما يمكن قوله هو أن لقب (ذو) لم يعرف في النصف الشمالي المذكور إلا في مرحلة متأخرة نسبياً ، وهو أمر قد تكون له دلالاته .

ومع ذلك فيبدو أن لقب (ذو) قديم حمله زعماء أو أمراء الجماعات الصغيرة في المناطق التي لا تتسم بالاتساع من قيعان وأودية صغيرة تتخلل الجبال الشاهقة . وإن كان ذلك لم يحل دون توسع نفوذ بعض الأذواء حين تيسرت لهم الأسباب المعينة على ذلك .

وأقرب المناطق التي عرفت لقب (ذو) إلى أراضى (سمعى) مهد القِيالة هي منطقة (غيان) التي لا تبعد كثيراً عن الرحبة ، كما

(١) انظر بشأن (سمعى) مقالنا « بنو جرة وبنو ذرآنح .. » ، في « العربية السعيدة » صنعاء ١٩٨٧ ، ص ٤٨ ، هامش ٩ ، ويميل بعض علماء النقوش من الغربيين إلى كتابة الاسم على صورة سمعاي ، ونميل نحن إلى أنها سمعا أو سمعى مماله إذ تذكرنا باسم « اسعين » (ينبق ٤٧) وهي الأسعى والأسعاء في المصادر العربية الإسلامية .

يستدل من لقب أمرائها حين اتخذوا لقب القيل فهم يعرفون في أكثر النقوش بـ (بني ذي غيان) تماماً كبني ذي ريدان الأذواء الذين يبدو أنهم لم يروا في تاريخهم بمرحلة حمل لقب القيل .

وعلى العموم فإن معظم ألقاب الأذوائية ، إن لم يكن كلها ، ترتبط باسم موضع يكبر أو يصغر ينسب إليه الأذواء وأتباعهم . فذو ريدان مثلاً هو في الأصل لقب صاحب القصر (أو البيت كما في النقوش) ريدان في ظفار الحاضرة الحميرية . وقصور الأذواء هي كقصور الأقيال ، بل والملوك ، رمز السلطة ومركزها .

هذا ويلاحظ أن أغلب الزعماء في الأودية التي كانت في المنخفضات حول رملة السبعين هم كلهم أذواء كما في (ذي يلغ)^(٢) ، و (ذي أبي فهد) ، و (ذي ابيدع وعمر) أو عامر (إلخ) . (المعسال) . وإن كان من المحتمل أنهم كانوا يعرفون

(٢) (ذو يلغ) لقب أذواء مستقلين بذاتهم اتخذهم اليزينيون كلقب إضافي حين ضمت إليهم أذوائيتهم المسماة أيضاً (ذو يلغ) كما في (نقش عبدان الكبير) . وكان القصر (يحضر) في مدينة (حلزوم) قصرهم ، ولعل تبعية المشرق لليزنيين جاءت نتيجة لذلك (قارن بمشقيتين في (R.3856) وجام ٦٢٩) . وتجدر بنا الإشارة إلى أن (ذا) كبران في لقب اليزنيين إنما يقترن (بضيفتين) المكان والسكان (R.3945) . ويلاحظ أن القصر (ذا يزأن) في عبدان يقابله في القديم المحفد (ذو يزأن) أحد محافد ضيفتين (R.3687) .

في نقوشهم ب (بن) منسوبة إلى أسرهم كما في (بن قسم)
(R.3856) .

أقيال حضرموت :

كنا قد قلنا في بحث لنا أن حضرموت عرفت نظام القيالة وهو صحيح من حيث أن نظام القيالة هو الاسم الذي يمكن أن يصف نظام الحكم المحلي في الممالك اليمنية القديمة التي كانت تقوم على أساس اتحادي أو شبه اتحادي يتمتع فيه الأمراء المحليون - اختلفت ألقابهم - باستقلال ذاتي .

ولكننا نود أن نقول هنا أن لقب (قيل) في حضرموت لم يعرف صراحة . والنقش الوحيد الذي عثر عليه هناك ولم ينشر بعد^(٢) يبدو لنا الآن أنه ليزنيين من المراحل الأخيرة .

والأرجح هو أن ما عرفته حضرموت كان لقب (ذو) كما في (ذي عينات) (جام ٩٨٤ من العقلة) وربما لقب (كبير) أيضاً ،

(٢) جيء إلينا بهذا النقش في متحف المكلا عام ١٩٦٥ م فيما أذكر وقيل لنا إنه من أنحاء غيل بن يمين بحضرموت . هو جزء من مسند أكبر مزبور بأحرف بارزة على الطريقة المتبعة في نقوش العهود المتأخرة . وتذكرنا أسماء الأقيال فيه باليزنيين . ولم تنجح صورة أخذناها له على عجل بغرض نشر النص فعدلنا عن ذلك في انتظار صورة أفضل ونحن بصدد نشره في ريدان ٦

خاصة في عبارة (كبير حضرموت) القبيلة وليس الدولة ، التي وردت في نقوش حضرمية من الفترة العتيقة وذكرت في نقش لأبرهة في سياق سرده للأقيال الذين كانوا في ركابه (C.541) .

أما ما جاء في (الإرياني ١٣) من ذكر لأقيال شبوة فلا نظنه يعني أن شبوة حاضرة حضرموت كان يقتسمها أقيال أو حتى تحكمها أسرة واحدة من الأقيال ، فهي مركز السلطة الملكية وفيها قصر الملوك (شقير) كما يذكر النقش نفسه . ولهذا فالتفسير المحتمل لعبارة (أقيال شبوة) في النقش المذكور هو أنهم أمراء من مستوى الأقيال عند السبئيين . فالنقوش السبئية سبق أن استخدمت صفة أقيال للأمراء الأحباش وليس في نظام الحكم الحبشي لقب (قيل) ، ولكن هناك ما يشبهه كما في (رأس) حتى عهد (هيلاسلاسي) الذي كان قبل توليه العرش ، عنوة أو خدعة ، يعرف بلقب (رأس تفرى) . ولعل هذا من أوجه التشابه الثقافي القديم بين البلدين ^(٤) .

والخلاصة هي أن مسألة الألقاب اليمنية التي تبلورت في (قيل) و (ذو) المتداخلين إنما تعكس صورة النظام الذي يمكن أن نسميه

(٤) لدينا من النقوش السبئية لفظة (مرأس) التي استخدمت لوصف رؤساء بعض العشائر عند القبيلة وذلك بعد لفظة (كبار) ومعطوفة عليها مما قد يدل على أن (مرأس) تأتي في ترتيب المكانة بعد (كبار) .

بنظام القِيالة ، كما نفعل منذ حين في أبحاثنا ، وهو نظام يجوز وصفه بأنه (شبه إقطاعي) لتقريبه إلى الأذهان ولو أنه متقدم تاريخياً على نشوء ما عرف في مواضع أخرى بالإقطاع .

تغلب الأذوائية :

بمجيء حكم التبابعة من مطلع القرن الرابع أخذت صفة أو لقب (الذو) تتغلب على صفة (بن) المقابلة لها من بعض الوجوه ، خاصة في المناطق الشمالية كما تقدم . وتظهر بوادر ذلك التحول في نقش سبئي حميري يوصف فيه شخص معين ، وهو كبير أعراب الجيش البدوي ، تارة بـ (بن جـدن) وأخرى بـ (ذي جـدن) (جام ٦٦٥) . ولعل ذلك مبدأ اعتبار الجدنيين من الأذواء بل وجعلهم من المثامنة^(٥) . ولا بد أن ذلك من آثار الحكم الحميري بعد توصل بني ذي ريدان إلى الجمع بين حكم سبأ وحمير معاً (الإرياني ١٤) .

(٥) عالجتنا موضوع (المثامنة) في ورقة قرئت في ندوة الذكرى الألفية للهمداني في جامعة صنعاء في أكتوبر ١٩٨١ م ، انظر (في العريضة السعيدة) صنعاء ١٩٨٧ م . على أننا نود أن نضيف أن المثامنة - في الأصل - ربما كانوا هم الأسبوء الذين جاء ذكرهم في ثنايا المقال ، وأن تفرق للملك أي الحكم بعد ذي يزن لم يقتصر عليهم ، وأن ذلك يفسر الاختلاف في أسماء المثامنة كما عند ابن رسول مثلاً في طرفة الأصحاب .. (انظر الهامش ١٢ هنا) .

ولكن حلول (ذو) محل (بن)^(٦) لم يؤد إلى تحويل لقب (قيل) الذي احتفظ ببريقه ، بل وازداد مع الزمن لمعاناً . فصفة القيل هي التي ظلت تسبق في النقوش اسم الشعب أو الشعوب التابعة للذو - القيل . فيقال في النقوش المحيرية « فلان ذو كذا قيل الشعب كذا » بدلاً من « فلان بن كذا قيل الشعب كذا » في النقوش السبئية الأقدم ، أو حتى فلان بن كذا وذو كذا قيل الشعب كذا أو الشعبين (كما في حالة بني معاهر مثلاً) .

وتتجلى العلاقة المتداخلة المتطابقة أو ربما المكررة بين (الذو) و (القيل) في وصف الأمراء المحليين في نقش أبرهة (م ٥٤١) حيث يتحدث الملك عن مؤيديه أو مرافقيه من الأقبال (هكذا) فيذكرهم جميعاً وبلا استثناء إلا في حال (كبير حضرموت) متبوعين بصفة أو لقب (ذو) مثل : عادل ذو فائش ، وعلس ذو يزأن ، بل وابنه (ابن أبرهة) يكسوم (أكسوم في النقش) ذو معاهر إلخ .

(٦) هناك نقش يزني (ريكانز ٥٠٨) من منطقة كوكب شمالي نجران جاءت فيه عبارة (بنو يزن وجدن إلخ ..) وهذا قد يدل على أن (بنو) في النقش هي من تأثير الجذنين كعادة أسلافهم في سبأ . فالعادات لاتزول بسهولة ولعل لفظ (بن) قد ظل باقياً في الاستعمال اليومي خارج النقوش الرسمية التي من عاداتها الالتزام بما يمكن تسميته باللغة الرسمية أو لغة الدولة .

تضخم الأذوائيات :

هناك اتجاه قديم يجعل من الممكن أن يجمع القليل بين أكثر من مقولة أو أذوائية^(٧) وجد في فترة (ملوك سبأ وذي ريدان) المضطربة . وكان من أسباب ذلك تقلب المقولات بين الجانبين من جهة ، والحاجة إلى وضع المقاتلين من الشعوب تحت قيادة عسكرية محنكة . ولا غرابة فالأقيال (كالملوك) إنما هم أرستقراطية محاربة إلى جانب أنهم ملاك أراضٍ وحماة أراضٍ تملكها الشريحة أو الشرائح التي تليهم في الترتيب الاجتماعي ، وخاصة أولئك الذين يطلق عليهم وصف (شعبهم) كحاشد بالنسبة إلى بني همدان ، والذين هم بدورهم من حملة السلاح [قارن بحالة (القبيلي) حتى وقت قريب في اليمن] .

وقد أدى تضخم الأذوائيات الذي شجعه الملوك في البداية إلى خلق كتل قبلية - أذوائية كبيرة . فهذه ، وإن اختلفت العوامل بعض الشيء ، حالة بني ذي ريدان حين كانوا أذواء عندما أصبح لهم شعوب عديدة تتبعهم تعرف في النقوش بـ (شعوب ذي ريدان) وهم الشعوب التي قام عليها ما يمكن اعتباره الاتحاد الحميري الذي أوصل بني

(٧) نستخدم (مقولة) بمعنى مقاطعة قبلية أي تابعة لأقيال كما في المصادر العربية الإسلامية وإن لم ترد صراحة بهذه الصورة في النقوش المعروفة . ونضع في مقابلها أذوائية للمقاطعة التي يحكمها أمير بلقب (ذو) .

ذي ريدان إلى مرتبة الملك فالتباعة^(٨) . وهي حالة ظهور ما يسمى (شعوب ذي همدان) الذي هو أساس الاتحاد الهمداني القائم إلى اليوم من حاشد وبكيل .

وشيء من هذا القبيل حدث لليزنيين ابتداء من القرن الرابع وحتى منتصف القرن الخامس (R.5085) أو إلى ما وراء ذلك قليلاً .

اليزنيون الجذنيون - بنو لحيفة يرخم ونزعة التفكك :

أما ما كان من أمر اتساع نفوذهم بعد أن أضيفت إليهم صفة (ذي جدن) في المراحل الأخيرة من حكم التبابعة كما يظهر من (R.4069) المؤرخ بعام ٦٩٠ حميري = ٤٨٠ م ، كما ثبت حديثاً من صورة أخذها للنقش السيد (ريمي ادوان) وخاصة من مطلع القرن السادس (ينبق ٤٧) فهو أكثر من مجرد تطبيق للاتجاه القديم نحو تكوين الكتل الكبيرة الخاضعة للأذواء .

وفي هذا الصدد ينبغي ملاحظة أنه يصعب القول بأن اقتران (ذي جدن) بذئ يز ن مجرد دلالة على اتساع لنفوذ بني ملشان (نقش عبدان الكبير) (R.5085) ، فتقدم اسم يز ن على جدن

(٨) نقصد (بالتباعة) ، كما في بعض المصادر العربية الإسلامية مرتبة الملوك الذين يطلق عليهم تبابعة في تلك المصادر ، هذا ومع أنه اكتشف وجود الجذر (تبع) في النقوش إلا أن (تبع) لقباً للملوك لم يرد في نقش معروف .

لا يعني صورة ضم اليزنيين من نسل ملشان لأذوائية جدن (قارن تقدم بتع على همدان تحت علهان نهفان الهمداني) . وفي كل الأحوال فإن اليزنيين الجدنيين إلخ .. هم في هذه المرحلة أبناء رجل اسمه لحيعة يرخم يحتمل أن يكون جدياً (ريكانز 513 ، 514)^(٩) .

على أن المهم هو أن النقش (ينبق ٤٧) الذي يبدو فيه الأذواء اليزنيون الجدنيون عام ٥١٠ - بعد ما يزيد على ربع قرن على ظهور ذي جدن إلى جوار ذي يزن - سادة للنصف الشرقي من مملكة التبابعة بأكمله إنما يمثل بداية وإرهاصاً أو تحضيراً للثورة التي تلت ذلك بقيادة يوسف أسار يثار (جام ١٠٢٨) ، ربما في عام ٥١٧ م .

ومثل ذلك ما حدث قبل عام ٥٢٥ م من اتساع أكثر لنفوذ سميفع أشوع ذي الكلاع^(١٠) ، ويزن وجدن إلخ (C.621) ، فقد كان مقدمة لتحول آخر واستعداداً لنقلة جديدة تبلورت في وصول سميفع أشوع إلى العرش بدعم حبشي .

(٩) مع ذلك لا ينبغي أن تفوتنا ملاحظة أن اسم السلالة القبلية يتبادله من يتولون قبالة المقولة بغض النظر عن الأسرة التي ينتون إليها في الأصل . ونحن لانعرف شيئاً عن ملشان وأسرته قبل أن يظهرُوا في عبدان التي بنوا فيها أو جددوا بناء (بيت ذي يزن) (نقش عبدان الكبير) .

(١٠) يفترض أن سميفع أشوع هذا أحد الأقبال الذين ذكروا في النقوش اليزنية الجدية . ولكنه قدم صفة (ذي الكلاع) التي اتخذها أو حصل عليها بآخره على

ولم يكن في التجمع من أجل انتزاع السلطة ما هو جديد أو مستغرب ، بل إن الاستعانة بأطراف خارجية في مواجهة طرف يعني داخلي لم يكن بالأول من نوعه ولا بالأخير^(١١) .

إن الجديد هو أن ما جرى في القرن السادس في الين جاء في إطار أزمة أكبر من أن يحلها ذلك الأسلوب القديم . هذا إلى أن دولة التبابعة بلغت من الاتساع حداً تجاوز إمكانات نظام القيالة أسلوباً للحكم . فكان أن انهارت السلطة المركزية واقتسم النفوذ في الين أذواء غير أذواء مثامنة أو غير مثامنة^(١٢) .

المخاليف :

هذا وإذا صح ما تقولوه المصادر العربية الإسلامية عن تقسيم الين إلى مخاليف فإن ذلك يكون دليلاً على أنه في وقت ما ، ربما بعد التبابعة ، أدخلت هذه التسمية بين أسماء التقسيمات الإقليمية في الين ،

= الألقاب التقليدية للأسرة . لعل ذكر تلك الحقيقة هي التي جعلت بعض الإخباريين يقولون بأن الكلاع تكلفت على سميع بن ناكور إلخ ..

(١١) هذا ما حدث أيام علهان نهفان حين استعان بالأحباش ضد حمير وهو ما حدث في محاولة اليزنيين استعادة الملك بعد انقلاب أبرهة على سميع بمعاونة الفرس .

(١٢) ينبغي ألا نأخذ ما يقال عن اقتسام المثامنة للملك بعد ذي نواس أو بعد سيف بن ذي يزن [انظر مقالنا (المثامنة) المشار إليه في الهامش ه أعلاه] على علاته إذ إننا نعلم من تاريخ صدر الإسلام أن ألقاب حكام الأقاليم اليمنية متعددة .

ولكنه لا يوجد مصدر معروف واحد يعالج نشأة التسمية وإنما تأخذها المصادر جميعاً قضية مسلماً بها .

وكل ما لدينا في النقوش مما قد يكون له صلة بالجذر الذي اشتق منه اسم (مخلاف) هو لفظتا خليفة واستخلف في نقوش أبرهة بالذات ، وذلك حين تحدث عن استخلافه ليزيد بن كبشة الكندي على الأعراب في منطقة العبر بحزموت (C.541) واستخلافه للمنذر الثالث اللخمي على معد (ريكانز 506) . والعقبة الوحيدة هنا هي أن أحداً لم يصف العبر بأنها مخلاف ، كما يصعب اعتبار المناطق المعدية التي دانت لأبرهة من المخاليف ، لأن استخدام اصطلاح مخلاف في التاريخ الإسلامي يقتصر على الين .

على أنه ينبغي القول بأن لا غبار على اعتبار نظام الاستخلاف أساساً لقيام المخاليف ، وأن الخليفة هو في الأصل نائب للملك في مخالفه ومن ثم فهو امتداد من نوع ما لنظام القيالة بمعناه الواسع .

المقتوون :

لاحظنا عند الكلام عن (القيالة) أن الأقيال وكذلك الأذواء يتبعهم شعوب . وكنا قد بينّا في دراسات متتالية سابقة دور القيل في قيادة شعبه ، وما قد يلحق به من شعوب في المعارك حيث تتكون من كل شعب قوة شعبية أو (ميليشيا) كما قد يفضل البعض ، نخوض

المعارك تحت إمرته ، وقارنا بين دوره العسكري كقائد محلي ودور الملك كقائد أعلى . فنظام القيالة يقتضي أن يكون الحكام ، ملوكاً وأقياًلاً وأذواء ، متمرسين في أساليب القتال^(١٣) ، صالحين لقيادة المقاتلين .

ونعتقد أنه انطلاقاً من ذلك الواقع ظهر أو تبلور مع الوقت ما يمكن تسميته بنظام (الاقتواء) الذي يكون للملك بموجبه مساعدون يسمون مقتوين^(١٤) ، هم عادة من خيرة القادة العسكريين يتولون قيادة قوات مختلفة من شعوب متفرقة يخالطها أحياناً بعض الأعراب . بل وينوب المقتوي في بعض الأحيان عن الملك في قيادة الخيس (جيش الملك والمملكة الرسمي) أو مفرزات منه . ولو أنه ليس هناك ما يدل دلالة قاطعة على أن مقتوي الملوك كانوا جميعاً من الأقيال وإن كانوا أغلب الظن من المرتبة نفسها (قارن جام 634 و 635) .

(١٣) انظر مقالنا (هوامش على نقش عبدان الكبير) في ريدان العدد الرابع ١٩٨١ م ،

ومقالنا (عودة إلى نقش عبدان الكبير) في العدد الخامس ١٩٨٨

(١٤) ربما كان لفظ مقتوي في أصله لا يتجاوز في معناه المعاون وقد عرف في المعاجم العربية أخذاً عن الين في الغالب وقلل من شأنه في الأعين استخدام عمرو بن كلثوم له في شطر بيته الشعري الغاضب الساخر الذي يقول فيه مخاطباً عمرو بن هند :

(متى كنا لأملك مقتوياً ؟)

هذا وقد كان لكبار الأقيال بدورهم مقتوون مما قد يؤكد معنى (المعاون) .

شعب وعشائر :

ولما أنه تكررت الإشارة هنا إلى اسم (شعب) فإنه يحسن بنا أن نوضح التباساً وقع فيه بعض الدارسين حين قابلوا بين اسمي (شعب) و (عشيرة) في النقوش ، مستعينين بما جاء في بعض المصادر العربية الإسلامية عن (قبائل العرب وشعوب العجم) . وتوصلوا إلى أن (شعب) تقتصر على القارين من السكان خاصة في اليمن وأن (عشيرة) و (عشائر) تقتصر على البدو خاصة من أهل وسط وشمال الجزيرة بالذات (شامة في النقوش) .

ولكن (شعب) كما ظهر لنا من دراسات سابقة لم تكن تعني أكثر من تجمع بشري قد يكون قبيلة ، بمختلف مفاهيم ذلك اللفظ عند العرب وغيرهم ، وقد يكونوا سكان مدينة أو فئة من الفئات في المجتمع كأصحاب الحرفة الواحدة . ولاحظنا أن بين من وصفوا بأنهم عشائر كما في شأن أهل السفال (أو سفلى في النقوش) وهم عندنا من يوصفون في بعض المصادر الإسلامية بـ (أهل جناب الهضب وحقف الرمال) بين مارب ونجران ، وفي أمر خولان الجديدة (في صعدة ومنحدرات السراة المجاورة) ، فإن جماع تلك العشائر يوصف بأنه (شعب) ، فهناك شعب وعشائر خولان الجديدة ، كما أن هناك شعب وعشائر السفال . يضاف إلى ذلك أن كل سكان الممالك العربية

الشمالية (في شامة) بدءاً بالأزد ومروراً بنزار وانتهاء بغسان عرفوا في النقوش بأنهم شعوب .

ولهذا فإنه قد يكون من الأفضل الإبقاء على لفظة (شعب) عند الكلام عن أتباع القيل والذو ملاحظين أن شعب تأتي أحياناً في سياق يفهم منه أنها تدل على اتحاد أو جماعة أو شعوب كما في عبارة (الشعب سمعي) مع وجود (الشعب حاشد) إذ إن حاشد هي أحد أثلاث (سمعي) .

هذا وإن النقوش كثيراً ما تصف شعبين تابعين لـ قـيـل واحد ، مثل ردمان وخولان (الجنوبية) بالنسبة لبني (معاهر) بعبارة (شعبهم) تارة و (شعبهم) تارة أخرى .

مخرج :

وهناك لقب آخر من ألقاب الإمارة أو الرئاسة ، هو لقب (مخرج) وجمعه غالباً (محارج) الذي جاء في بعض النقوش وأهمها تلك التي تجعل منه - على ما يبدو - لقباً إضافياً لليزنيين الجديين ليصف علاقتهم بسيبان التي تعود بجذورها إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد على الأقل (R.3945) والتي ما زالت إلى اليوم اتحاداً قبلياً كبيراً أو (زِيّاً) في الاصطلاح القبلي الحضرمي .

والعلاقة بين سيبان وبين اليزنيين : أهل عبدان حيث كان يقوم

(بيت ذي يزن) ، (نقش عبدان الكبير) مركز سلطنة أولئك
الأذواء الصغار ، فالأقيال - الأذواء الكبار - قد تكون قديمة قدم
الوجود السيباني ، ولكن وضوح تلك العلاقة واتخاذها شكلاً رسمياً
يعود إلى الربع الأخير من القرن الخامس في ظروف يبدو أنها كانت
عاصفة وممهدة لأحداث القرن السادس .

والمهم في هذا الأمر هو لقب (محرج) ودلالته . إذ يبدو أنه
يصور علاقة مختلفة لليزنيين بتلك القبيلة أو الشعب عن علاقتهم
بغيرهم من الشعوب الذين تقول عنهم نقوشهم صراحة بأنهم أقيال لها .
فهم لم يكونوا أقيالاً لسيبان . وإنما كانوا في الغالب بمثابة شيوخ
للقبيلة وكباراً لعشائرها وذلك لأن اللقب الكامل هو عبارة عن
(محرج وكبور) .

وفي أحد نقوش القرن الثالث (المعسال ٣) يبدو صاحب النقش
الذي تولى قيادة ردمان بعد أن آلت إلى حمير ، قبيلاً لها ولأختها
خولان (الجنوبية) إلى جانب كونه (ذا الكلاع) و (محرج
الشعب) ذبحان . تقول ذلك مع العلم بأن اسم (ذي الكلاع) في
النقوش وهو حظين بن يعزز ، يثير إشكالاً لا مجال هنا للخوض
فيه .

العاقب :

وأخيراً لدينا من الألقاب المتصلة بنظام الإدارة المحلية في القديم لقب (عاقب) كما في (عاقب قنا) الميناء الحضرمي العريق (C.738) ، وكما في أحوال أخرى تعود إلى عهود مختلفة متباعدة ، وجميعهم على ما يظهر كانوا يتركزون في مدينة يديرون شؤونها وشؤون المناطق المتصلة بها .

ولقد اشتهر اسم (العاقب) إلى جانب (السيد) في المصادر العربية الإسلامية عند الحديث عن نجران في صدر الإسلام . ولعل العاقب وقتها كان عميد أسرة في المدينة توارث اللقب أباً عن جد ، وإن كانت لم تعد تابعة لسلطة مركزية خارج المدينة كما كان حال العاقب قبل الإسلام .

ومع ذلك فإن أقدم عاقب معروف في أنحاء نجران وصعدة إنما يعود إلى أيام (إلي شرح يحضب) في القرن الثالث بعد أن طرد من نجران ممثل النجاشي وقضى على تمردھا وتمرد خولان صعدة وتعاونھا مع الأحباش .

ولقد كان العاقب في العصور القديمة بمثابة موظف يختار غالباً من إحدى الأسر ذات النفوذ ليقوم بإدارة منطقة ما ، خاصة في الظروف الحرجة ، دون أن يكون منصبه ذلك متوارثاً بالضرورة .

وفي ظل التبابعة أيام شمر يهرعش كان هناك في بعض المراحل على الأقل عاقب يقيم بالقصر سلحين بمارب له أخ مقتو للملك نفسه (الإرياني الملحق ب ٢) .

على أن أقدم عاقب معروف في النقوش حتى اليوم هو ذلك الذي كلف في وقت ما من الفترة العتيقة قبل الميلاد بالعمل في موضع من الجوف اسمه في النقش (كبتن) ، ولعله يمكن تعريبه ب (الكابة) باستبدال أداة التعريف الينية القديمة بألف لام التعريف العربية . وكان ذلك العاقب يتولى من هناك خلال مدة طويلة تجنيد المقاتلين وإرسالهم إلى مارب للاشتراك في حرب طويلة كانت دائرة بين سبأ وقبتان . وقد عاد العاقب إلى مارب - كما يقول النقش - حين حلّ السلام بين الطرفين (جام 550) .

هذه إذن بعض جوانب نظام الحكم في الين القديم الذي يتولى فيه الملك المهام الرئيسية الكبرى التي تتعلق بتاسك المملكة وحماية مصالحها السياسية والاقتصادية الخارجية^(١٥) ، ويتولى الأقال والأدواء ومن هو في حكمهم إدارة الشؤون المحلية في مناطقهم ضمن صيغة شبه اتحادية شبه إقطاعية .

(١٥) من المهام المقتصرة على الملك في هذا المجال تبادل السفارات مع الملوك الآخرين ، وعقد التحالفات العسكرية ، بل وربما الاتفاقات الاقتصادية بما فيها اتفاقيات الحفارة لضمان أمن القوافل التجارية الينية عند مرورها في أراضي الممالك الأخرى وقبائلها (جام ٥٧٦) .

عودة إلى نقوش العقلة (☆)

العقلة جبل في السهل الصحراوي الممتد أمام شبة من ناحية الغرب ، يبعد عنها مسافة ١٥ كم تقريباً ، وتنتصب أسفله مجموعتان من الجنادل (الصخور) . منها صخرة بارزة في الطرف الغربي كانت تعرف قديماً باسم مروح (مرواح ؟) ، حفر على جانبها المواجه للجبل نقش ملكي^(١) ، ومجموعة صخرة متجاوزة ، في الطرف الشرقي كانت تعرف قديماً باسم (أنود) مغطاة من جميع الجهات بالنقوش بوفرة ظاهرة حتى أنه لا يوجد بينها فراغ يصلح لإضافة نص جديد .

ولنقوش العقلة ، نسبة إلى الجبل كما يسمى اليوم ، أهمية خاصة في تاريخ حضرموت القديم في مراحل الألفية قبل أن تصبح جزءاً من دولة التباغة .

(☆) نشر هذا البحث في دراسات يمنية ، عدد ٢٢ أكتوبر - ديسمبر ١٩٨٥ ، ص ١٠٥ - ١٢٢

وانظر كتابنا : (آثار ونقوش العقلة) دراسة ميدانية لأحد المواقع الأثرية بالقرب من شبة في منطقة حضرموت ، القاهرة (١٩٦٧ م) .

(١) بافقيه : آثار ونقوش العقلة ، القاهرة (١٩٦٧) ، ص ١٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، الملحق ٢ ، شكل ٦ ، ٧

وكلها نقوش تكاد تنحصر زمنياً في القرن الثالث الميلادي الذي تشعب فيه الصراع بين كل القوى الموجودة آنذاك على الساحة اليمنية .

ومن ثم فهي نصوص تشكل ، فيما بينها ، جزءاً هاماً من وثائق القرن المذكور وتتكامل مع النصوص العائدة إلى معبد المقه بعل = (صاحب) أوام بمارب (محرم بلقيس) ومعبد شمس العالية بعله جبل شحرار بوعلان في الموضع المعروف اليوم بالمعسال . ففيها جميعاً تنعكس صورة الوضع من وجهة نظر كل من الأطراف المتصارعة حينها : سبأ وحمر وحضرموت التي تجمعها حدود مشتركة ، وأكسوم التي كان لها وجود في تهامة الين .

كما أن لنقوش العقلة أهمية أخرى وهي أنها المجموعة المترابطة الوحيدة من النصوص النقشية الحضرمية السياسية التي عثر عليها حتى الآن والتي أصبح من الممكن معرفة زمنها بصفة دقيقة^(٢) .

فبعد عشر سنوات من أعمال الحفر الأركيولوجي في شبوة لم يعثر على مستودع النقوش التي يفترض أنها زيرت عبر القرون الطويلة من تاريخ المملكة قبل إلغازيلط بن عم ذخر (انظر الهامش (١) هنا) ، وما زال معظم ما نعرفه عن تاريخ حضرموت قبل القرن الثالث

(٢) انظر على سبيل المثال : بافقيه - روبان : (أهمية نقوش المعسال) ريدان ، ٣ ، ١٩٨٠ م .

يعتمد على أخبار متفرقة في النقوش السبئية بالذات . هذا في حين تدل المصادر الأخرى ، خاصة الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية ، على ازدهار اقتصاد حضرموت منذ عصر ما قبل الميلاد وامتداد رقعتها شرقاً حتى أطراف جبال عمان شاملة كل مناطق إنتاج اللبان^(٣) .

وكانت لها على مدى التاريخ البحري العربي موانئ هامة لعل أقدمها هو قنا (حصن الغراب اليوم) وأحدثها نسبياً (موسكا) ، كما يسميه كتاب الطواف حول البحر الأحمر (ق.م) ، والذي لا يستبعد أن تكون له صلة بمدينة (سمهر) التي بنيت في ما يعرف اليوم بإقليم ظفار (سأكلن في النقوش) ، خلال القرن الأول غالباً ، وذلك في وقت أخذت فيه وتيرة حركة الملاحة البحرية بين الهند ومصر في التسارع مع تزايد منتظم في الإقبال على البخور والسلع الشرقية النفيسة^(٤) .

ولقد بذلت محاولات عديدة لترتيب عهود الملوك الذين ورد ذكرهم في نقوش العقلة وربط بين بعضهم وبين ملوك لهم الأسماء نفسها ، عرفوا من النقوش السبئية خاصة ، إلا أنه اتضح الآن ، في

(٣) انظر ماورد في كتاب الطواف حول البحر الأحمر (مثلاً عن مناطق اللبان وامتداد المملكة شرقاً خاصة فقرة ٣٣ ، وكتابتنا تاريخ اليمن القديم) ، بيروت

١٩٧٣ ، من ٤٥ - ٤٦

(٤) المرجع أعلاه ، ص ١٧٩ - ١٨٣

ظل التسلسل الزمني الجديد الذي نقترحه لفترة حرب الثلاث مئة عام ، أو ما يعرف بفترة ملوك سبأ وذي ريدان ، أن المسألة تحتاج إلى مراجعة ، وهو ما فصلنا بعضه في ثنايا دراستنا لتلك الفترة بصورة إجمالية ضمن سياق عام .

أما في هذه الورقة فإننا سنناقش ترتيب العهود التي ترمز إليها أسماء الملوك المذكورين في نقوش العقلة والوضع في حضرموت خلال كل واحد منها وعلاقاتها بمجاراتها خلال القرن الثالث ، ذلك القرن الحاسم من تاريخ الين .

١ - يدع إل بيّن بن راب إل وعادة الذهاب إلى العقلة :

إن أقدم الملوك الذين تركوا نقوشاً في العقلة هو بلا شك يدع إل بيّن بن راب إل ، فهو الذي استن عادة الذهاب إلى تلك البقعة . فنقشه لا يختلف عن نقش إلغاز يلط بن عم ذخر (جام ٩٢١) إلا من حيث ذكر اسم الجنادل أو الجنادل التي زبر عليها كل من النقشين ، فبينما استخدم يدع إل جنادل مروح (مرواح ؟) في الطرف الغربي من الموقع استخدم إلغاز يلط أحد جنادل أنود في الطرف الآخر المقابل والأقرب إلى شبة مع أن جنادل مروح لم يكن قد ملئ بالنقوش ، فليس عليه حتى اليوم إلا نقش يدع إل وبضعة مخربشات لا نعرف تاريخها ولا صلتها بالنقش الملكي . وسنناقش فيما بعد أسباب ذلك

التغيير مكتفين هنا بمحاولة التعرف على شخصية يدع إل هذا وما يمكن أن يكون الحال عليه في عهده .

إننا ، اعتدأ على ما نعرفه عن تاريخ حكم إلغاز يلط بن عم ذخر (إلغاز بالزاي في النقوش السبئية) المعاصر لشعراوتر ملك سبأ ثم ملك سبأ وذو ريدان ، نستطيع القول بأن يدع إل الذي لا مكان له بعد إلغاز يلط ، لا بد أن يكون هو يدع إل نفسه الذي زاره علهان نهفان ملك سبأ ووالد شعراوتر في ذات غيل بأرض قتيان ليجدد أو يستكمل معه ، كما يقول نقش سبئي ، التحالف (نامي ١٩) ، وذلك لأن علهان كان قد حالف من قبل يدع أب (غيلان بن غيلان) الذي خاض إلى جانب سبأ وأكسوم حرباً ضد حمير (م ٣٠٨ و ١١٥ ونامي ١٣ - ١٤) . فيدع أب غيلان هو باني ذات غيل نفسها^(٥) ، بعد خرابها على أيدي القوات الحضرية غالباً في الحملة التي انتهت بضم قتيان إلى حضرموت .

ومع ذلك فإن الثغرات القائمة في وثائقنا عن المرحلة تجعل أمر

(٥) يثبت ذلك من أحد نقوش موقع هجر بن حميد التي نشرها جام ؛ ولكن الاسم هناك يرد على هيئة ذو (بدلاً من ذات) غيل وهو المعتمد في النقوش القتيانية والحضرية معاً ولكننا اعتمدنا هنا الاسم كما جاء في النقوش السبئية لوروده في نقوش هامة منها . وقد أدى اختلاف كتابة الاسم في النقوش إلى التباس في الماضي وتسبب في استنتاجات وتخرجات خاطئة .

ترتيب عهدي يدع إل ويدع أب المذكورين مسألة تعتمد على القرائن أكثر من اعتمادها على الأدلة الصريحة ، خاصة وأن هناك ملكاً آخر اسمه يدع إل كان على العرش في حضرموت أثناء حرب بينها وبين سبأ شهدا القيل يريم أئمن (جام ٦٢٩) والد علهان قبل أن يصبح ملكاً (جام ٥٦٥) . فهل يمكن أن يكون عهد ذلك الملك الحضرمي قد امتد حتى وقت علهان ومن ثم يمكن أن يكون هو يدع إل بن رأب إل ؟

إن القرائن تقف عثرة في طريق ذلك الاحتمال وتجعل من المرجح أن يدع إل بن رأب إل هو ملك آخر غير سمية المعاصر ليريم أئمن قىلاً . ومن ذلك ، على سبيل المثال ، عدم وجود نقش ليدع أب غيلان بن غيلان في العقلة ، فحدث مثل هذا الانقطاع في العادة التي استنها يدع إل غير محتمل ، والأقرب إلى المعقول أن يكون لقاء علهان نهفان بيدع إل (بن رأب إل) في ذات غيل قد حدث عقب استقرار الأمور وإعادة بناء المدينة (انظر أعلاه) .

على أن هناك نقشاً آخر في أحد جدران مركز مراقبة بأعلى جبل العقلة من ناحية مروج ، تركه هناك ملك اسمه يدع إل بئ ، استعصى علينا تصوير السطر الثالث منه ونعتقد أنه يتضمن إشارة إلى قتبان في سطره الثاني ومن ثم قد يلقي بعض الضوء على المسألة

لو أمكن الحصول على صورة أوضح له^(٦) .

٢ - إلعاذ يلط بن عم ذخر وتقلبات عهده :

وهكذا نأتي إلى إلعاذ يلط بن عم ذخر المعاصر لشعر أوتر كما هو ثابت من عدة نقوش سبئية . ولكنه يصعب - مع ذلك - معرفة الوقت الذي بدأ فيه عهد ذلك الملك الحضرمي مقارنة بعهد شعر أوتر ، وهل كان ذلك قبله في حياة أبيه علهان أم كان بعد أن ولي شعر الحكم وحيداً ؟

إننا نعلم أن سياسة الأحلاف التي لجأ إليها علهان في مواجهة الضغط الحميري لم تحقق لسباً أكثر من ضمان حدودها كما استقرت عليها منذ نهاية القرن الأول أو نحو ذلك^(٧) .

فالحرب التي شنها الحلف الثلاثي لم تقض على حمير . وعلهان لم يعد إلى ذلك اللقب المزدوج لقب (ملك سبأ وذي ريدان) ، وشعر بدأ حكمه باللقب البسيط (ملك سبأ) ، وهذا فيما تدل الأحداث

(٦) بافقيه : (آثار ونقوش العقلة) أعلاه ص ٢٠ ، ملحق ٢ ، ص ٧٩ - ٨٠ ،

وشكل ١٠

(٧) انظر على سبيل المثال مقالنا (بنو جره وبنو ذرآنح بين سبأ وحمير) عن الوقت

الذي أصبح فيه ثقل يسلمح (جنوب صنعاء) حذاً فاصلاً بين سبأ وحمير . لين

الجديد عدد : ٥ سنة ١٦ أغسطس ٨٥ ص ٤٠ ف ٣

وفي (في العربية السعيدة) .

اللاحقة على توغل الأحباش في تهامة من جهة وترسخ أقدام الحضارمة في أرض قتيبان من جهة أخرى .

وحين اتخذ شعر أوتر القلب المزدوج ، في ظروف لم تتضح تماماً بعد ، نرى إلعاذ يُلط يد سلطانه إلى ردمان ذلك الموضع الاستراتيجي على حدود كل من سبأ وحِمير معاً ، وهي الخطوة الأخيرة في سياسة التوسع الحضرمي نحو الغرب .

ولكن الأهم من ذلك كله هو أن نقوش عهد إلعاذ يُلط في العقلة إذ تظهر وجود علاقات خاصة ، أو بالأحرى حلفاً بين حمير وحضرموت ، بدلالة وجود نقش لوفد حميري رسمي جاء للمشاركة في مناسبة ذهاب إلعاذ إلى الموقع (جام ٩٢٣) ، فإنه ليس بينها ما يدل على أية صلات مع سبأ . ولما أن زيارات الملوك الحضارم لذلك الموقع تقتزن كما يعتقد بتوليهم العرش^(٨) ، ومن ثم فإنها تعكس - إلى حد ما - الأوضاع في بداية كل عهد فالسؤال الذي يفرض نفسه - كما يقولون - هو هل حدث تحول من جانب حضرموت أو آخر أيام يدع إل تجاه كل من سبأ وحِمير ؟ أم أن ذلك التحول له علاقة بتولي إلعاذ العرش ؟

(٨) بافقيه : (آثار ونقوش العقلة) ص ٤٦ وما بعدها . مع ملاحظة أننا أميل - في هذا المقال - إلى اعتبار أن زيارة الملوك للعقلة تأتي مع توليهم الحكم بغض النظر عن طبيعة الزيارة ومراميها . وأنظر أيضاً رأي عالمة الفرنسية بين في كتابها الجديد عن حفريات شبوة (بالفرنسية) وهو ما لا تتفق معها عليه .

إن مثل ذلك التحول إذا حدث ليس بالأمر المستغرب ، فتغير التحالفات حدث باستمرار في التاريخ البشري القديم كما حدث ويحدث في كل مكان إلى اليوم . ولكن المهم هو أسباب التغيير . وهنا لا نملك إلا الاستقراء والاستنتاج .

وأول ما يمكن استقراؤه واستنتاجه ، من المعطيات والمؤشرات القليلة المتاحة لنا ، هو أن حمير - بعد الضربة التي تعرضت لها على أيدي علهان وحلفائه - لم تلبث أن استعادت قوتها ، أو أن الضربة لم تكن قاصمة من الأساس ، وإن إلغاز ربما كانت له تطلعات تتعارض مع السياسات السبئية . فعند وجود أحد من بني معاهر أقيال ردمان في ركابه بالعقلة إلا أننا نعلم أنه الملك الذي كانت ردمان تابعة لحضرموت في عهده (انظر أدناه) ولا نعرف متى حدث ذلك ولا ما هو موقف سبأ أو حمير منه حين حدث . على أن غياب بني معاهر عن رحلة العقلة قد يدل على أن الضم حدث بعد توليه هو الحكم .

ومما يصعب دراسة القضية هو أن وصول إلغاز إلى الحكم بعد يدع إل لا يعرف أساسه ، فكل الملوك من يدع أب غيلان بن غيلان إلى إلغاز يلط بن عم ذخر مروراً بيدع إل بين بن راب إل ينتون إلى آباء مختلفين وإن كانت أسماؤهم جميعاً من الأسماء التقليدية المعتمدة لملوك القدامى بحضرموت^(٩) . فهل كان نظام الوراثة قبل أسرة

(٩) يلاحظ من نقوش الأسرة السبئية ، التي حكمت حتى قرب نهاية القرن الأول =

يدع إل بيّن بن ريشمس (انظر أدناه) مختلفاً ؟! أم إن في الأمر سرّاً آخر ؟!

إنه سؤال معلق في انتظار المزيد من الوثائق النقشية عن الفترة السابقة . ويكفي أن نعلم أن إلعاذ تولى الحكم بعد يدع إل وإنه كان حليفاً للملك الحميري ثاران يعب يهنعم (جام ٩٢٣) ، وإن حلفهما قد يعود إلى ما قبل عهد إلعاذ خاصة إذا كان حضور الوفد الحميري إلى العقلة قد جاء مع توليه العرش كما يعتقد .

هذا وتشهد نقوش العقلة أيام إلعاذ باستمرار ازدهار الاقتصاد الحضرمي كما يظهر من قدوم الوفود من مختلف البلاد ، خاصة تلك التي تقع على نهايات طريق البخور . ومن أبرز الأمثلة على ذلك وجود تدمريين وكلدانيين ، بل وهنديين بين زوار إلعاذ ومشاييعه في العقلة (جام ٦٣١) .

= للميلاد غالباً أن أفرادها الذين يتولون الحكم كانوا يحملون أحد خمسة أسماء هي : سمهلي ، وكرب إل ، وذمار علي ، ويشع أمر ، ويدع إل ، يميز بين الواحد والآخر منهم لقب شخصي يختار من قائمة محدودة تشمل : بيّن ووتر وينف وذرج . ويبدو أن شيئاً من القبيل نفسه كان معتمداً في حضرموت أيضاً حيث نجد أسماء يدع إل (المشترك مع سبأ) ويدع أب (المشترك مع قتبان) ، والريام (المشترك مع معين) ، وإلعاذ (الذي يبدو أنه حضرمي صرف) .
ولم تفت المصادر العربية الإسلامية هذه الحقيقة وإن لم تبين دلالتها (انظر على سبيل المثال تاريخ ابن خلدون ج ٢) .

ولقد حدث تطور في العلاقات الحضرية السبئية خاصة بعد اتخاذ شعر أوتر اللقب المزدوج . واتخاذ ذلك اللقب خلال فترة حكمه لا يمكن تفسيره إلا بارتفاع معنوياته إن لم يكن زيادة إمكاناته . وهناك نقش من النقوش التي اكتشفها جيوكنز ونشرها ريكانز ، يوحى بأن حضرموت كانت ضالعة في حرب ربما كان شعر قد شنّها على حمير^(١٠) ، وقد تكون هي التي مكنته من اكتساب الحميس (الجيش) الحميري إلى جانب الحميس السبئي . (جام ٦٣٣ مثلاً) . والحميس التابع لأي مملكة هو درع السلطة المركزية فيها كما هو القصر الملكي رمزها ومركزها . فهل تمت صفقة بين شعر وإلعاذ آنذاك ؟ وهل لها علاقة بالمصاهرة الملكية المثلثة في زواج إلعاذ يلط من ملك حلك ، أخت شعر أوتر (الإرياني ١٣) .

إن المصاهرات بين الملوك كثيراً ما كانت في القديم وسيلة لتدعيم تحالف وتعاون . وقد أثبتت الأحداث أن المصلحة هي التي تحكم علاقات الجانبيين .

ثم هل من علاقة بين ضم إلعاذ لردمان وتلك المصاهرة - الحلف وتلك الحرب ضد حمير ؟ هذا مع العلم بأن ردمان تقلبت خلال

(١٠) تناولنا هذا النقش بالتعليق ، على حذر ، في أطروحتنا (البين في فترة ملوك سبأ وذوي ريدان) بالفرنسية ١٩٨٣ قسم ٣

تاريخها الطويل بين مختلف الممالك من حولها : أوسان أولاً في الغالب^(١١) فقتبان فسباً ، وأصبحت على الأرجح مستقلة في نحو منتصف القرن الثاني (جام ٦٢٩) . ثم نجدها تابعة لإلعاذ يلط الحضرمي (المعسال ٤) . ولعلها عادت إلى الفلك السبئي (م ٣٣٤) فترة بعد ذلك لتنتهي في الجانب الحميري (المعسال ٢ مثلاً) .

وفي تاريخ عهد إلعاذ يلط هذا حادثة خطيرة لعلها الأولى من نوعها التي تبلغنا أخبارها - تلك هي الثورة التي قادها أحرار يهبرئ عليه في عام ٢٢٠ م في المناطق الداخلية من حضرموت ، والتي يبدو أن انتشارها كان واسعاً بدليل اشتراك مهرة فيها . وقد قضي عليها في معركة ضارية دارت بصوران في أنحاء الكسر من وادي حضرموت حيث تداعى لنصرة إلعاذ كل من شعر أوتر نفسه ، وهو يحمل لقب ملك سبأ وذو ريدان (جام ٦٤٠) على رأس قواته وناصر يهحمد بن معاهر قيل ردمان التابعة وقتها لإلعاذ وقوات أخرى من قبائل (شعوب) المشرق (المعسال ٤) .

ورغم أن ملابسات تلك الثورة غير واضحة إلا أن وصول أحرار يهبرئ إلى الحكم بعد إلعاذ واتخاذهم أسماء من تلك التي اشتهر باحتكارها

(١١) هذا ما يفهم ضمناً من نقش النصر لكرب إل وتر بن ذمار علي (ف ٣٩٤٥) . انظر استعراضنا للنقش في تاريخ الين القديم المتقدم ذكره ص ٥٧ وما بعدها وخاصة ص ٦٤ الفقرة (د) .

الملوك يدل على صراع داخلي على السلطة له جذور في الفترة السابقة (انظر أعلاه) . ولعل الثائرين استغلوا ظرفاً مؤقتاً للقيام بثورتهم كأن يكون الخميس الحضرمي مشتتاً في مهام بمواقع بعيدة في الغرب مثلاً .

ومعلوم أن الوضع الاجتماعي في حضرموت لم يكن يختلف عن غيره في بقية الممالك اليمنية حيث يستند الحكم على صيغة اتحادية أو شبه اتحادية تتمثل في نظام القبالة أو الأذوائية الذي يكون القيل أو الذوفيه حاكماً محلياً لمقاطعة يمكن أن تسمى (مقولة) كما نفهم من بعض المصادر العربية الإسلامية ومنها الطبري .

والأقيال والأذواء ، الذين تدعم سلطتهم المحلية قوة شعبية من حملة السلاح هي (قبيلة) تنسب إليها المقولة أو المقاطعة الأذوائية ، أمراء شبه إقطاعيين هم نتاج طبيعي لأوضاع اليمين الجغرافية وتطور العلاقات الإنتاجية خلال تاريخها القديم . ولهذا فإن اشتراك أطراف أو أفراد من فئات وطبقات مختلفة في أعمال ثورة وتمرد وإن لم يؤد ، فيما بين أيدينا من مصادر - إلى نتائج تغير العلاقات القائمة ، إلا أنه يعكس حالة توتر كامنة في العلاقات الاجتماعية في ظل ذلك النظام . على أن العناصر البدوية بحكم فقرها وعدم خضوعها لوطأة ذلك النظام ربما كانت أسرع الأطراف إلى التمرد . ولعل ذلك يفسر موقف مهرة

في هذه الثورة مثلاً ، فلمهرة تاريخ معروف في هذا المجال خاصة في أول عهد التبابعة (نقش عبدان الكبير) .

حدثت الثورة كما هو واضح والعلاقات الحضرمية - السبئية في أحسن حالاتها .

ولكن شهر العسل بينهما لم يلبث بعد حين أن انقضى وبدأت المتاعب ، فالمصاهرة السياسية المصلحية لم يعد لها على ما يبدو ما يستدعي الحرص عليها . ولعل تعزز مركز شعراوتري في النصف الغربي من اليمن كله (سبأ وحمير معاً) كان من بين أسباب ذلك . فحدثت الحرب المباغته كما نعرف من نقوش سبئية لعل أهلها هو (الإرياني ١٣) والتي ترتب عليها كما يظهر أسر إلعاذ وتدمير شبوة ونهبها مرتين ومهاجمة قنا وإحراق السفن في المرسى الملكي هناك .

إن تدمير شبوة ، بعد أسر إلعاذ يلط في ذات غيل تفصله عن عاصمته فلاة صيهده (رملة السبعين اليوم) قد يكون وراء :

(أ) سقوط إلعاذ نهائياً ، وإن كنا لا نعرف متى وكيف تولى يدع إل يبين بن ربشمس (انظر أدناه) الحكم بعده .

(ب) اختفاء الكثير من النقوش الحضرمية التي يفترض أنها كانت موجودة في شبوة^(١٢) .

(١٢) يفترض أن معبد سين (أوسيان) ذي الم معبود حضرموت الوثني القديم كان =

٣ - يدع إل بيّن بن ربشمس مجدد بناء شبوة :

دمرت شبوة على أيدي شعر أوتر إذن ، بل ودمر الميناء قنا ، ونهبها . ولربما حدث ذلك أواخر عهد شعر أوتر ، إذ أن الذي أعاد تعمير شبوة وقصرها الملكي شقير هو يدع إل بيّن بن ربشمس من أحرار يهبر (جام ٩٤٩) ، وهو ملك عاصر - فيما يظهر - لشمر يهحمد الملك الحميري (المعسال ٣) . وشمر ذاك يأتي بعد لزوم يهنف يهصدق المعاصر للحيث يرخم الذي حكم بعد شعر أوتر (جام ٦٣١) .

وليس هناك ما يدل على محاولة شعر إخضاع حضرموت ، وإنما الظاهر هو أنه اكتفى - عامداً أو مضطراً - بالتدمير لإضعاف حضرموت في وقت صار فيه الوجود الحبشي في تهامة يتخذ أبعاداً تهدد المصالح السبئية الحميرية (الإرياني ١٢ مثلاً) ، ويشجع فيما يبدو التحرشات من الشمال بسبباً (جام ٦٣٥) ، وهذه أمور قد تفسر كلها

= مستودعاً للنقوش كما هو حال محرم المقه بمارب . ونعلم أن المعابد لاتسلم أحياناً من العدوان فالحرب بين شعبين (قبيلتين) هي أيضاً حرب بين إلهيها الرئيسين . ومع أننا لانملك نصاً صريحاً عن نهب ذلك المعبد إلا أن العودة بالغنائم من شبوة (جام ٦٣٦ و ٦٣٧ ، وفخري ١٠٢ مثلاً) ومن ضمنها أصلام (أو تماثيل) برونزية قد يعني ذلك . ولكن المشكلة الأكبر هي أن موضع المعبد المذكور لم يتحدد بصورة ثابتة لعدم العثور على نقش في مكان يحتمل أن يكون هو المعبد المقصود .

أسباب ضعف سبأ بعد شعر ، حتى أن من حكم بعد لحيث يرخم
- خليفة شعر - وهو فارع ينهب عاد إلى اللقب المتواضع (ملك سبأ)
(جام ٥٦٦) وهو ما يمكن أن يدل على متاعب بدأت أيام سلفه على
الأقل .

إن أحد مشاكل التوثيق النقشي غير المفسّرة هو عدم وصول أي
نقش ملكي لشعراوتر من فترة حكمه ملكاً لسبأ وذي ريدان^(١٣) ،
وهي مسألة قد يكون مرجعها مجرد عدم استكمال الحفريات في محرم
المقه (محرم بلقيس) وسوء التخطيط من قبل البعثة الأمريكية
لأعمالها .

ومع ذلك فإن ما بين أيدينا من نصوص ، على قلتها وكثرة
تفراتها ، كافية للقول بأن العلاقات بين سبأ وحير قد ساءت ، وأن
ذلك حدث أغلب الظن أيام لحيث يرخم السبئي . فشمريهحمد
- كما يظهر من نقوش عهد إلي شرح يحضب (الثاني) وأخيه يأزل يين
ملك سبأ وذي ريدان ابني فارع ينهب ملك سبأ تدعها نقوش
المعسال الحيرية - كان على عداء مع سبأ تحت حكم الأخوين ، وهو
مالا يمكن تفسيره إلا بصدام سابق تم في بداية عهد شمريه غالباً ،
وكان من أسباب أو نتائج النكسة التي أجبرت فارع ينهب على العودة
إلى اللقب البسيط (ملك سبأ) .

(١٣) النقش الملكي الوحيد المعروف من عهد شعراوتر هو (نامي ١٢) وفيه كان لقبه =

والظاهرة التي لا ينبغي إغفالها من ظواهر تلك المرحلة التي يلفها شيء من الغموض مصدره قلة الوثائق هي تحالف حمير والأحباش (جام ٥٧٧ مثلاً) بعد أن امتد نفوذ الأحباش إلى المعافر (الحجرية اليوم) وهددوا في مرحلة سابقة ظفار حاضرة بني ذي ريدان ذاتها (جام ٦٣١) .

والثابت هو أن الصراع الذي كان طابع الفترة كلها ازداد بعد شعر حدة وأخذ يتشعب بصورة مذهلة فالكل ضد الكل ، واستمر كذلك حتى تمّ توحيد سبأ وحمير عن تراض تحت قيادة ياسر يهنعم (الإرياني ١٤) في الربع الأخير من القرن الثالث .

فأين كان يقف يدع إل بين بن ربشمس ومن بعده أبناؤه من كل ذلك ؟ ماذا كان عليه حال حضرموت في عهدهم ؟

يبدو أن المهمة الأولى التي واجهت أحرار يهبر تحت قيادة يدع إل بين هي إعادة تعمير شبوة والقصر شقير كما تقدم ، فالنقش الوحيد ليدع إل في العقلة (جام ٩٤٩) يتحدث عن رحلة صيد قام بها ذلك الملك^(١٤) بعد انتهائه من تلك المهمة وهو نقش يخلو من

= مازال (ملك سبأ) كأبيه وجده من قبل . وهذا وحده كاف لتصوير أهمية استئناف الحفريات في محرم المقه / محرم بلقيس اليوم .
(١٤) ليدع إل نقش آخر يدل على غرامه بالصيد وهو نقش عقبة فتوره في وادي عرمة .

اللفظة الختامية الغامضة (هسلقب) التي تفسر بـ « تولى الحكم أو اتخذ اللقب » كما يخلو منها أي نقش آخر من عهده . ومع ذلك فقد رافقه في العقلة عدد كبير من أتباعه وأنصاره وأقاربه ومعاونيه ومنهم شخص اسمه شهر أو شاهر بن وائل كبير الأمهور (جام ٩٥٤) الذي قد يكون كبير المهريين^(١٥) .

ومع أن حضرموت قد فقدت ولا شك موضع القدم في نجد الين (الهضبة الغربية) المتمثل في مقولة ردمان ، منذ حرب شعر - إلعاذ إلا أن المشرق كله أو جلّه ظل موالياً لها^(١٦) .

هذا وكان بين مرافقي يدع إل في العقلة صهره (ختنه) عمر بن

(١٥) اللقب في النقش هو (كبر أمهرن) حيث أمهرن يمكن أن تنطق على هيئة الأمهور بصيغة الجمع الينية المعروفة . وليس هناك ما يمنع أن يقال لأهل مهرة (مهرت) أمهرن ، كما يقال للجماعة من حبشة (حبشت) أحبشن . على أن هذا مجرد احتمال نوره ونحن على بينة من أن هناك للجذر (مهر) معان أخرى تناولناها مع الزميل روبان في مقال بعنوان (من ألفاظ المساند) في ريدان ٤ ، ١٩٨١ ، هذا ويحتمل أن يكون شهر أو شاهر بن وائل كبير الأمهور أيام يدع إل (جام ٩٥٤) هو نفسه الذي اشترك في نقش مع آخرين أيام إلعاذ (جام ٩٤٥) .

(١٦) المشرق (مشرق في النقوش) يطلق على منطقة تضم أودية عبدان وجردان وعميقين مثلاً ، وواضح من نقوش المعسال أنها ظلت تابعة لحضرموت بعد إلعاذ يلط .

عوف الأسدي بسكون السين أو الأزدي^(١٧) ، وهو الوحيد الذي أشار في ذلك العهد إلى المحفد المسمى أنود نفس اسم الجنادل (جام ٩٥٧) ، وهو محفد ما زالت آثاره باقية ، ويحتمل أنه شرع في تشييده أيام يدع إل ، ولكن لم يشر أحد إلى إقامة الملك فيه ، وكان هناك أيضاً أسديان (أزديان) آخران سجلا اسميهما في الرقعة المخصصة لنقوش العهد نفسه (جام ٩٣٩ و ٩٦٢) .

واللافت للنظر هو أن أحداً من أبناء يدع إل الذين نعرف اثنين منهم على الأقل قد حكما بعده ، لم يترك لنا نقشاً في عهد أبيه ، وهو أمر يحتمل تأويلات كثيرة^(١٨) .

(١٧) يذكرنا اسم عمرو بن عوف بأمريئ القيس بن عوف ملك الخصاصة (جام ٥٧٦) الذي ذهبنا في أطروحتنا المشار إليها بالهامش ١٠ إلى أنه قد يكون من الأزدي ، فالأسد ، كما تقول المعاجم العربية هي الصيغة الأفصح لاسم القبيلة الشهيرة ، وإذا صح هذا الاستنتاج فإن تداعياته لا يتسع المجال لتناولها هنا .

(١٨) أولاً يستبعد عدم حضور الأبناء ، إذا وجدوا ، حفل أو مناسبة تتعلق بتولي أبيهم الحكم . مع ذلك فإن عامل السن ، لو كانوا صغاراً قد يكون من بين أسباب عدم وجود نقش لهم ، كما أن المساحة الضيقة المتاحة لزبر النقوش قد تجعل من المفضل تقديم نقوش الأنصار والأعوان والأتباع والزوار . هذا ومما يلفت النظر وجود نقش من كلمة واحدة هي اسم ربشمس (جام ٩٧٤) في إحدى الجهات المخصصة لنقوش عهد يدع إل بئبن بن ربشمس .

٤ - إريام يدم بن يدع إل بيّن والمعركة بأرض قُتبان :

بعد يدع إل بيّن حكم البلاد ابنه إريام يدم المعاصر لكرب إل أيفع الحميري الذي خلف شمر يهحمد الحميري أيضاً الذي سبق إلي شرح يحضب السبئي إلى الدار الآخرة .

ولإلريام نقش في العقلة يختتمه بلفظة (هسلقب) (جام ٩٨٨) التي وردت لأول مرة في نقش يدع إل بن رأب إل ثم في نقش إلعاذ يلط بن عم ذخر مما قد يدل على أنه ارتاد الموضع في مناسبة اعتلائه العرش وقصد المحفد أنود (انظر أعلاه) .

ويلاحظ أن أخاه الأصغر ربشمس كان بين مرافقيه (جام ٩٨٦) في حين أنه لا يوجد في نقوش العهد ذكر ليدع أب غيلان الأخ الأكبر من ربشمس (انظر أدناه) .

كما أن من نقوش العهد ما يعتقد أنه أقدم نقش لأخذ أذواء يزأن / يزن (جام ٩٩٤) أو يذأن ، بالذال ، باللهجة الحضرية القديمة .

وهو نقش قصير لا يكاد يتجاوز اسم صاحبه وهو شهر أو شاهر أسأر بن ربعة ذو يزأن^(١٩) ، الذي يوجد له في العهد الثاني نقش مشابه (جام ١٠٠٣) .

(١٩) ليس في النقش ما يعين على تحديد مكان اليزنيين في تلك المرحلة . ولكن (نقش عبدان الكبير) يدل على أنهم من عبدان وفيها كان قصرهم (بيت ذي يزأن)

ولقد واصل إريام سياسات أبيه تجاه حمير (المعسال ٣) ، وعباً تحت قيادته شخصياً قوة كبيرة في أودية قتبان في محاولة لاسترجاع النفوذ الضائع في تلك الأنحاء ، وتقوية ما بقي منه فيها ، ولم يكن ما بقي قليلاً على ما يظهر . ولكن أقيال ردمان الجدد الذين يدينون بالولاء لحمير تصدوا للحضارمة بشراسة ظاهرة في كل مرة . على أن النقش الذي سجل أخبار ذلك الصدام أيام إريام (المعسال ٢) تعرض لتلف كبير في الجزء الأخير منه فضاعت منا النتيجة الختامية للمعركة التي لا يبدو أنها حققت تقدماً للحضارمة .

٥ - يدع أب غيلان بن يدع إل بيّن آخر ملك
بشبوّة (؟!) :

وبعد إريام يدم يأتي أخوه يدع أب غيلان بن يدع إل فكل من الملكين حرص في ذكر هويته على تأكيد ملوكية أبيه كعادة النقوش السبئية والحميرية بعد سقوط الأسرة الملكية التقليدية في سبأ ولأسباب تناولناها في أبحاث سابقة^(٢٠) .

= وكان أهل المشرق تابعين لهم . انظر على سبيل المثال مقالنا (هوامش على نقش عبدان الكبير) ريدان ٤ ، ١٩٨١ ، ومقالنا (اليزنيون وخلفية الأحداث التي قادت إلى قيام وسقوط حكم الأحباش في الين) ، المنتدى عدد ٣ ، أغسطس ١٩٨٣ ، وقد أعيد نشره بعد ذلك في دراسات يمنية ، وفي (في العربية السعيدة ١) .

(٢٠) لعل الذي افتتح هذا التقليد هو وتار بن إلي شرح يحضب الأول في سبأ .

ولأمر ما خلا نقش يدع أب هذا (جام ٩٩٦) من لفظة
(هسلقب) مع أنها وردت في نقش لأخيه ربشمس (جام ٩٩٧)
الذي كان من بين المرافقين ، وهو نقش لا يختلف عن نقشه ، أي
(ربشمس) أيام إريام يدم (جام ٩٨٦) إلا من حيث اتخاذه لقباً
شخصياً هو (خيرأسدن) ، أي خير الرجال ، أو المقاتلين ، أو
ما يقابل (زين الرجال)^(٢١) كما في (زين العابدين) مثلاً .

ونقوش عهد يدع أب هذا قليلة مقارنة بمن سبقوه^(٢٢) .
ولا نعرف عن أحداث حكمه شيئاً وإن كان ترتيبه في ولاية الحكم
يجعل من المحتمل أنه حاصر ياسر يهنعم الحميري الذي خلف كرب إل
يفع (المعسال ٥) . وفي عهده ربما جرى صدام مع سبأ
(جام ٦١٢) ، ولكن لا ذكر له في النقوش الحميرية والسبئية

(٢١) قد يرى البعض في (خيرأسدن) منصباً كان يتولاه ربشمس وهو استنتاج له
مبرراته ، فأسدن تعني ذكور أو رجال في سن حمل السلاح وتستخدم لوصف
المقاتلين . ومع ذلك فإننا أميل إلى اعتباره لقباً شخصياً من الألقاب التي يتخذها
أهل ذلك العصر وإن كان مركباً على خلاف العادة . أما ظهوره متأخراً في عهد
أخيه يدع أب غيلان فلا ينبغي أن يعد حجة تضعف الاحتمال ، فهناك ما يشير
إلى اتخاذ الألقاب في سن معينة . هذا وللراحلة بين تعليل آخر (!) في كتابها
عن شبوة .

(٢٢) لا ينبغي إسقاط عامل المساحة المتبقية الصالحة للكتابة في جنادل (أنود) من
الحساب .

المعروفة ، كما أنه لم يعثر على نقوش للأسرة كلها في حفريات شبوة التي أعادوا بناءها مع أن احتلال شمر بهرّش لها لم يؤدّ فيما يبدو إلى تدميرها^(٢٣) وإن استمرت المقاومة في الأودية الداخلية فترة لا بأس بها بعد ذلك (الإرياني ٣٢) .

٦ - ربشمس خير أسدن بن يدع إل بيّن ومصريه :

مما لا شك فيه أن يدع أب غيلان بن يدع إل بيّن هو آخر ملك حضرمي يترك نقوشاً في العقلة . وهذا في حدّ ذاته قد يكفي للدلالة على أنه الملك الذي سقطت في عهده شبوة . ومع ذلك فإن المقاومة التي بدأت في عهد شمر بهرّش كانت بقيادة ملكين أحدهما اسمه شراحيل^(٢٤) ، والآخر ربشمس (جام ٦٥٦) ، مع تقديم اسم شراحيل

(٢٣) نستنتج ذلك من انتداب شمر بهرّش من يقدم قرباناً إلى (سين) بشبوة بعد ضمها في مناسبة الحاضر أو الاجتماع السنوي هناك أو الحج . انظر كتابنا (تاريخ اليمن القديم) المتقدم ذكره ص ١٤١ . وهذه الحقيقة تدل على أن المعبد لم يدمر مما يعقد مسألة اختفاء النقوش خاصة من عهد أحرار يهثر . هناك ولا شك نقوش قليلة متفرقة من المعبد أحدها على الأقل للملك وهو ذاك الذي كان حتى عام ١٩٦٧ موجوداً بمسجد المهجر (انظر كتابنا آثار ونقوش العقلة المتقدم ذكره شكل ١٧) . ولكن ليس هناك ما يعين على تحديد موضع المعبد للتأكد مما حدث لنقوشه ، هذا مع العلم بأن ببطء أعمال الحفر ، بسبب الإمكانيات المادية والحو ، لم تسمح بعد بالكشف عن كل آثار شبوة .

(٢٤) النقش الوحيد الذي يتضمّن اسم شراحيل بين نقوش العقلة يرجع إلى عهد يدع إل بيّن بن ربشمس وهو لشراحيل ذي خصير (جام ٩٧٧) ولكنه لا يتجاوز ذكر =

فهل هو أيضاً من أحرار يهبر ، وهل يمكن اعتبار ربشمس هنا هو نفس ربشمس أصغر أبناء يدع إل المعروفين (انظر أعلاه) ؟

مرة أخرى تبرز الأسئلة وتتوارى أجوبتها . ولكن هذا لا يقلل شيئاً من معرفتنا بالمجرى الرئيسي للأحداث . فالمقاومة الحضرمية للحميريين وإن استمرت بعد شمر يهرعش لبعض الوقت قد قضي عليها فيما يظهر أيام دمار علي يهبر ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت وبينه (اللقب الذي طوره شمر يهرعش) ، ففي عهده يرد ذكر لشخص اسمه أنغار يقول عنه النقش الحميري (الإرياني ٣٢) (ذو هملكو حضرموت) ، أي الذي ملكوه حضرموت . وهي عبارة يحتمل أن تفسر بأن حضرموت القبيلة هي التي ملكته (جعلته ملكاً) .

= الاسم والصلة ، أي أنه مجرد توقيع يثبت مشاركته في المناسبة تماماً كنقشي شاهر أسار بن ربيعة ذي يزأن (جام ٩٤٤ و ١٠٠٣) ، ولا نعرف شيئاً عن أذواء بهذا الاسم كما لانعرف أين كانت تقع أراضيهم فخصير قد يكون اسم حصن / قصر للأذواء أو واد أو مدينة ، قارن (جام ٩٨٤) . ونفترض أن شراحيل من أذواء المناطق الداخلية بحضرموت . ولهذا فمن المحتمل أن يكون شراحيل قد قاد المقاومة مع ربشمس بعد سقوط شبوة . وليس في قيادة أحد الأذواء أو من هو في مرتبتهم مقاومة كهذه ما يستغرب فقد فعل ذلك في سبأ وهب إل يحوز مستنهضاً سمعي ضد دمار علي يهبر الحميري (منتصف ق ٢ م) ، حين دخل مارب برضى جانب من الأقيال (الإرياني ٦) . على أن كل هذا يظل احتمالاً حتى يظهر ما يدعمه أو يسقطه .

والحق أن سقوط شبوة ، أوائل القرن الرابع إذ وضع حداً للعادة التي استنها يدع إل بن راب إل ، أواخر القرن الثاني - أوائل القرن الثالث ، كان بمثابة شهادة الميلاد لدولة التبابعة التي وحدث اليين^(٢٥) .

مستشفى الأميرة جريس - لندن

في ١٢ ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ و ٢٤ كانون أول (ديسمبر) ١٩٨٥


(٢٥) تقول سقوط شبوة مع أنه ليس لدينا ما يدل على قيام معركة فيها ، الأمر الذي يجعل من المحتمل أن انضواءها تحت لواء شمر يهرعش تم نتيجة خلاف في حضرموت كما حدث في سبأ بشأن مارب في القرن الثاني أيام ذمار يهر (الأول) ، أو أنها أخذت بحركة التفاف خاطفة بعد الاستيلاء على منطقة المشرق (راجع المقال) ، وخاصة عبدان أو انخيازها طوعاً إلى حمير . وقد كان لعبدان موقف متميز في حروب شعر أوتر - إلعاذ يلط في القرن الثالث وذلك لأهمية موقف المدينة على الطريق بين شبوة وأرض قتبان (بيحان حالياً) . وهي الأهمية التي قد تفسر صعود ملشان وبنيه اليزنيين بعد خراب عبدان على يد حضرموت (نقش عبدان الكبير) . على أن استسلام شبوة بأي صورة من الصور لا يقلل من شأن المقاومة في أودية حضرموت الداخلية وقد كانت قوية ومنظمة واستمرت ربما أكثر مما نتصور .

بمخلف سبأ وحمير وحضرموت

أو خاتم التبابعة

نشرت جاكين بيرن منذ حين دراسة لخاتم من مقتنيات المكتبة
الوطنية بباريس CIAS Va/S2/96.53 هو التالي نقلاً عن الدراسة
المذكورة :



وقالت عن الأشكال الثلاثة التي تحتل الصف الأوسط
(وهي ) إنها عبارة عن رمز يتوسط
مونوجرامين ، وإنها تركيبة تكرر ورودها في نقوش بل ومخرشبات .
ولاحظت بصفة خاصة أنها وردت في النقشين (C.540) لشرحيل
يعفر و (C.541) لأبرهة .



وكان جلازرق قد ركز على المونوجرامين المحيطين بما اعتبره رمزاً
وقرأهما (بحلف شقر) وشرحهما بما يجعل (شقر) نعتاً ل (حلف) ،
وترجم العبارة بما معناه « بالين (أو القسم) الجليل » .

ولكن بيرن - من خلال الربط بين الإشارتين وبين أعمال الترميم
الذي أمر بإجرائه كل من شرحيل يعفر (C.540) وأبرهة
(C.541) في سد مارب واستخدامهما لأعداد كبيرة من البشر في ذلك
العمل الجماعي - « خدمة للمصلحة العامة » بدلاً من (شقر) لأن
من معاني التقرش ، في المعاجم ، التجمع .

ولما أن (C.541, 91-101) يذكر من تسميهم (رؤساء سبئين)
تقول إنهم « مكلفون من قبل الملك بالإشراف على القبائل
(الشعوب) » التي شاركت في ذلك العمل فإنها تعد (أبشمرنوف)
صاحب الخاتم أحد أولئك الرؤساء (؟!) .

هذا ما نقوله بـيرن ، ولكننا نود أن نتقدم باقتراح مغاير لحل
المسألة .

الرمز أو المونوجرام :

إننا نميل إلى أن مفتاح اللغز يكمن فيما نتصوره نحن مونوجراماً
وليس مجرد رمز حتى لو بدا أو أصبح مع الزمن كذلك .
فالشكل  الذي نجده على النقود المضروبة باسم القصر ريدان إنما
هو في نظرنا رمز للدولة السبئية - الريدانية ، أي هو شعار ملوكها .
وهو وإن بدا للناظر أقرب شيء إلى هيئة شجرة زخرفية لها ساق
وغصنان وما يشبه الثمر لا يستبعد أن يكون مكوناً من الحرفين الراء
والياء محورين ومكررين ، فهناك من المونوجرامات - كما نعلم -
ما يقتصر على حرفين أو نحو ذلك من حروف لاسم كما في حالة
 ، المكون من الياء والزاي ، رمزاً - مونوجرامياً مختصراً
لـ (يزأن) (C.621) . ولما أنه لا يوجد - فيما نعلم - مونوجرام آخر
لاسم ريدان فإن الشكل المذكور قد يكون رمزاً مونوجرامياً مختصراً
لذلك الاسم (انظر أيضاً أدناه) .

المونوجرام : ☿



أما المونوجرام الثالث الذي قرأه جلازر ، ولم يخالفه أحد إلا بين هنا ، على أنه (شقر) إنما هو - فيما نعتقد - اسم القصر الملكي شقير في شبوة^(١) .

المونوجرامات في العملات :

ويلفت النظر أن العملات الحضرية كانت تحمل اسم شقير ☿ كما تحمل عملات قتبان اسم حريب 4) 1 وهو اسم القصر الملكي القتباني . والفارق الوحيد بين عملات كل من حزموت وقتبان من ناحية ، والعملات الريدانية من ناحية أخرى هو أن هذه الأخيرة تحمل اسم ريدان 9) 4 بالكامل مضافاً إليه الرمز المونوجرامي ☿ موضوع الأشكال ، كما تحمل مونوجرامات أخرى لاشأن لنا بها هنا . هذا إضافة إلى أنه لم يعثر على شكل مونوجرامي لاسم حريب . كما أن الشكل المونوجرامي لشقير لم يستعمل في مسكوكة حضرية معروفة .

وكل هذا ، وإن كان يعقد المشكلة بعض الشيء ، لا يكفي لنفي

(١) انظر بافقيه ، محمد عبد القادر : تاريخ اليمن القديم ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٤١

٤٥٩) وريدان  الصلة المحتملة جداً بين الرمز المونوجرامي  وريدان (٤٥٩) فما زالت أقدم الشواهد المعروفة التي جاء فيها الرمز المذكور هي العملات الريدانية التي استعصى على الدارسين ترتيب نماذجها ترتيباً زمنياً موثقاً به^(٢) يساعدنا على معرفة الزمن الذي بدأ فيه استعمال ذلك الرمز والظروف التاريخية التي أحاطت به .

ولكن لما أننا أثبتنا أن الملوك السبئيين من الأسرة التقليدية هم الذين بدؤوا باتخاذ اللقب المزدوج (ملك سبأ وذي ريدان) ، وأنهم قرونا ذلك باتخاذهم ، أو اتخاذ بعضهم ، لقباً شخصياً إضافياً من قائمة الألقاب الشخصية الحميرية / القتبانية كما في حالة ذمار علي وتر يهنم أقدم ، بل ربما أول ، من اتخذ اللقب المزدوج^(٣) ، فإن لنا أن نتساءل عما إذا لم يكن ذلك الرمز - خاصة في عملة كرب إل (وتر) يهنم^(٤) ، مهما كانت العناصر التي يتكون منها ومهما كانت هوية ذلك الملك - يرمز إلى الوضع السياسي الذي رافق إدخال اللقب المذكور ، أو بعبارة أخرى أنه رمز الدولة السبئية - الريدانية / الحميرية^(٥) .

BAFAQIH, M.A, LUnification du Yemen Antique, Paris, 1990, 4.1.2.3 (٢)

Ibid 1. VIII. 2. A. (٣)

Ibid. 3. 1. 2. B. (٤)

Ibid. 1. 1. 2. B. (٥)

مدلول الحلف في تركيبة المونوجرامات وعلاقته بطبيعة الدولة في اليمن قبل الإسلام :

وهكذا فإن مجموعة المونوجرامات الثلاثة قد يكون القصد منها القول « بحلف سبأ وذي ريدان (حمير) وحضرموت » ، أي بالحلف الذي آخى بين تلك القبائل المرموز إليها بالمونوجرامين .

وعندنا في معنى (الحلف) في المعاجم ، إنه « المعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق » ، ويقال « حالف فلان فلاناً فهو حليفه ، وبينهما حلف لأنها تحالفا بالأيمان أن يكون أمرهما واحد بالوفاء » - كله في لسان العرب .

وفي (الإرياني ٦٩ الأسطر ١٥ - ٢٠) تقرأ :

ومعو / ذن / خرفن / فنبل / وبلتن / شمر / ذريدن / وأقول /
حميرم / بعبر / مرأيهمو / الإشرح / يحضب / وأخيهو / يأزل / بين /
ملكي / سبأ / وذريدن / لسلم / وأخونم / ولحشك / بيتنهن /
سلحن / وريدن .

أي مامعناه :

« وفي هذا العام^(٦) ، راسل شمر ذو ريدان وأقبيال حمير سيديهم
(سيدي كاتبي النقش) إلي شرح يحضب وأخيه يأزل بين ملكي سبأ
وذي ريدان (طالبين) السلام والتحالف وأن يتحد البيتان
(القصران) سلحين وريدان » .

وبغض النظر عن مكان هذا الصلح والحلف في تاريخ العلاقات
بين شمر يهحمد ملك سبأ وذي ريدان الحميري والأخوين إلي شرح
يحضب ويأزل بين ملكي سبأ وذي ريدان السبئيين فإن المهم هو أنه في
هذه المرحلة ، التي تسبق معظم ، إن لم يكن كل ، أحداث النقش
(J.576) ، تم تحالف بين ملوك سبأ وبين بني ذي ريدان ، ورمز
إليه بالاتحاد بين القصرين سلحين السبئي وريدان الحميري ، وكان من
نتائج ذلك أن تولى إلي شرح قيادة الخميسين السبئي والحميري معاً في

(٦) العام الذي يشير إليه النقش هو أحد الأعوام في التقويم السبئي بالأشخاص
(الإيبوتياه) . وهو تقويم لم يتسن بعد للدارسين أن يستفيدوا منه الفائدة
المرجوة لوجود ثغرات في قائمة الأشخاص الذين أرخ بهم عبر الزمن . وهناك أكثر
من دليل على أن بعض الأسماء تتكرر بحذافيرها إلى درجة أوقعت من حاول
وضع سلسلة مترابطة لتلك الأسماء ، خلال فترة ملوك سبأ وذي ريدان ، في
أوهام ثبت الآن بطلانها ومنها الخلط بين شمر يهعرش وشمر يهحمد ، انظر على
سبيل المثال ما أوردناه نحن متأثرين بتلك الآراء في تاريخ اليمن القديم ،
ص ١٢١ - ١٢٢

بعض المعارك ضد الأحباش في منحدرات السراة وتهامة . فنحن نقرأ
في (الإرياني ٦٩ الأسطر ٢٦ - ٣٥) :


« وبمو / هوت / خرفن / فسبأ / وضبأ / مرأهو / إشرح /
يحضب / ملك / سبأ / وذريدن / درم / ثنم / عدي / سهرتن /
بعلي / أعصد / حبشت / وذسهرتم / وشوعهو / خسهو / خمس /
سبأ / وذبن . / أقول / وأشعب / حميرم / ووكبو / اعصدهو / بمقرم /
بسفلت / أرض / عكم / وتأول / مرأهو / إشرح / يحضب / ملك /
سبأ / وذريدن / وخسيهو / خمس / سبأ / وحميرم / بوفيم / وحمدم /
ومهرجتم » .

أي مامعناه :

« وفي ذلك العام غزا سيدهما إلى شرح يحضب ملك سبأ وذري
ريدان السهرة للمرة الثانية حاملاً على جموع الأحباش وأهل سهرة
ومعه خميسه خميس سبأ وبعض أقيال وشعوب حمير وظفروا بجموعهم
(جموع الأحباش) بمقرم^(٧) في سافلة أرض عك ، وعاد سيدهما إلى
شرح يحضب ملك سبأ وذري ريدان وخميساه خميس سبأ وحمير سالمين
حامدين غانمين » .

(٧) (مقرم) في النقش قد يكون اسم موضع في سافلة أرض عك ولكن لم نعثر له
على أثر في المصادر التي رجعنا إليها . على أن تاج العروس يقول « القرف (من
الأراضي المحمة) أي ذات حمى ووباء نقله (ابن عياد) » .

إن هذا النقش يلقي ضوءاً يبدد الكثير من الظلام الذي كان يحيق ببعض جوانب العلاقة المتقلبة بين الدولتين السبئية والحيرية (الريدانية) بعد سقوط الأسرة المالكة التقليدية السبئية ، ويفسر قضايا من مثل التعاون بين الجانبين في (J.631) ، وأسباب قيادة شعر أوتر خميسين سبئي وحيري (C.334 & 633) ، ويبين في الوقت نفسه أن فترات السلام بينهما قد تؤدي إلى تحالف ، وأن هذا التحالف يوصف أحياناً بأنه (جزم) (J.5763) أي عهد موثق بالآيمان .

ونحن إذا تأملنا العبارة التي عبر عنها بالمونوجرامات الثلاثة حيثما وردت نجد أنها ظهرت بعد أن تمّ ضم حضرموت التي تأسس على ضمها قيام عهد التبابعة ، ولما أن الرمز المونوجرامي  كان شعار الملوك من أصحاب اللقب الملكي والشخصي المزدوج (انظر أعلاه) قبل ضم حضرموت فإنه لا غرابة في أن يرمز إلى عهد التبابعة بشرطيه^(٨) بالاتحاد أو التضامن بين ما يمثله الرمز المذكور وشقير رمز السلطة في حضرموت .

(٨) بافقيه ، محمد عبد القادر (موجز تاريخ البن قبل الإسلام) في بافقيه وآخرون :
(مختارات من النقوش البنية القديمة) ، تونس ١٩٨٥ ، ٧ و ٨ ، ص ٥٤ - ٦٥

وإذا صح هذا الاستنتاج فإنه يحق لنا أن نرى فيه تفسيراً للرأي الذي جاء في لسان العرب من أنه « قيل كان ملك الين لا يسمى تبعاً حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير » .

ومعلوم أن من ملامح نظام الحكم القديم في الين استناد الحاكم على مستوى القيالة كما هو على مستوى الملك إلى شعب أو شعوب (قبائل) . وهذه الشعوب الثلاثة : سبأ وحمير وحضرموت كانت تحتل في دولة التبابعة كما يظهر في نقوش المرحلة الثانية على الأقل مكانة مرموقة وعليها يعتمد الملوك (Ry 509 & 510) .

المونوجرامات في نقش شرحبيل وأبرهة :

وإذا عدنا ثانية إلى النقشين اللذين استشهدت بهما بـين نجد أن (c. 540) ، وهو نقش شرحبيل يعفر آخر التبابعة الكبار من بني ذي ريدان ، قد اقتصر على إيراد المونوجرامات الثلاثة المترابطة كما هي في خاتم أبشمر نوف حذوك النعل بالنعل ، زين به النقش المكرس لوصف عملية ترميم العرم (سد مارب) مرتين متقاربتين . وفيه يذكر شرحبيل اشتراك حمير وحضرموت بالذات (الأسطر ٦٤-٧٢) في القيام بالعمل المطلوب . ولكن حتى لو كان الدافع المباشر لإيراد صيغة المونوجرامات الثلاثة في النقش هو مناسبة اشتراك تلك الأطراف الرئيسية في المملكة في ذلك العمل الهام فإن هذا لا يغير

شيئاً من المعنى العام للصيغة ولمدلول الحلف القائم قبل ذلك العمل
وبعده .

أما (c.541) وهو نقش أبرهة الذي يرقى في ظننا إلى السنوات
الأولى من عهده^(٩) فقد اشتهل بالإضافة إلى المونوجرامات الثلاثة
المذكورة على صف آخر من مونوجرامات ثلاثة أخرى هي في نظرنا
عبارة عن اسم الملك (أبره) محاطاً بلقبين اتخذهما لنفسه هما
(رماحس) و (زبين) ، وقد جاءت في صف واحد يعلو صف
المونوجرامات موضوع هذا المقال وبنفس الطريقة التي جاء بها اسمه
وألقابه ، بما فيها اللقب الملكي ، في النقش نفسه وهو :

« أبره (عزلي ملكن أجعزين) رحس زبين ملك سبأ وذريدن
وحضرموت ويمنت وأعرهمو طودم وتهمت » (الأسطر ٤-٧) .
أليس في هذا ما يجعلنا نفكر في الربط بين المونوجرامات الثلاثة
واللقب الملكي (انظر أدناه) .

لقد سبق أن أشرنا في دراسات أخرى إلى تشبّه أبرهة بشرحيل

(٩) بافقيه ، محمد عبد القادر : (أبرهة تبعاً ..) دراسة قدمت في ندوة جامعة
اليرموك في ذكرى مرور عام على وفاة المرحوم الأستاذ الدكتور محمود على الغول
ديسمبر ١٩٨٤ ونشرت بإذن خاص في (دراسات يمنية) صنعاء ، العدد ٢٥-٢٦ ،
يوليو - ديسمبر ١٩٨٦ .

يعفر الذي رمز إليه في النقش بلقبه (يعفر) (سطر ٩٨) . وأبرهة وإن لم يكن يميناً في الأصل ، بل جاء إلى الين في عداد الحملة الأكسومية عام ٥٢٥ م ، إلا أن الانقلاب الذي جاء به إلى العرش كان انقلاباً محلياً على سميع الكلاعي - اليزني - الجنني الخاضع للملك أكسوم^(١٠) .

إن كل شيء في هذا النقش يدل على حرص أبرهة على استكمال دواعي الشرعية اللازمة لحكمه . ولم يكن حرصه على إثبات صيغة المونوجرامات الثلاثة إلا من قبيل التقيد بتقليد تبّعي .

أبشمر نوف والرؤساء السبئيون :

ونأتي الآن إلى قول بيرن أن (101 - 541,91 c) تحدث عن (رؤساء سبئيين) أوكل إليهم الملك مهمة الإشراف على الشعوب التي وردت للعمل في السد . فما هي هذه العبارة بالدقة ؟ إنها تقول :

« وكبعدن ذتريد ضللن بمحمد رحمن وردو أشعين حج بعظتهو
قدمتن شتأهو على مرعدهو آخرن / وكوصحهو أشعين بمدت ذدأون
اخرتن / وكاسيهو أشعين كلهو عذبو دثبر بن عودن ذتقه بعفر بسبأ
وأقولن ألعت كنو عم ملكن ونظرهو » .

(١٠) بافقيه ، محمد عبد القادر ، (اليزنيون وخلفية الأحداث التي أدت إلى قيام وسقوط حكم الأحباش في الين) . المنتدى عدد ٣ دى أكتوبر ١٩٨٣ ص ١٦ ، وأعيد نشرها في دراسات يمنية ثم في (في العربية السعيدة) صنعاء ١٩٨٧ .

أي مامعناه :

« وحيث أنه بعد أن انجاب الوباء بمحمد الرحمن وردت الشعوب وفقاً للاستدعاء المتقدم بحضورهم في الموعد الثاني (الذي ضرب لهم) .
وحيث كان وصولهم في فترة ذي داؤن الثاني (كانون الثاني ؟) .
وحيث أنه بمجيء الشعوب تم ترميم ما خرب من جسم السد (أو حائطه الامتدادي) ، الذي أقامه يعفر بسبأ والأقيال الذين كانوا بمعية الملك ونظرائهم (؟) » .

حقاً إن عبارة « بسبأ » التي تتقدم هنا « أقولن » (= الأقوال / الأقيال) تذكرنا بـ « أسبان » (= الأسبوء) التي كانت تتقدم في الماضي الأقيال (J.562 & 629 مثلاً) ، ويقصد بها كما ذكرنا في دراسة أخرى البيوت أو الأبيات السبئية الثانية أو الماثامنة^(١١) . ولكن ليس

(١١) بافقيه ، محمد عبد القادر : « الهمداني والماثامنة » بحث قدم في ندوة الذكرى الألفية لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني بجامعة صنعاء أكتوبر ١٩٨١ ، ونشر في (في العربية السعيدة) ، كأعلاه وقد درج بعض الباحثين منذ ذلك التاريخ على الحديث عن الماثامنة دون إشارة إلى البحث المذكور ، ربما لعدم نشره ، مرددين الأفكار نفسها التي وردت فيه . وقد عدنا من جانبنا إلى الموضوع مرات وأصبحنا نميل الآن إلى أن الماثامنة هم نفس (الأسبوء) (أسبان) ، وإن (الأسبوء) هم أبيات ثمانية من قبيلة سبأ صاحبة مارب بالذات وهم بنو / أدواء : ثعلبان ، خليل ، سحر ، جدن ، صرواح ، مقار ، حزفر ، عثكلان . وإن ما جاء عن اقتسام الماثامنة للملك فيه خلط بين دورين لـ الماثامنة - دورهم في تنصيب الملك في =

هناك ما يحتم الربط بين أولئك الأسبوء - إذا صح الاستنتاج - وبين أبشمر نوف هذا ، الذي قد يكون شخصاً ذا شأن ولكنه لم يترك لنا ما نستدل به على انتمائه القبلي أو مكانته على سبيل المثال . لم يحرص على ذكر مرتبته فلا نعرف هل هو من مرتبة الأذواء / الأقيال^(١٢) أم هو من مرتبة ما يوصف بـ (نظرهو) (C.541,101) . وإذا كانت صيغة المونوجرامات في الخاتم ترجع به حتماً إلى فترة التبابعة إلا أن الربط بينه وبين عمليات الترميم المذكورة في (C.541) ، أو حتى (C.540) ليس هناك ما يحتمه .. وكل ما يمكن قوله هو أن هذا الشخص حرص على استخدام الصيغة في خاتمه لسبب نجهله^(١٣) .

الخلاصة :

والخلاصة هي إن مجموعة المونوجرامات الثلاثة المترابطة في النقشين وفي الخاتم الذي استعنا به في النقاش إنما تشير أغلب الظن إلى اتحاد جناحي الين شرقه الحضرمي وغربه السبئي - الحميري اللذين تمّ بهما انطلاق عهد التبابعة .

= سبأ على الأقل (قارن J.562) ودورهم أو دور بعضهم في الاستحواذ على مناطقهم والاستقلال بها بعد ذي نواس أو سيف بن ذي يزن ضمن استحواذ آخرين على أطرافهم وقيام ما تسميه بعض المصادر الإسلامية بحكم الطوائف في الين قبل الإسلام .

(١٢) انظر بافقيه ، (الأقيال والأذواء ونظام الحكم في الين القديم) في هذا الكتاب .

(١٣) قارن بورود الرمز المذكور في بيستون CIAS 57.51/W 7 n.10

ومعلوم أن نظام الحكم القديم في الين ذا الصبغة الفدرالية على أقل تقدير كان كلما اهتز بالصراعات الداخلية يعود في نهاية كل مطاف إلى الاستقرار بناء على صيغة تحالفية ودية تعقد بها موثيق قائمة على الأيمان المتبادلة كما لاحظنا فيما تقدم .

مثل هذا تكرر خلال فترة حرب الثلاث مئة عام خاصة في منتصف القرن الثاني ولو بصفة عابرة أيام دمار علي يهر الأول وسعد شمس أسبرع وابنه مرثد^(١٤) ، ثم أيام شعر أوتر صاحب الخمسين السبئي والحميري (مثلاً J.633) ، ثم في عهد إلي شرح يحضب الثاني وأخيه يأزل بين كما يظهر من استسلام شمر يهحمد العابر لهما وقيام إلي شرح يحضب بقيادة خميس سبأ وحمير (الإرياني ٦٩) .

بل إن انتصار بني ذي ريدان النهائي قرب نهاية القرن الثالث قد تمّ بشيء من التراضي أومأت إليه مصادر الإخباريين^(١٥) ، ودلّ عليه انتقال ياسر يهنعم وابنه شمر من ظفار إلى مارب لاستلام القصر سلحين سلمياً (الإرياني ١٤) .

وحين أضاف شمر يهرعش اسم (حضرموت ويمنة) إلى اللقب

(١٤) بافقيه : موجز تاريخ الين قبل الإسلام المتقدم ذكره فقرة ٤ - ٥ و ٦

(١٥) انظر بافقيه ، محمد عبد القادر : (الحارث الرأش ونسبه المختلف فيه) . في

Mélanges Linguistiques offerts à Maxime Rodinson Paris, 1985, P430

وفي دراسات يمينة (العدد ٢٠) ، ثم في هذا الكتاب .

الملكي ، مفتتحاً عهد التبابعة مطلع القرن الرابع قبل إتمام إخضاع حضرموت ، فإنما فعل ذلك بعد الاستيلاء على شبوة (J.662) ، ومن ثم القصر شقير . وهناك قرائن معينة تجعل من المحتمل أن ضمَّ شبوة قد تمَّ دون عنف .

إن الصيغة التي تمثلها المونوجرامات الثلاثة العائدة في تقديرنا إلى فترة التبابعة قامت على تجاهل سلحين القصر الملكي العتيق بمارب أو على اعتبار أن الرمز 𐩦 يشمل كلاً من سلحين وريدان ، أو يشمل ما يمثلانه معاً . ومعلوم - من ناحية أخرى - أن سلحين ظل قائماً أيام شمر يهرعش (مثلاً J.652) ، ولا نعرف شيئاً محدداً عن مصيره بعد ذلك سوى ورود اسمه في النقش (CIAS 95.11/W7 no.1) الذي يرجعه بيستون إلى الجزء الأخير من القرن الخامس الميلادي . ولكن ذلك التاريخ مسألة تقديرية قابلة للنقاش . أما شقير فهناك رأي يقول بتدميره في وقت من الأوقات غير محدد^(١٦) . على أنه مهما يكن من أمر القصرين بعد شمر يهرعش فإن وريدان ظل وحده ، معظم أيام التبابعة ، القصر الملكي الذي يمثل مركز السلطة الفعلية^(١٧) . ولكن كل هذا لا يمنع من أن تحتفظ

(١٦) عن فكرة تدمير شقير النظر :

Breton, J-F, «Fonction et Historique du Monument» dans Raydan 4,

1981, «3. les destructions» P183-185

(١٧) أشير إلى الأسرة الحاكمة (التبابعة) في ظفار في نقش من منتصف القرن الخامس =

الصيغة التي تمثلها المونوجرامات الثلاثة بأهميتها كرمز لوحدة الشعوب الأساسية في الدولة .

وفي الأخير لا يفوتنا أن نلاحظ أن الصيغة إذا كانت تشير ، كما نعتقد نحن ، إلى الشعوب أو الكيانات الرئيسية في دولة التبابعة عاكسة الطبيعة الاتحادية لنظام الحكم في اليمن قديماً فهي إنما تتماشى في الوقت نفسه مع صيغة اللقب الملكي نفسه^(١٨) الذي يعكس بدوره تلك الطبيعة للحكم .

عدن ٢٥ ذي القعدة ١٤٠٧ و ٢١ تموز ١٩٨٧ م .

= (R 50858) بعبارة « أبعل زيدان » أي أصحاب القصر زيدان التي عرفت من قبل في نقوش أتباع بني ذي زيدان .

(١٨) انظر بافقيه : (في العربية السعيدة) صنعاء ١٩٨٧ ، موضوع (اللقب الملكي الحميري) .

اليزنيون والجدنيون

من القبيلة إلى الملك

توطئة :

حتى اكتشاف نقوش ينبق (بافقيه ١٩٧٩)^(☆) لم يكن يعرف عن اليزنيين (الأذواء فالملوك) شيء سوى ما كان من أمر ظهورهم بقوة أيام يوسف أسأر يثأر ، المشهور بنذي نواس ، وما هو معروف من المصادر العربية عن مقاومتهم لحكم أبرهة وأسرته .

ثم حدث أن نشرت بيرن نص النقش الذي نسميه نحن (نقش عبدان الكبير) (بيرن ١٩٨١) دون تعليق عليه وتوليننا نحن ذلك بإذن منها (بافقيه ١٩٨١ م) .

ولقد اكتفينا حينذاك بالشرح الإجمالي لعبارات النص وإبراز مضامينه دون الدخول في تحليل لغوي مفصل لمفرداته إلا ما كان له أثر بالغ على فهم مضمون من مثل : أرخ ، تبكر ، هتقف^(١) .

(☆) انظر المراجع في آخر المقال .

(١) انظر مقالنا (عودة إلى نقش عبدان الكبير) في ريدان ٥ عدن ١٩٨٨

واقترحنا تصويبات أهمها تصويب قراءة (عمد قيسن) في النص كما نشرته بيرن والذي قلنا إنه (عبد قيسن) أي (عبد القيس) القبيلة المعروفة ، وهو ما أكدته قراءة جديدة في الموقع قام بها روبان وإن لم يشر إلى ما فعلناه (روبان ١٩٨٦ ، ص ١٨٣) . ولم يكن امتناعنا عن محاولة الشرح التفصيلي إلا مراعاة لما تواضع عليه علماء النقوش من ترك شرح النقش (أو ترجمته) لمكتشفه أو لمن عهد إليه بذلك . وكانت بيرن قد نصت في مقالها على أن حمود السقاف كان يصدد القيام بالترجمة .. ولكن الانتظار طال ..

وفي الأثناء طالعنا روبان (المرجع أعلاه) بإضافات وتحسينات في قراءة النص أدخلها نتيجة زيارة قام بها إلى الموقع ، وتتركز في :

- استكمال قراءة تاريخ النقش الذي ظهر أنه العام ٤٧٠ من التقويم الحميري (= ٣٥٥ م)^(٢) .

- تقويم قراءة عبارة جاءت مضطربة ناقصة عند بيرن (انظر بافقيه ١٩٨١ ، ص ٢٨ ك) فأصبحت عنده « بسين على موبأرن سجه بينن أرض نزر وأرض غسن » وشرحها بـ « بالسي على آبار سجا بين أراضي نزار وغسان » (روبان كأعلاه) .

(٢) في (بافقيه ١٩٨٠ هـ ٣) قدرنا تاريخ النقش بـ (٤٠٠ + س) من التقويم الحميري وقلنا إنه يسبق نقشاً من عام ٤٩٣ ح .

إن أهم ما تكشف عنه نقش عبدان هو تحديد أرض نزار ، وهو ما أشرنا إليه من البداية ، ثم عدنا إليه بتفصيل أكثر فيما بعد (١٩٨٤) . ولم يكن أحد ، فيما نعلم ، قد تصدى لمحاولة تحديد أرض هذه المملكة التي تبلور حول ذكرها النسب النزاري عند الإخباريين والنسابة^(٣) .

وتأتي قراءة روبان هذه لتجعل من السي ، وهو موضع ذكر في الشعر الجاهلي^(٤) ، نقطة تلتقي عندها أو على جانبيها أراضي المملكتين ، ودارت فيها معركة مع عشائر تعد في صلب نزار (باقيه ١٩٨٤ الفقرة عن أرض نزار وهـ ٢٠) .

وما زال الزميل روبان يواصل محاولات تحسين قراءة النص تحت مظلة البعثة الأثرية الفرنسية في حين يواصل السيد حمود السقاف - كما قيل لنا - محاولة الشرح . ولكن حبذا لو أن المركز للأبحاث الثقافية^(٥) يتولى التنسيق بين المهتمين بالنقش وتقوش أخرى يعلم كما نعلم نحن أنها موجودة في شعاب وجبال منطقة الشرق التي كانت

(٣) انظر مقالنا : (الأنساب والسير اليمنية عناصرها ومصادرها) في ريدان هـ

(٤) السي : قال زهير بن أبي سلمى :

« أصك مصلم الأذنين أجنى له بالنسي تنوم واء »

وانظر (السي) في معجم البلدان لياقوت الحموي .

(٥) المركز اليمني (بعدن) أصبح يسمى فرع الهيئة العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف .

أوسان في يوم من الأيام أبرز الممالك فيها ، والتي ظلت طويلاً حلبة تنافس بين قتيان وحضرموت قبل أن تسيطر عليها هذه الأخيرة في فترة ملوك سبأ وذي ريدان ، والتي أصبحت عماد الأهمية التي اكتسبها اليزينيون تحت التبابعة ، والتي لجؤوا إليها حين حزبهم الأمر فاعتصموا بجبل كدور فيها فراراً من أبرهة (بافقيه ١٩٨٢ م ص ٢) .

في هذه المنطقة وفي موقع اسمه هجر أم ذيبية بوادي ضرا اكتشف المواطنون مصادفة عام ١٩٨٥ م مقبرة قديمة تحوي قبورها كنوزاً رائعة ، فسارع المركز حين علم بالاكتشاف إلى القيام بحفريات إنقاذ شارك فيها السيد / ريمي أودوان ، عضو البعثة الأثرية الفرنسية ، الذي صادف الاكتشاف وجوده في البلاد في مهمة أخرى .

وأدت تلك الحفريات والترداد على نقش عبدان الكبير إلى العثور على عدد من النقوش الهامة في نفس الوادي (ضرا) الذي هو كصنوه عبدان من أودية المشرق ، والذي يبدو أنه كان فيه عدد من الأذوائيات الصغيرة التي شارك أذوائها في معارك خاضتها حضرموت ضد الحميريين (نقش المعسال ٣ ، وبافقيه - روبان ١٩٨٠) .

ومن بين النقوش التي عثر عليها في ضرا نقشان سبق أن نشرنا منذ عهد بعيد فأمكن تحديد موضعيهما بدقة أكثر من ذي قبل .

أحد هذين النقشين المنشورين هو النقش الموسوم (R.3856)

من موضع اسمه أم مرحلة . وصاحبه شخص اسمه غالب ... بن
دوسم بن قسم (بالسین الثانية) لم يقل إنه قيل ولم يستخدم علامة
الأذوائية المعتادة (ذو) مكتفياً ، لاريب ، ب (بن) التي تستخدم
في النسب كما في عربيتنا وتستخدم للدلالة على مرتبة الإمارة كما في
(بن جدن) من الأسوء / الماثمة وبن همدان (من الأقيال)^(٥) .
وكان بن قسم صاحب النقش تابعاً لملوك قتبان التي تدل نقوش أخرى
على امتداد سلطانتهم إلى ضراء ، ولكن قسم في نقوش القرنين الثاني
والثالث الميلاديين تأتي اسماً لقبيلة (شعب) تحارب السبئيين إلى
جانب حضرموت وقتبان (إرياني ١٣ فقرة ٦) . وتوحي مؤشرات
مختلفة إلى أنها كانت تابعة لأذواء يلقب أصحاب القصر يحضر في
مدينة حلزوم (قارن بجام ٦٢٩ ص ٢٤ - ٢٩) ونفهم من (نقش
عبدان الكبير) أن سلطان ملشان أريم وبنيه كان يشمل أذوائية
يلقب هذه (بافقيه ١٩٨١ ، ص ٤٠ ، فقرة ٢) .

أما النقش الثاني وهو (R.4069) ، الذي سنعود إليه عند
الحديث عن بني لحيعة يرخم ، فنكتفي في شأنه بالقول بأن إعادة
اكتشافه صحبت معها اكتشاف تاريخه وهو عام ٥٩٥ ح
(= ٤٨٠ م) ، بخلاف ما قلناه من قبل استناداً إلى لوندن

(٥) في (R.3856/5) يتحدث بن قسم هذا عن أتباعه « الشعب ذي محرضو
ومشرقين » (قارن بما في بجام ٦٢٩ ص ٢٤ - ٢٩) .

(بافقيه ١٩٧٩ ص ٥) ، وقد ثبت الآن أنه يسبق نقشاً آخر بعام واحد ، أصحابه هم نفس أصحاب هذا النقش ، وقد اكتشفته البعثة الفرنسية في خرائب مدينة قديمة بالجوف تعرف اليوم باسم (حزمة أبو تور) (روبان ١٩٨٥ ص ١٨٥) . هذا ويسمى الموضع الذي خط فيه (R.4069) بقرن الأملح أو القرن الأملح .

بنو ملشان .. وبنو لحيفة يرخم :

كل هذا يعود بنا إلى نقطة قد تبدو عابرة في مقالنا الذي قدمنا به نقوش ينبق لأول مرة وذلك عندما لفتنا الأنظار إلى احتمال حدوث تغيير في السلالة اليزنية في وقت لم نستطع حينها تحديده بدقة (بافقيه ١٩٧٩ ص ٦) - تغيير جاء نتيجة ظهور أسرة جديدة هي أسرة لحيفة يرخم التي اتخذت إضافة جديدة إلى لقب السلالة اليزنية وهي (جدن) التي جاءت بعد (يزأن) مباشرة متقدمة على (يلغب) . وكانت مثل هذه الإضافة عندما ترى في لقب من ألقاب السلالات القليلة / الأذوائية تفسر بأنها وليدة اتحاد حدث بين سلالتين أو أسرتين ، وهوم تفسير له وجاهته وقد استخدمناه في بعض ما كتبنا .

ولعل أشهر الإضافات من هذا القبيل أو أكثرها استرعاء لانتباه الدارسين في الستينات هي إضافة (هدان) إلى (بتع) (C.2 مثلاً) ، إذا اعتمدنا ترتيب الاسمين ، أو (بتع) إلى (هدان) إذا

اعتمدنا حقيقة كون الذي اتخذ الإضافة يفترض أنه من (بني همدان)
أقيال حاشد . فهل كان ما حدث نتيجة اتحاد بين سلالتين أم أنه كان
شيئاً آخر ؟ الاحتمالات كثيرة ! ولكن إذا افترضنا أنه كان اتحاداً فهل
يمكن اعتبار الاتحاد قاعدة تنطبق على الأحوال الأخرى وما أكثرها
- ومنها حالة (يزأن وجدن) هنا ؟

علينا قبل أن نحاول الإجابة أن نتذكر أن نقوش المعسال ، التي لم
تنشر كاملة إلى اليوم والتي كان من حظنا أن قمنا بالاشتراك مع الزميل
روبان باستخراج نصوصها من الصور التي أخذتها البعثة الفرنسية لها ،
كشفت حقيقة لم تكن معروفة من قبل وهي إمكان إحلال قيل محل
قيل بتدخل من الملوك ، تلك الحقيقة التي ألح الممداني إلى احتمال
حدوثها وإن لم يذكر دور الملوك في العملية صراحة (انظر بافقيه
١٩٨٧/ب ص ١٢٨) .

كما أن تولي القيل قيالة مقولة لم تكن في الأصل تابعة لسلالته قد
يكون أمراً عابراً ، فهذا ما يحتمل أنه حدث أيام إلي شرح يحضب حين
تولى نوف بن همدان قيالة غيان إلى جانب حاشد
(جام ٥٧٦ + ٥٧٧ س ٦ - ٧) ، إذ ربما كان ذلك نتيجة وقوع
هوف عث أصحح الغيماني في أسر الأحباش الذين أوفد إليهم مفاوضاً
في مدينة سواء كما يقول النقش (جام ٥٨٥) . هذا على افتراض أنه

القيـل الرئـسـي لـغـيـان . عـلـى أـن (نـقـش المـعـسـال ٥) يـقـدم الدـلـيـل
القـاطـع عـلـى هـذـه الحـالـة فـفـيـه نـرى قـيلاً حـمـيـراً يـتـقـلـب فـي عـدد مـن
المـقـولـات أـيـام شـمـر يـهـمـد ، ثـم كـرب إـل أـيـفـع ، وأخـيراً يـاسـر يـهـنـعـم .

(١)

بنو ملشان

ولنـعـد إـلـى مـلـشـان وبـه الأـسـرة الأـخـرى والأـسـبق والـتي بـدأـت
مـسـيرتـها مـنـطـلـقـة مـن القـصـر (يـزـأن) مـدـيـنة عـبـدان تـحـت ظـل التـبـاعـة
فـي بـدـايـات القـرن الرـابـع المـيـلـادـي .

لـديـنا حـتـى الآن مـن النـقـوش الرئـسـيـة لـهـذـه الأـسـرة نـقـشـان هـا
(نـقـش عـبـدان الكـبـير) المـقـابـل تـارـيـخـه لـعام ٣٥٥ م كـا تـقـدم ، ونـقـش
لـأقـيـال مـن فـرـعـين أحـدـهـا هـو بـنـو مـلـشـان والأـخـر بـنـو غـرـان وهـو النـقـش
المـوسـوم (R.5085) والمـؤـرخ بـعام ٥٦٠ ح (= ٤٥٥ م) أي بـعـد ٩٠
عـامـاً مـن كـتـابـة النـقـش الأـوـل وقـبـل ٣٥ عـامـاً مـن أقـدم نـقـش مـعـروف
لـبـني لـحـيـة يـرـخـم الـيـزـنـيـين الجـدـنـيـين مـوضـوع دـراسـتـنا فـي هـذا المـقال .

إن نـقـش عـبـدان الكـبـير خُـطَّ بـعـد أحـدـاث كـثـيرة تـلـت اسـتـيـلاء
الحـمـيـريـين عـلـى شـبـوة (جـام ٦٦٢ مـثـلاً) وإـعـلانـهـم ضـم حـضـرمـوت الـذي
قـام عـلـيـه نـظـام التـبـاعـة - أحـدـاث عـامـة مـنـها غـزـوات واسـعة فـي كـل

الأنحاء في السراة وأرض الأزد ومهرة وأرض نزار ، وأحداث خاصة تتعلق بحياة أبناء الأسرة وما يسمى بتبكر كل فرد من أفرادها الذكور عند بلوغه سنّاً معينة كما نعتقد ثم اكتمال تثقيفه أو تأهيله لتولي مسؤولياته القليلة عند بلوغه سنّاً أخرى كما نفهم من كلمة (هثقف) . وهي أحداث تتصل بحياة ثلاثة من الأجيال في الأسرة ، الأب وأبناؤه وأحد أحفاده على الأقل . وقد دار بعضها خلال عهدين على الأقل من عهود الملوك الذين حكموا بعد ذمار علي يهبر الذي استمرت المقاومة في وادي حضرموت إلى عهده (الإرياني ٣٢) .

يحدثنا نقش عبدان نفسه عن تعرض مدينة عبدان لغضب حضرموت ، وهذا لا يمكن تعليله إلا بانحيازها إلى حمير في إحدى المراحل من الصدام المتكرر بين حمير وحضرموت وذلك بعد أن كانت المدينة من قبل تابعة أو ممالئة لحضرموت .

ولما أنه في عهد أحد أواخر الملوك الحضارم كان (ذو يذآن) ، بالذال على الطريقة الحضرمية ، اسمه شاهر بن ربيعة (انظر أدناه) ، ولما أن نقش عبدان لا يذكر اسم والد ملشان فإننا نفترض ، لما تعودناه من النقوش ، أن يكون ملشان هذا طارئاً على أذوائية يزأن . فهل هو من أذواء يلغب أصحاب البيت / القصر يحضر في حلزوم ؟ أم هو طارئ على الأذوائيتين معاً ؟ الله وحده يعلم .

في نقشي شاهر بن ربيعة ذي يزأن المتشابهين (جام ٩٩٤ و ١٠٠٣) اللذين تركهما في العقلة بالقرب من شوة لم يتجاوز المكتوب فيهما الاسم واللقب ، وليس لدينا من أي مصدر آخر قبل ذلك التاريخ ما يدلنا على مكان الأذوائية حتى جاء نقش عبدان الكبير نفسه ليقول لنا إنه ضمن إعادة بناء عبدان التي دمرها الحضارمة كان بناء (بيت يزأن) . وهذا يجعلنا نفسر اللقب بأنه قائم على النسبة إلى البيت / القصر تماماً كما هو الحال بشأن لقب بني ذي ريدان والقصر ريدان في ظفار الحيرية^(٦) .

ومع ذلك فنحن لا نعرف متى بني ذلك القصر لأول مرة في عبدان ، فالإشارات النقشية إلى المدينة ، ومنها نقش من القرن الثالث أيام شعراًوتر السبئي (CIAS 39.11/03 No3) ، لا تذكر يزأن بأية صورة من الصور . نقول هذا مع علمنا بأن الحجة السلبية لا تغني شيئاً في وجه أية معضلة . على أن (ذا يزن) كان منذ القدم اسماً لمحفد بمدينة (ضيفتن) (R.2687) التي هي في ظننا مركز القبيلة (ضيفتن) (انظر بافقيه ١٩٨٧ - أ هامش ٢) .

إن كل ما يمكننا قوله بثقة هو أن ملشان هو أحد الأذواء

(٦) نقل جواد علي في الفصل ٥٩٧/٢ عن ابن دريد قوله أن يزن اسم موضع دون تحديد طبيعة الموضع وحدوده .

المشاركة الذين انحازوا إلى حمير ، أو أنه حميري جيء به ليتولى القيالة في عبدان تلك المدينة العريقة الاستراتيجية في الشرق ، وأنه في كل الأحوال طارئ على الأذوائية اليزنية بالذات . أما اتخاذه لقب القيل وهو ما يبدو أنه لم يكن معهوداً في النظام الحضرمي أو القتباني فأمر آخر (انظر بافقيه ١٩٨٧ - أ ص ١٤٤ - ١٤٥ وهامش ٣) .

وإذا افترضنا أن ثاران يهنعم الذي ورد ذكره في نقش عبدان الكبير هو ثاران يهنعم الذي شارك أباه الحكم عام ٤٤٣ ح (= ٣٢٩ م) وأنه والد ملكيكرب يهأمن والد أبي كرب أسعد التبع الكبير فإن هذا سيعني أن عهد أسرة ملشان في القيالة اليزنية واکب عهد هذه الأسرة من الملوك ربما من أيام ذمار علي يهر (الثاني) . فالنقش الرئيسي الثاني لبني ملشان (R.5085) وتاريخه هو ٥٦٠ ح (= ٤٤٥ م) يقع في عهد شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد آخر التبابعة الكبار ، الذي عاش إلى ما وراء عام ٥٧٢ ح (= ٤٥٧ م) وأحداث (R.5085) تسبق ترميم شرحبيل للعزم سد مارب للمرة الأخيرة بخمسة أعوام .

ومن مقارنة لقب أسرة بني ملشان في النقشين المذكورين والشعوب (القبائل) التي ذكرت على أنها تابعة لهم نجد أنهم كانوا :

(أ) في عام ٣٥٥ م : أدواء يزأن ويلغب وكبران ، وتتبعهم قبيلتا ضيفتن ومشرقن^(٧) .

(ب) في عام ٤٤٥ م : أدواء يزأن ويلغب وذو كبران وخسين وصدقين^(٨) وذو يصبر وتتبعهم قبيلتا ضيفتن ورثم .

ويحيرنا اختفاء المشرق (مشرقن) في النقش الأخير خاصة مع الاحتفاظ بـ (يلغب) في اللقب ، فهل يعني ذلك فقدان المشرق ؟ ولكن كيف نفسر ظهوره في المرحلة التالية (انظر أدناه) ؟ أغلب الظن أنه لا دلالة كبيرة لذلك^(٧) .

ثم ماذا يعنيه انقسام السلالة إلى فرعين أحدهما يحمل الاسم القديم (بنو ملشان) ، والآخر له اسم جديد هو (بنو نمران) ؟ ومن هو نمران ؟

المهم هو أننا إذا اعتبرنا أنه من الصعب تصور أقيال يزنيين بعيداً عن (بيت يزأن) في عبدان فإنه يتعين علينا القول بأن الأسرة في وضعها ذاك كانت مسيطرة على رقعة تمتد ما بين عبدان وعماقين الذي

(٧) يوصف الشعبان في بعض النقوش بشعب (بالمفرد) (بافقيه ١٩٨١ ص ٣٢ مثلاً)

وقد يفسر هذا إسقاط مشرقن أحياناً . وإلى هذه المرحلة ينبغي إرجاع نقش

(ينبق ٣٨) الذي نصه هو « بريل ذو يزأن ويلغب وكبران قيل الشعين

(شعبنهن) رثم وضيفتن ومشرقن » (باعتبارها شعب واحد) .

(٨) لا يتكرر الاسمان في أي نقش آخر معروف ، ويحتمل أنها ملحقان بكبران .

يصف النقش الأخير قيامهم بأعمال ري فيه والذي يحرصون على وصفه بأنه واديههم (سرهم) . وعبدان مع عماقين وجردان الذي يقع بينهما من أودية الشرق في المصادر الإسلامية كما يبيننا في دراسة سابقة (١٩٧٩ ، ص ٥ ، وهامش ٤) .

كل هذا بالإضافة إلى أن زيادة (ذي يصر) في اللقب و (رثم) كشعب إن لم يدل على اتساع في النفوذ فلا يدل على تقلصه ، ولكن التغيير في حد ذاته باعث على التأمل ويتطلب المزيد من الشواهد لفهمه كما ينبغي .

(٢)

اليزنيون الجدنيون بنو لحية يرخم

على أن التغيير الحقيقي هو الذي يحمل إلينا خبره النقش (R.4069) العائد إلى عام ٥٩٥ ح (= ٤٨٠ م) فالأقيال فيه هم :

شرحيل يكل (I)

شراحيل يقبل

مرثد إلن أحصن

سميفع أشوع (I)

الذين يفترض أنهم أخوة أو في مصاف الأخوة فهم جميعاً يوصفون بأنهم بنو لحية يرخم .

و

لحيعة يرخم (II)

سميفع أشوع (II)

اللذين يقول النقش إنها ابنا شرحبيل (يكمل) .

وهم أذواء :

يزأن

وجدن (إضافة جديدة)

ويلغب

ويصبر

وتتبعهم قبائل :

ضيفتن

ورثم

ومهرة (إضافة جديدة)

وهم أيضاً كبراء أو كبار (كبور) سيان (القبيلة العريقة

الكبيرة المعروفة) . فما هو الجديد في الوضع ؟ إنه بلا شك :

- جدن بين ألقاب الأسرة .

- سيان بين القبائل ، والحرص على تبيان كون العلاقة معها

تختلف عن العلاقة بين أولئك الأقيال والقبائل (الشعوب) الأخرى وهو ما سنعود إليه .

والنقش يؤكد أيضاً ارتباط يصبر (أودي يصبر) برثم التي وردت لأول مرة في (R.5085) بين القبائل التابعة لليزينين ، وهم غالباً سكان المدينة القديمة رثم التي ذكرت بين أراضي ومدن سيبان وذكرت بعدها مباشرة عبدان (R.3945/9-10) .

ونحن نعرف أن اسم المكان في النقوش يطلق أحياناً على ساكنيه في (مشرقن) بالذات . ولكن المهم هنا هو أن نعرف هل ظلت العلاقة بين رثم وسيبان قائمة عبر تلك القرون أم لا .

إن استمرار العلاقة ، إذا ثبت ، يعقد الأمور ، وذلك لأن رثم ذكرت في (R.5035) دون سيبان . هذا ولم تذكر سيبان في أحداث المشرق اللاحقة حين شارك أهلها في حروب حضرموت مع حمير . ولكن ذكر منها ، بعد ذلك بوقت قصير نسبياً ، بعض زعمائها إلى جانب زعماء قبائل حضرمية أخرى في سياق أخبار إحدى الحملات الحميرية على السريـر^(٩) (الإرياني ٣٢) .

(٩) السريـر اسم يطلق إلى عصرنا هذا على مقطع من وادي حضرموت شرقي الكسر وغربي المسيلة وفيه تقع مدينة شبام الحضرمية التاريخية ، وقد يُحوّر في أفواه الناس وبعض النصوص خاصة الشعر الحميري إلى « السليل » .

فلننظر إلى مسألة سييان من زاوية أخرى هي زاوية العلاقة التي نراها هنا بينهم وبين الجدنيين ، فنجد ظهور اسم (جدن) في لقب اليزنيين وحتى آخر نقش معروف لهم ظل اليزنيون الجدنيون كبراء سييان ، فكيف ترى نشأت تلك العلاقة ؟

هناك طريقان محتملان للوصول إلى الجواب المنشود : طريق وعر قديم هو طريق العلاقة المحتملة قديماً بين سييان وعبدان (R.3945) والعلاقة بين عبدان واليزنيين .

ولكن عدم ذكر سييان (صراحة على الأقل) في نقوش أسرة ملشان ، التي دامت في المقولة ماقد يناهز القرن ونصف القرن ، وذكرها في نقوش اليزنيين الجدنيين بني لحيعة يرخم بانتظام حتى النهاية يرغنا على الالتفات نحو الزاوية الجدنية .

وأول ما ينبغي تقريره من هذه الزاوية هو أنه ليس هناك ما يمنع أن توكل إلى سلالة من طبقة الأقيال / الأذواء إمارة قبيلة في موضع يبعد عن مواطنها الأصلية . فلدينا حالة بني سخيم أقيال يرسم أحد أثلاث سمعي أصحاب شبام الغراس الذين كانوا يكلفون ، منذ منتصف القرن الثاني (جام ٦٠١) بالتعامل مع خولان الأجودود في أنحاء صعدة لتردها والذين انتهى بهم الأمر ، تحت التبابعة ، إلى أن أصبحوا أقيالاً لخولان هذه (جام ٦٧٠) مما جرّ انتقال يرسم بقضها

وقضيضها إلى أنحاء صعدة حتى أصبحت في نظر النساب من خولان .
ولقد تولى المجديون ، قادة جيش الأعراب الحيري من مركزه في
نشق ، مسؤولية القضاء على المقاومة الحضرية لحكم التبابعة عندما
انتقلت إلى وادي حضرموت . أفلا يجوز أن يكون ذلك قد أدى إلى
نشوء علاقة خاصة لهم بسيان ؟ (انظر « جدن » في نسب حضرموت
عند الهمداني في الإكليل ٣٢٧/٢ - ٣٣٠) .

إن المجديين كما قلنا مراراً في دراسات متعددة هم من الأسبوء /
المثامنة كبار عشائر قبيلة سبأ مارب^(١٠) الذين وإن كانوا من طبقة
مساوية للأقيال / الأذواء بل وكانوا يتقدمون عليهم في بعض المراحل
على الأقل (جام ٥٦٢ مثلاً) إلا أنه لم تكن لهم مقولات / أذوائيات
كالأقيال والأذواء الذين هم في الأساس رؤساء شعوب (قبائل) لها
كيانها المستقل في تاريخ سابق ولها أراضيه المحددة . ولكن ذلك لم
يكن لينع - في ظننا - أن يتولى أحد الأسبوء مقولة خاصة في ظروف
استثنائية ، بل إن بني ذي كبير أقيان أقيال بكيل في ربع شبام
(كوكبان) ربما كانوا في الأصل من كبار عشائر سبأ قبل انتقالهم إلى
ذلك الموقع الذي وطن فيه سبئيون . على أن غالبية الأسبوء كانوا

(١٠) جاءت في (R.3945) عبارة (معشرة سبأ) التي يمكن أن تقرأ (معاشرة)
ويفهم منها أن العشائر أو البطون السبئية عشرة ولكن هذا يحتاج إلى مزيد من
القرائن .

أصحاب ممتلكات في مارب وفي الأراضي السبئية الأخرى أو التي انتزعتها السبئيون لأنفسهم (قارن بـ R.3945) ، وخاصة بعض مدن الجوف كنشق ونشان . ومن ذكر بتلك الصورة بنو مقار المعدودون في المثامنة (بافقيه ١٩٨٣- 1.V.2) . ولا بد أن وجود قيادة سعد تالب يتلف الجدني كبير الأعراب بنشق ، في مطلع القرن الرابع ، إنما جاء نتيجة وجود أملاك له في تلك المدينة وربما في غيرها من مدن الجوف السبئية الأخرى .

وقد يكون من بين تلك المدن مدينة قديمة اسمها (منهيم) اكتشفتها البعثة الفرنسية في موقع يعرف اليوم بحزمة أبي ثور (روبان ١٩٨٥ ص ١٨٤) ، ففي موقع تلك المدينة وبين بقايا خرائبها عثر على نقش تاريخه هو ٥٥٦ ح (= ٤٨١ م) ، يتأخر عاماً واحداً عن (R.4069) ، وأصحابه هم نفس الأقيال في ذلك النقش مع فارق هام هو أن الأخوة الكبار يوصفون فيه بأنهم (بنو لحيعة يرخم) ، وفارق آخر تفصيلي هو أن صغار الأسرة وهم لحيعة يرخم (II) وسميفع أشوع (II) يوصفون بأنهم (بنوهم) وليس (بنو شرحبيل) بالتحديد كما جاء في النقش الأسبق ، وهو أسلوب في التعبير معروف لا ينبغي أن نتوقف عنده طويلاً .

أما اللقب فهو أذواء :

يزان

جدن

يصبر (؟) ^(١١) .

والشعوب تأتي بترتيب مختلف بعض الشيء وفيها زيادة ، فهي :

رثم

ضيفتن

سأكلن
ركبن = الركب } جديدتان

ثم يقولون إنهم :

كبراء (كبور) شعبهم سيان كما في (R.4069) .

فهل يعني ذلك حدوث تغيير خلال عام واحد ؟

والإجابة بلا وبنعم وارتدتان .

فإذا قلنا (نعم) فإن ذلك سيغني أن (R.4069) كتب في

(١١) تأكل الاسم في النقش بعوامل التعرية ولكننا نرجح أنه (يصبر) التي تتماشى مع (رثم) التي قدمت على ضيفتن . ولعل إسقاط (يلغب) كان من باب الاختصار اكتفاء بيزان ، وكذلك اختفاء (كبران) التي لم تعد إلى الظهور في النقوش اللاحقة المعروفة .

مرحلة انتقالية من تاريخ السلالة الطارئة على البيت / القصر
يزان .

وإذا قلنا (لا) فذلك سيعني أنهم عمدوا إلى الاختصار في ذلك
النقش وفصلوا هنا .

ولكن الحقيقة رهن باكتشاف المزيد من الأدلة والقرائن . وحتى
يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود في هذه المسألة علينا أن
نلاحظ المهم ؛ وهو أن الأقيال حرصوا على ذكر انتائهم إلى (لحيعة
يرخم) وأنهم يقدمون هنا رثم على ضيفتن . وإذا كانت المعطيات
لا تساعد على تفسير قاطع لتقديم رثم فإن ذكر (لحيعة يرخم) هنا
وعدم ذكره هناك قد يكون مرجعه أننا هنا في أرضهم سادتها من
الأساس ، أو على الأقل أننا هنا في الأرض التي تتبع (لحيعة يرخم)
الذي سبق أن ألحنا في دراسة سابقة إلى أنه قد يكون من جدن ،
وبنو / أدواء جدن هم من سبأ والمدينة (منهيم) سبئية عبر التاريخ .

ولا ينبغي أن يشغلنا تقدم نقش ضرا (R.4069) على نقش
حزمة أبي ثور فيخامرنا شك في عراقة وجود هذه الأسرة في الجوف .
وإذا كان علينا أن ننشغل بشيء فهو كيف آلت المقولة اليزنية بالذات
إلى بني لحيعة يرخم . وهل كل من ذكروا في النقشين كأخوه لأب
واحد ؟ وهل لحيعة هو الأب المباشر ؟ إن ما يدعوننا إلى هذا التساؤل

ما جاء في نقش عبارته غريبة وقد تعرضنا له من قبل وهو
(J.1030) (بافقيه ١٩٧٩ ص ٦) الذي يقول :

تميم / ذو حذية

مقتوى / بنيهن

لحيفة / يرخم

ذو جد [ن /] وذو يزأن

وتف / لقيب / ذو يزأن

فسواء كان لحيفة هنا هو (I) أو (II) أو حتى (III) (انظر
الشجرة آخر المقال) فالسؤال هو هل المراد من (ذو جدن)
و (ذو يزأن) مجرد إيراد اللقب بصيغة مختلفة ، أم أريد به التأكيد
على أن السلالة مركبة من فرعين لكل منهما استقلاله يجمعهما من هم
بمثابة الأبناء إليه ، وتكون البنوة في هذه الحالة من الصلب بالنسبة
إلى أحدهما ومن خلال البنات بالنسبة إلى الآخر مثلاً .

إن الجواب القاطع يتوقف على معرفة تاريخ النقش وهوية
لحيفة ومناسبة وجوده أو وجود مقتوى في المنطقة التي كتب فيها
النقش . على أن ملاحظة أخرى لا تخلو من دلالة لا ينبغي أن تفوتنا
وهي تقدم اسم (جدن) في النقش ذاته على (يزأن) ، وهو ما لم
يحدث في نقش آخر معروف ، واقتصار نقش آخر (للشخص نفسه

غالباً) على وصف لحيعة يرخم بذى جدن (Ry 513 & 514) دون
إضافة (يزأن) .

ألا يكفي كل هذا ليجعلنا نتصور أن التغيير الذي حدث مهما
كانت طبيعته وأبعاده إنما كانت اليد الطولى فيه لبني / أدواء جدن ؟
إن ما نحاول الوصول إليه في هذه المعالجة هو البداية الحقيقية
لمسيرة الأسرة اليزنية التي وصلت إلى العرش الحميري ، والتي يعود إليها
الملك الشهير الذي تسميه معظم المصادر الإسلامية سيف ، ويسميه
بعضها كالمسعودي على الأقل (بافقيه ١٩٨٣ ب = ١٩٨٧ جص ٨٣)
معديكرب ، ثم تتبع تطورها من هناك .

ونعتقد أن ما استعرضناه حتى الآن كاف للدلالة على أن البداية
تأتي زمنياً في وقت بين النقشين (R.5085) و (R.4069) ، فقبل
ذلك كانت الأسرة أو السلالة اليزنية (أي التي تحمل لقب ذي يزن)
هي أسرة ملشان أو بني ملشان (نقش عبدان الكبير) التي جاء بها
التبابعة إلى البيت يزأن في عبدان في النصف الأول من القرن الرابع
الميلادي . أما الأسرة اليزنية الملكية المتأخرة فهي من (بني لحيعة
يرخم) الجدني الأصل .

أما إذا انتقلنا إلى ملابسات هذا التغيير فنجد أنه حدث أغلب
الظن بعد عهد شرحبيل يعفر ، وربما في عهد شرحبيل ينكف

بالذات ، وهو ملك لانعرف عنه ما يشفي غليلاً
(G.537 & 4969)^(١٢) ، وقبل عام ٥٩٥ ح (= ٤٨٠) ، وإن أرض
قبيلة سألكن ، التي تعرف اليوم بظفار من سلطنة عمان في أقصى
الشرق ، وبلاد قبيلة الركب في أقصى الغرب كانتا تابعتين لأولئك
الأقوال ، وكذلك ميناء قنا الحضرمي العريق ضمناً ، أي معظم الثغور
الكبرى إن لم يكن كلها إذ لا ذكر لعدن في النقوش من هذه المرحلة .

وأن يكون للجدينيين ، أو حتى لليزنيين من أسرة ملشان قبلهم ،
نفوذ في (سألكن) فليس بالأمر الذي يصعب فهمه وتبريره في ضوء
مانعرفه من تاريخ الأستين . ولكن امتداد النفوذ إلى بلاد الركب
هو مدعاة التساؤل . فإن كان ذلك إقطاعاً قديماً من التبابعة للجدينيين
فما علينا إلا انتظار المزيد من القرائن النقشية وغيرها عليه ، وإلا
فالبديل هو حدوث تغيير قد يكون مقدمة للأحداث التي جرت في
تلك البقعة خلال القرن السادس^(١٣) .

(١٢) ذكر شرحبيل ينكف في وثيقة مسيحية حبشية اتهمته بقتل مبشر في نجران
(انظر بيستون ص ٢٧٢) وهذا الخبر إذا صح فله دلالات تصعب الإحاطة بها
هنا .

(١٣) إن اسم (لحيعة يرخم) الذي يبدو أنه اسم مؤسس الأسرة وهو اسم تكرر
ما لا يقل عن مرتين في أجيال بعده يذكرنا بلحيعة ذي شناتر الذي اتهمه
المصادر الإسلامية باغتصاب الحكم قبل ذي نواس . وهذا قد يعني خطأ من
الإخباريين بين أحداث حقيقية .

ومن الأمور المخيرة أيضاً أن اسم (مهرة) الذي ورد في (R.4069) سقط في نقش (حزمة أبي ثور) ، فهل هو نتيجة سهو أو انتقاء وشبهه بإسقاط يلغب في اللقب ومشرقن في الشعوب . أم هل يدل ذلك على تمرد جديد وخروج لمهرة التي سجلت لها النقوش حركات تمرد (نقش عبدان الكبيرس ٢١ - ٢٤ وبافقيه ١٩٨١ ص ٣٦ ج) واشتراك في ثورات سابقة (المعسال ٤) .

إن الفترة بعد شرحبيل يعفر شديدة الغموض كما لاحظنا من قبل (بافقيه ١٩٧٣ ص ١٥٤) ، وفيها على ما يبدو أخذت أعراض الشيخوخة تظهر على دولة التبابعة التي شارفت حينها القرنين من عمرها . وهناك من يرى من المحتمل أن الصراعات العقيدية التي صاحبها تكالب على السلطة في الداخل وتدخل روماني - أكسومي من الخارج قد بدأت في وقت مبكر نسبياً .

بنو لحيفة يرخم في حالة تعبئة (!) :

والثابت ، على أي حال ، هو أنه بعد مضي ثلاثة عقود من السنين نجد أنفسنا وجهاً لوجه مع سميفع أشوع (I) أصغر الأخوة بني لحيفة يرخم (I) وهو يقوم بجولة في الساحل الحضرمي يبلغ فيها مدينة الأسعى (الأسعاء = الشحر حالياً) وهي ميناء آخر له أهميته ، ويترك في طريق عودته عند توقفه بوادي عمالقين نقشاً في

شعب صغير اسمه ينبق (بافقيه - روبان ١٩٧٩ ينبق ٤٧) نلس فيه ، كما قلنا من قبل ، استحواذ اليزنيين - الجدنيين على كل ما كانت تمثله دولة حضرموت القديمة التي أصبحت منذ قرنين قبل ذلك بمثابة الجناح الشرقي لدولة التبابعة (بافقيه ١٩٧٩ ص ٦) .

وكان يرافق سميع في مهمته تلك من أبناء الأسرة كل من :

١ - معديكرب يجد :

الذي لم يسبق له ذكر في النقوش المعروفة والذي يبدو من ترتيب الأسماء كما لو أنه أخ أصغر لسميع وإن لم يذكر من قبل^(١٤) . ولدنا من متحف المكلا نقش (م ١٥٧) ناقص ورد فيه هذا الاسم كما ذكرت فيه بساين (بالسين الثانية) المذكورة لأول مرة في هذا النقش بين عناصر اللقب . ولكن ذكر (ذمنكرم) في سياق مبتور ، في السطر الذي يسبق السطر الذي ذكرت فيه بساين ، يتلو ذلك عبارة أقول ومـ [حرج ؟] يعقد الأمور إذ لم تذكر (ذمنكرم) في ألقاب اليزنيين .

(١٤) تتوقع أن يتأخر ذكر صغار أبناء الأقبال في وثائق الأسرة حتى بلوغهم سن (التبكر) (بافقيه ١٩٨١ م ص ٣١) أو (التثقيف) (انظر : بافقيه : عودة إلى نقش عبدان الكبير) في ريدان ٥ عدن ١٩٨٩

٢ - لحية يرخم (II) ابن شرحبيل يكل (II) .

٣ - شرحبيل يكل (II) ابن لحية يرخم (II) .

والكل - كما يقول النقش - بنو لحية يرخم (I) .

ويحرص سميع ومن معه على إيراد قائمة نخلها كاملة للأذوائيات
(المناطق) التي تتبعهم وأهاليها ، فمن حيث اللقب فقد أصبحوا
أذواء :

يزأن

وجدن

وبسايين (بالسين الثانية) .

ويلغب

وغيمان (هل هي غيمان جنوب صنعاء ؟) .

ويصبر

وميفع (على مصب وادي حجر إلى الشرق من قنا) .

وجردان (من أودية المشرق تقدمت الإشارة إليه) .

ورخيه (من الأودية الفرعية لوادي حضرموت في الغرب) .

ومن حيث القبائل التابعة لهم فهي :

ضيفتن

ورثم

وسأكلن

وسكرد (بالسين الثانية = سقطرى)^(١٥) .

ومطلفتن

وهم « قبض (قباض ؟) قارن بـ (Ry510) وكبور (كبار)
شعبهم سيبان وحضرموت وقنا وأمر .. » والاسم الأخير ناقص . وهذا
قد يعني أن كبارتهم امتدت إلى حضرموت القبيلة التي يرأسها عادة
كبير (انظر C.541 مثلاً) .

ولكن اختفاء اسم الركب في هذا النقش مسألة مثيرة للتساؤل إذ
نراه من المستبعد أن يكون ناتجاً عن سهو أو رغبة في اختصار . فهل
خرجت الركب عن دائرة نفوذ الأسرة .

إن الإجابة على هذا السؤال مرتبطة بمعرفة الأوضاع العامة في
المرحلة التي خط فيها وهي مرحلة يكتنفها غموض شديد بسبب قلة
النقوش التي تعود إليها . ومع ذلك فالنقش (ينبق ٤٧) إن لم يعد
إلى عهد يكرب يعفر آخر التبابعة المعروفين فهو غير بعيد منه ، إذ
لدينا من عهد ذلك الملك نقش تاريخه ٦٣١ ح (= ٥١٦ م) ، يتأخر
ستة أعوام تقريباً عن نقشنا هذا ، وفيه نرى معديكرب يقوم في

(١٥) هنا ماذهب إليه فالتر مولر وحبيذه آخرون (مولر ١٩٧٨) .

حشد أتباعه بالتجول في المناطق الشمالية وبلغ مأسل الجمع . وهو عمل قد يوحي باستقرار الأحوال لولا أننا نعلم من مصادر أخرى أن معديكرب ربما كان يعاني من ضائقة مالية وأنه ربما كان واقعاً تحت تأثير المسيحيين في نجران (بافقيه ١٩٨٣ ب = ١٩٨٧ ج ص ٩٦)^(١٦) .

ومن ناحية أخرى فإن النقوش المعروفة لأسرة لحيعة يرخم اليزنية - الجذنية عودتنا على عدم الإشارة إلى الملك الحاكم بحيث أننا لا نستطيع معرفة موقفهم من السلطة المركزية . وهكذا فإن غاية ما يمكن قوله عن الصورة التي يرسمها هذا النقش (ينبق ٤٧) هو أن نفوذ بني لحيعة يرخم (١) قد اتسع اتساعاً كبيراً وإن ذلك كان بصورة من الصور وراء موافقهم اللاحقة .

بنو شرحبيل يكمل (١) وثورة ذي نواس :

يروى لنا (جام ١٠٢٨) أحداثاً عاصفة تعود بدايتها إلى عام ٦٣٢ ح (= ٥١٨ م) تقريباً أو إلى ثلاثة عشر شهراً قبل تاريخه (بافقيه ١٩٧٣ ص ١٥٤ - ١٥٧) - أحداث هي أشبه بالثورة يقودها

(١٦) المتبادر المسيحية التي تحدثت عن التدخل الأكسومي في الين في القرن السادس فيها تدخل وغموض وقد توصل ييستون من مناقشتها إلى احتمال قيام حملتين أكسوميتين على الين وتولي ملك حميري مسيحي قد يكون أسبق من سميعع أشوع (انظر ييستون ١٩٨٤ ص ١٧٤ - ٢٧٦) .

ملك جديد اسمه يوسف أسار يشار يعتنق اليهودية وينكل
بالمسيحيين في ظفار وبلاد الركب ويحاصر نجران ، واليزينيون من
سلالة لحية يرخم هم أركان حربه وقادة جيوشه ، ولكنهم كلهم من
الجيل الثاني والثالث ، فهم في النقش :

لحبة يرخم (II) .

سميفع أشوع (II) .

شراحيل أشوع (يذكر لأول مرة) . بنو شراحيل يكل (I) .

شراحيل أسعد (يذكر لأول مرة) . (ابن لحبة يرخم I) .

شراحيل يكل (II) . {
هعان أسار (لأول مرة) } بنو لحبة (يرخم II) .

لحبة يرخم (III) بن سميفع (أشوع II ؟) .

مرثد إلن يمد بن شراحيل (أشوع ؟) .

وقد ذكر صغار الأسرة بمناسبة الدعاء لهم لا غير .

وتذكر نقوش أخرى من الفترة ذاتها قليلاً اسمه شراحيل يقبل
(Ry 508 وجام ١٠٣١) هو ابن شراحيل يكل (II) لعله هو نفسه
صاحب النقش (جام ١٠٢٨) حيث جاء اسمه (شراحيل ذو
يزأن) . وهو فيما يبدو أصغر سناً من لحبة يرخم (II) وسميفع أشوع

(II) إذ لم يذكر في (R.4069) أو (ينبق ٤٧) ، ولعله كان خلال ثورة يوسف أسار في سن أهله من القيام بالأدوار التي تحدث عنها في نقوشه (انظر أيضاً معالجتنا المستقلة له في شجرة النسب) .

سميفع أشوع (II) (؟) على عتبة العرش :

وهكذا عندما نأتي إلى نقش حصن الغراب (C.621) وتاريخه هو ٦٤٠ ح (= ٥٢٥ م) ، أي بعد ثمان سنوات من (جام ١٠٢٨) ، فإننا نجد أن الوضع قد اختلف تماماً عما كان عليه ، بل إنه لا ذكر للأخوة بني شرحبيل يكمل قادة ذي نواس وأنصاره اللهم إلا أن يكون سميفع أشوع صاحب النقش الرئيسي هو سميفع الثاني ، أما الآخرون (لأنهم ثلاثة) فهما :

شرحبيل يكمل (III/II) (؟) .

معد يكرب يعفر .

وقد جاء بعد الأسماء عبارة « بني لحيعة يرخم » (انظر أدناه) .

وقد حفروا نقشهم على صخرة ماوية المحصنة على أثر عودتهم من أرض الحبشة ومع اجتياح جحافل الأحباش أرض حير وقتلها للملك الحميري (الذي لا يذكر النقش اسمه) وأقياله الحميريين والأرحبيين كما يقول النقش ذاته . وحرصوا - كعادتهم خاصة في (ينبق ٤٧) - على

إيراد كشف تفصيلي بالمناطق التي تتبعهم^(١٧) ، فهم أذواء :

الكلاع

وذي يزن

وجدن

ومثلن

وشرفن (الشرف : انظر الصفة) .

ويثعن

ويسرم

ويرس (بالسين الثانية) .

ومكربم

وعققت

وبسايين (بالسين الثانية) .

ويلغب

وغيمان

ويصبر

وجبحم

(١٧) في اعتقادنا أن الحرص على ذكر المقاطعات والقبائل بالتفصيل في الحالتين دليل إظهار تحشد في مواجهة أحداث متوقعة .

وجدوين

والكسر (بوادي حضرموت) .

ورخية

وجردان

وقبلن

وشرجي

وبني ملح

أما قبائلهم فهي :

وحاظة
ألهان
السلف
المرتبطة بالكلاع

ضيفتن
رثم
القديمتان

الركب (المستعادة أغلب الظن) .

مطلفتن (وردت في ينبق ٤٧) .

سأكلن

سكرد

وهم أيضاً كبار ومحارج سيان ذي NSF^(١٨) .

هذا هو إذن سميفع أشوع الذي قلب ظهر المجن لذي نواس بعد أن كانت أسرته عماد حركة ذلك الملك الذي ذهب البعض إلى أنه نفسه من اليزنيين^(١٩) .. فمن هو سميفع هذا ؟ هل هو سميفع الثاني الذي ورد ذكره في النقوش ابتداء من عام ٤٨٠ م (R.4069) ونقش حزمة أبي ثور و (جام ١٠٢٨) وإن لم يذكر في (ينبق ٤٧) ؟

إذا كان هذا هو ذلك الشخص فإن عمره في عام ٥٢٥ م يكون في أنحاء الستين (٤٥ سنة الفارق بين R4069 و C621 + عمره حين ذكر لأول مرة في آخر القائمة) .

ليس لدينا في نقوش الأسرة شخص آخر بهذا الاسم سوى سميفع أشوع (I) بن لحية يرخم (I) أصغر أخوته في (R4069) والذي ذكر في (ينبق ٤٧) كما نرجح ، وقد قال النقش عنه وعن الآخرين أنهم بنو لحية يرخم . ورأينا كيف أن سميفع (II) الذي ذكر في

(١٨) « NSF » هو لقب أو نعت للقبيلة على سبيل التباهي أو نسبة إلى مكان . وإذا كان لقباً فقد ذكر لأن الشعب مذكر .

(١٩) هذا هو رأي عرفان شهيد الذي أشرنا إليه في (بأفقيه ١٩٨٢ ب = ج ص ٩٥) وهو رأي قابل للنقاش . والمصادر العربية الإسلامية توحى بأن اسم يوسف اتخذ هذا الملك عند تهوده . وهناك مصادر ترجع بأصله إلى الحيرة .

(جام ١٠٢٨) جاء في الترتيب بعد لحية يرخم (II) وقال النقش
عنهما وعن أخوين لهما إنهم أبناء شرحبيل يكمل (I) .

أما في هذا النقش (C621) فقد جاءت بعد الأسماء عبارة (بني
لحية يرخم) ، فهل قصد بذلك (أ) لحية يرخم (II) الأخ الأكبر
لسميفع (II) فتكون تلك النسبة مقتصرة على شرحبيل يكمل (II)
ومعديكرب يعفر ، أم قصد بذلك (ب) لحية يرخم (III) بن سميفع
أشوع (II) نفسه ، فيكون شرحبيل يكمل هنا هو الثالث بالاسم
واللقب وأخ أكبر لمعديكرب والإثنان حفيدان لسميفع ، ومن ثم
فوصفهما بأنهما (بنيهو) في الحالتين مقبول . أم أن سميفع صاحب
النقش الرئيسي أراد أن يعود بنا إلى مؤسس السلالة لحية يرخم (I)
الذي هو بمثابة أب للأسرة كلها ؟

إن نقش أبرهة (C.541) يذكر قليلاً اسمه معديكرب يقول إنه
ابن سميفع وهذا لا ينطبق على معديكرب يمجد (ينبق ٤٧) لأنه
يتقدم على لحية يرخم (II) ، ولا بد أن المقصود هو معديكرب يعفر
الذي يحتمل أن يكون ابناً لسميفع (II) أو لأخيه لحية يرخم (II)
الذي نعرف له ولداً باسم شرحبيل يكمل (II) .

إن ما يهمنا هنا هو هوية سميفع هذا ، الذي خذل ذا نواس

والذي اعتلى العرش بعد ذلك كما يقول بروكوبيوس والذي يعود إليه
نقش مثلوم (Ist. 7608 bis) يظهر منه أنه اعتنق المسيحية ، هل هو
سميفع أشوع (I) أم هو سميفع أشوع (II) ؟

حقاً إنه لا يستبعد أن يكون سميفع أشوع (I) من سن سميفع
أشوع (II) ، ابن أخيه ، أو أن الفارق بينهما في السن لا يذكر
(R.4069) ، ولكن عدم ذكره في (جام ١٠٢٨) يجعل من المحتمل أنه
كان قد اختفى في ذلك التاريخ .

وهكذا يبقى سميفع أشوع (II) مرشحاً وحيداً (راجع ما تقدم)
فهو :

- قد شهد دخول بني لحيعة يرخم على المقولة اليزنية .
- وخاض معارك يوسف أسأر .
- وكان مع أخيه الأكبر لحيعة يرخم (II) وآخرين بجانب الملك
وهو يرباط حول باب المنذب توجساً من قدوم الأحباش
(جام ١٠٢٨) .

وها هو ذا بعد ثمان سنوات يدير دفعة سفينته إلى الاتجاه
المعاكس .

فما هي الأحداث التي قادت إلى هذا التحول الكبير والخطير في « أمور الدنيا والدين » فجعلت سميع يتحول إلى النصرانية ويقبل بعرش في حماية ملوك الحبشة ؟ عرش لم يلبث أن انتزعه منه أبرهة القائد العسكري في الجيش الحبشي بدعم من أقيال يمينين (بافقيه ١٩٨٣ م ب = ١٩٨٧ م ج ص ٩٩ - ١٠٢) ؟

لا مجال هنا للخوض في هذه القضايا الشائكة التي لم يتفق عليها الدارسون على كثرة ما اقترحوه كأجوبة وحلول ، وذلك بسبب من شح الوثائق النقشية وتضارب ، بل وتحيز في المصادر المسيحية ، وخلط ، إن لم يكن تخليط ، في المصادر العربية التي كتبت بعد حين في الإسلام .

ثم أن ما ندبنا أنفسنا لمعالجته في هذه العجالة إنما هو الطريق الذي سلكه بنو لحية يرخم اليزنيون الجديون ، بل والكلاعيون آخر الأمر^(٢٠) ، منذ أن وضعوا أقدامهم في القصر يزأن في عبدان حتى بلوغ أحدهم العرش الحميري ليصبحوا بذلك آخر الأسر اليمنية الحاكمة لليمن

(٢٠) لاحظ تقدم (الكلاع) في اللقب في (C.621) وانظر (بافقيه : ١٩٨٣ م ب = ١٩٨٧ م ج ص ٩٨) .

موحداً أو شبه موحداً قبل الإسلام ، فهل وفقنا أم ترى أن نقشاً
جديداً يكتشف أو خبراً مطوياً في صحف لم تنشر بعد يظهر فيطرح
علينا أسئلة جديدة ؟

هكذا عودنا علم النقوش .

صنعاء : ٢٤ رجب ١٤٠٨ هـ و ١٢ آذار (مارس) ١٩٨٨ م .

(روجع في ١٩٩١/٧/٩ م)

المراجع

١- بافقيه ، محمد عبد القادر ، ١٩٧٣ م - تاريخ اليمن القديم ، بيروت
١٩٧٣ م ، ١٩٧٩ م - مقال :

New Light on the Yazanite Dynasty, in Proccedings of the
Seminar for Arabian Studies (PSAS) 9 London, 1979 P.P.
5-9

١٩٨١ م - هوامش على نقش عبدان الكبير ، في ريدان ٤ ، عدن -
لوفان ١٩٨١ م - ص ٢٩ - ٤٨

The Site of Kadür, in (PSAS), 12, London, 1982, P.P. 1-5
١٩٨٣ م أ : رسالة دكتوراة دولة :

Le Yemen à la des rois de Sabà et de dü-Raydän, Thèse de
Doctorat d'Etat es Lettres et Sciences Humaines (en
polycopie) Paris IV, Sorbonne, 1983

ونشرت تحت عنوان :

L'Unification du Yemen Antiquoe, Paris, 1990

(ب) اليزنيون وخلفية الأحداث التي قادت إلى قيام وسقوط حكم

الأحباش في الين ، في المنتدى ٣ دبي أكتوبر ١٩٨٣ م ، وفي (في
العربية السعيدة) ، صنعاء ١٩٨٧ م ص ٨٣ - ١٠٦ ، ١٩٨٤ م
- (مملكة نزار وإقليم البحرين) ، في المنتدى دبي يناير ١٩٨٤ م ،
وفي (في العربية السعيدة) ، صنعاء ١٩٨٧ م ص ١٠٧ - ١١٨
١٩٨٥ أ - الحارث الرائش ونسبه المختلف فيه ، في :

Melanges Linguistiques offerts à Maxime Rodinson Edtès par
Ch. Robin, Paris 1985, P.14 et Suiv.

(ب) (بنو جرة وبنو ذرناح بين سبأ وحمير) ، في الين الجديد ،
أغسطس ١٩٨٥ ، وفي (في العربية السعيدة) صنعاء ١٩٨٧ م من
٦٣ - ٨٢

(ج) (الحنفاء العرب قبل الإسلام .. مشروع إطار تاريخي) ،
في الشرق الأوسط ، جدة ، عددي يومي ١١ و ١٤ سبتمبر
١٩٨٥ م . وفي (في العربية السعيدة) صنعاء ١٩٨٧ م من
١٥٥ - ١٨١ . ١٩٨٧ م (أ) (الأذواء والأقيال ونظام الحكم في الين
القديم) ، في الين الجديد فبراير ١٩٨٧ م ، ودراسات يمنية ٢٧ ،
صنعاء ، ١٩٨٧ م ، ص ١٤١ - ١٥٤

(ب) (الهمداني والثامنة) ، ألقيت في ندوة الهمداني بجامعة

صنعاء أكتوبر ١٩٨١ م . ونشرت في (في العربية السعيدة) ،

صنعاء ، ١٩٨٧ م ، ص ١١٩ - ١٣٢

(ج) (في العربية السعيدة) ، صنعاء ، ١٩٨٧ م .

٢ - بافقيه ، محمد عبد القادر روبان :

Inscriptions inedites de Yqnbuq, dans Raydän 2,

Aden-Louvain 1979, PP. 15-26

١٩٨٠ - مع كرستيان روبان : « أهمية نقوش جبل المعسال » ، في

ريدان ٣ عدن ، لوثان ١٩٨٠ ص ٩ - ٢٩

١٩٨٥ - مع آخرين : (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) ،

تونس ١٩٨٥ م .

J. Pirenne

٣ - بيرين ، جاكين :

Deux Prospections historiques au Sud-Yemen..., dans

Raydän4, Aden-Louvain 1981, PP. 205-240

A.F.L.Béeston

٤ - بيستون

«Judaism and Christianity» in (J.Chelhod), L'Arabie du

Sud.. 1, Paris, 1984, CHXI, PP. 271-278

٥ - روبان ، كرستيان :

Du Nouveau sur les Yazanides dans PSAS 16, London,

1986, PP. 181-197

٦- ريكمانز ، جاك : (حضارة اليمن قبل الإسلام) ، ترجمة د / علي

محمد زيد في دراسات يمنية ٢٨ صنعاء ، ١٩٨٧ م ، ص ١١١ - ١٢٨

٧- مولر ، ف : W.W.Müller

Weihrauch, in arabische product und seine Beduntung in der
Antike, (pauly-Wissons): Realencyclopaedie der classisch
en Altertumswissen-schaft, 1978, PP..200-777

أبرهة ... تبعاً !

تأملات في عهده في ضوء نقشه الكبير^(١)

سبق لنا أن تعرضنا لأبرهة بإيجاز في بحث لنا عن اليزنيين منشور توصلنا فيه إلى أنه اعتلى العرش في أعقاب انقلاب وصفناه بأنه « ليس إلا انقلاب قصر » ، وقلنا فيه إن القوة الحقيقية التي مكنت حكم أبرهة من الثبات هي ثوة يمنية بالدرجة الأولى ، ثم قارنا بين حالته وحالة « محمد علي باشا الذي جاء ضابطاً في القوة التركية وانتهى به المطاف مؤسساً لأسرة حاكمة في مصر » ، وخلصنا من ذلك كله إلى أن دوره « الحقيقي في التاريخ ربما كان نجاحه - ولو إلى حين - في إيقاف نزعة التفكك والتحلل التي بدأت أواخر أيام معديكرب يعفر أو بعده » .

(١) قدمت هذه الورقة إلى ندوة جامعة اليرموك في ذكرى مرور عام على وفاة الأستاذ الدكتور محمود الغول (ديسمبر ١٩٨٤) ، ونشرت بإذن خاص في دراسات يمنية ، العدد ٢٥ - ٢٦ ، صنعاء ، يوليو - ديسمبر ١٩٨٦ ، ص ٨٦ - ١٠٧ . وقد أدخلنا هنا تعديلات قليلة .

ونود في هذه الورقة^(٢) أن نعمق تأملنا في أحداث وطبيعة عهده مستندين في ذلك - بصفة خاصة - إلى نقشه الكبير (C1H541) الذي تركه بجوار العرم (أوسد مارب) إلى جانب نقش واحد من مشاهير التبابعة هو شرحبيل يعفر بن أبكرب أسعد (C1H540) وهو التبع الأصغر أو الآخر عند الإخباريين .

والحق أن نقش أبرهة هذا هو أحد الوثائق السياسية الهامة عن القرن السادس الميلادي إن لم يكن أخطرهما على الإطلاق .

ولكن لانسبيل إلى فهمه حق الفهم ما لم نحاول أولاً أن نضع العهد برمته في سياقه التاريخي الصحيح . كما أنه لانسبيل إلى تقويم العهد دون أن نفهم النقش فهماً سليماً .

ونرى أنه ، من أجل الوصول إلى الفهم المنشود ، يتعين علينا أن نعهد لدراسة النقش باستعراض سريع للأحداث التي سبقت مجيء أبرهة إلى العرش ومهدت له السبيل إليه ، وهي الأحداث المتعلقة بعصر التبابعة الذين جاء أبرهة ليحيي سياساتهم ، كما نرى أنه من أجل الوصول إلى التقويم المطلوب للعهد علينا أن نلم إماماً سريعاً بالأحداث التي جرت بعد كتابة النقش خلال حكمه ثم الأحداث التي أدت إلى اختفاء أسرته وما ترتب على ذلك كله .

(٢) انظر مراجع الورقة في آخرها ، أما رموز النقوش المستشهد بها فيها فهي المتعارف عليها وتشير إلى الناشر أو النشرة أو الموقع .

عصر التبابعة :

التبابعة (جمع تبع) هم الملوك من بني ذي ريدان الحيريين الذين استطاعوا بعد توحيد مملكتي سبأ وذبي ريدان (أو سبأ وحمير) على أيديهم ، في نهاية القرن الثالث الميلادي ، أن يتوجهوا إلى توحيد الممالك اليمنية في دولة واحدة كخطوة أساسية وضرورية لمد ظل سلطانهم إلى الأراضي المعدية في شمال شبه الجزيرة .

قبلها كان الأحباش يحتلون تهامة الين بأكملها من عدن إلى جازان ، ويتحكمون بذلك في تجارة البحر الأحمر كلها . وكان الأحباش قد أتوا إلى الين في نحو مطلع القرن الثالث حلفاء للسبئيين في مواجهة الحيريين الذين كانوا قد بلغوا في القرن الثاني أوج ازدهارهم الاقتصادي والسياسي بفضل سيطرتهم على الموانئ اليمنية الجنوبية - الغربية التي تحكموا من خلالها في التجارة مع بلاد الزنج .

ولقد ظل أوار الحرب مشتعلاً ، طيلة القرن الثالث ، بين الأطراف المتنافسة على الساحة اليمنية وهم الأكسوم وحبشة في الغرب منطلقين من تهامة ، وحضرموت في الشرق ، وسبأ في الشمال ، وحمير في الجنوب . ولم تنفج ضائقة تلك الحروب التي تعود بدايتها إلى القرن الأول الميلادي إلا بتحقيق الوحدة (إذا جاز لنا استخدام هذا التعبير الحديث) بين سبأ وحمير ، إذ بذلك زال التناقض بين

العنصرين الكبيرين المذكورين بما يثقلانه من أراض واسعة ومنيعة تمتد بين عدن ونجران ، وكثافة سكانية كانت هي الوقود الأساسي لحرب الثلاث مئة عام . وساعد ذلك على قيام القاعدة التي ارتكز عليها حكم التبابعة الذين يغطي عصرهم القرنين الرابع والخامس منقسماً إلى مرحلتين دامت كل واحدة منهما قرناً من الزمان تقريباً .

بعد أن تحققت تلك الوحدة في العهد المشترك لياسر يهنعم وابنه شمر ، وحيداً على العرش ، يواصل تصفية الجيوش الحبشية في تهامة (C.1H407) ، ثم لا يلبث أن يتوجه إلى ضمّ حضرموت وينجح في احتلال عاصمتها شبوة ، وما كان ليتسنى له أن يفعل ذلك لو لم يكن قد نجح في القضاء على النفوذ الحبشي في تهامة الين . وعند ذاك أدخل شمر يهرعش إضافة جديدة إلى اللقب الملكي الذي كان (ملك سبأ وذي ريدان) فأصبح (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنه) ، وبه بدأت المرحلة الأولى من عصر التبابعة .

وهذا يمكننا أن نفسر ما ذهب إليه بعض الإخباريين من أن شمر هو أول التبابعة ، وأن التبعية هو الملك الحميري تحديداً ، الذي يمتد ظل سلطانه ليشمل حضرموت (المملكة القديمة) ويمنه (أي الشحر ذلك الساحل الجنوبي الطويل الخاضع من قبل لحضرموت) .

وسبق أن توصلنا في بحث آخر منشور إلى أن الحملات التي يشير

إليها شاهد قبر امرئ القيس بن عمرو (ملك العرب كلها) (نقش النارة) ، والتي بلغت أطراف نجران من مملكة شمر ، إنما حدثت لدى انشغال شمر يهرش بترتيب الأوضاع الداخلية في اليمن .

ولقد استمرت جيوب المقاومة لسلطة التبابعة ، طرفاً من القرن الرابع ، في جبال السراة خاصة في عسير (الطود) وفي الأغوار الغربية المتاخمة لها من ناحية البحر (تهامة ، خاصة تهامة الشام) . كل ذلك إلى جانب انتقال المقاومة الحضرمية إلى بعض المناطق الداخلية وتكرار تمرد القبائل في بلاد المهرة . وصاحب ذلك أيضاً تحرّشات من القبائل النزارية - المعدية التي أخضعها من قبل امرؤ القيس بن عمرو . فكان لا بد أن يقترن الرد على تلك التحرّشات في الشمال بعمليات تهدئة الأوضاع في المناطق اليمنية الوعرة أو النائية التي داب الأعراب فيها على الشغب (نقش عبدان الكبير) ، فكل تلك الاضطرابات كان لها أثرها على اقتصاد البلاد الذي كان عماده تجارة القوافل البرية بين الموانئ الجنوبية في اليمن والثغور الشمالية في الشام والعراق .

وأدى النجاح في إخضاع أولئك الأعراب في نحو نهاية القرن الرابع أيام أبكرب أسعد (التابع الأوسط والأشهر عند الإخباريين) إلى إدخال إضافة أخرى وأخيرة إلى اللقب الملكي وهي عبارة (وأعرابهم طوداً وتهامة) . وكانت تلك بداية المرحلة الثانية والأخيرة التي دامت حتى نهاية القرن الخامس .

وفي ظل ذلك للملك الشهير وأبنائه بدأت سياسة الاندفاع نحو وسط وشمال شبه الجزيرة تؤتي ثمارها ، وهي السياسة التي بدأها أسلافه ولعب الأذواء اليزنيون فيها دوراً عسكرياً قيادياً بارزاً ، كان بداية صعودهم .

ولم يكن مصادفة أن جاء حكم الملوك من كندة ، أسرة حجر بن عمرو آكل المرار ، في القبائل المعدية مصاحباً لبلوغ المد الحميري في شبه الجزيرة أقصى مداه . فهنا نجد التفسير لكل ما أورده الإخباريون عن العلاقة بين حكم كندة وبين التبابعة .

ولقد أسهمت تلك السياسة في تحقيق التقارب بين القبائل العربية كلها حتى أنه ربما جاز لنا القول بأن القرن الخامس هو الذي شهد وضع الأساس لتقارب اللهجات العربية ، ذلك التقارب الذي تولدت منه تلك اللغة الأدبية الراقية الفصحى ، لغة الشعر الجاهلي المعروف .

على أن قيام تلك الحركة الأدبية العربية اقترن بضعف دولة التبابعة وجنوح شمسهم نحو المغرب ، ضعف لم تتجمع لدينا بعد كل عوامله ، كما أنه ليس هنا مكان تناول المعروف منها بالتفصيل . وكل ما يمكن قوله هو أن العوامل التي أدت إلى ذلك الضعف عديدة ومتنوعة ، وأن من بينها الأمراض التي جاءت بها الشيخوخة لنظام

دام قرنين من الزمان فأدت إلى تحلله وتفككه من الداخل وعجزه عن التحكم في الأطراف . كل ذلك في جو من صراع عقائدي ديني كان متأججاً في الدول المجاورة ، ويسير جنباً إلى جنب مع تصادم المصالح بين قطبي ذلك العصر الفرس والروم .

ولم يكن الين بمنأى عن الصراع العقائدي الديني ، فقد وجدت كل من اليهودية ثم النصرانية طريقها إليه ، وقامت لها فيه جيوب قوية كانت بؤراً طبيعية للحريق الكبير الذي أتى على دولة التبابعة الحميريين في النهاية .

ففي نحو العام ٥١٠ م كان اليزينيون يسيطرون على نصف مملكة التبابعة الشرقي ، والذي يرمز إليه في اللقب الملكي بعبارة (وحضرموت ويمنه) (ينبق ٤٧) . ولكنه في عام ٥١٦ م كان معد يكرب يعفر يزاوّل نشاطاً ما في موضع متقدم من وسط شبه الجزيرة (فليبي ٢٢٨) ، وذلك قبل عام واحد على الأكثر من قيام ثورة عارمة بقيادة يوسف أسار يثأر (ذي نواس) الذي يضيف عليه أتباعه ومناصروه لقب (ملك كل الشعوب) أي كل القبائل . ويتضح من النقوش أن اليزينيين ، اليهود عقيدة آنذاك ، كانوا قادة جيوشه ، وأركان حربه في المعارك التي قادها بنفسه ضمن حروبه الممتدة فيما بين باب المندب ونجران (Ja.1028) .

ولقد سلط من الأضواء مايكفي ويزيد على قصة تعذيب نصارى نجران التي فسرت بها مصادر قديمة ومؤلفات حديثة التدخل الحبشي الأخير الذي جاء في ركابه أبرهة .

ولكن أحداً لم يلتفت ، بالقدر الكافي على الأقل ، إلى ما ينطوي عليه نقش يزني آخر هو نقش حصن الغراب (C1H621) الذي أمر بزبره سميغ أشوع ، الكلاعي اليزني الجدني ... إلخ ، لأن عودته من أرض الحبشة في الوقت نفسه الذي اجتاحت فيه القوات الحبشية أرض حمير وقتلت ملك حمير (هكذا) وأقياله الأرحبيين كما يقول النقش نفسه في عبارات إن لم تكن تدل على التواطؤ والشماتة فهي في أفضل الأحوال عبارات محايدة فيها ترقب وترص ، وإن كنا نميل إلى ترجيح التواطؤ من جانب اليزنيين مع الأحباش .

ثم لانبث أن نرى على العرش ملكاً باسم سميغ أشوع ترك لنا نقشاً جاءنا مثلاً (هو من مقتنيات متحف إسطنبول) يدل على تبعيته الصريحة للملوك الحبشة .

ورغم ما نراه من سكوت المصادر العربية الإسلامية المعروفة عن عهد ذلك الملك وكأنه لم يكن ، فإن مصادر أجنبية معاصرة (بروكويوس + ٥٦٠ م) تصرح بأن تنصيبه كان على يد ملك الحبشة وأن سقوطه كان نتيجة لثورة جاءت بأبرهة محله .

أما متى حدثت تلك الثورة أو ذلك الانقلاب فأمر يختلف فيه المصادر العربية التي تجعل الحاكم المغلوب على أمره قائداً حبشياً اسمه ارياط ، لعله قائد القوة الحبشية الساهرة على حماية المصالح الحبشية وحماية ممثلها الرمزي المحلي سميّفع ، هذا في حين أن بروكوبيوس المعاصر للأحداث لم يعط تاريخاً محدداً لها .

ونتيجة للاختلاف في تقدير مدد العهود التي تعاقبت بين مجيء الأحباش وبين مجيء الفرس ، تأتي الصعوبة والاختلاف في تحديد مكان نقش أبرهة الكبير من عهده على الرغم من أنه نقش مؤرخ يعود إلى عام ٥٤٣ م .

محتوى النقش (☆) :

يتكون نقش أبرهة ، الذي نحن بصده ، من مئة وستة وثلاثين سطراً يرد فيها سرد الأحداث ، التي زبر من أجلها ، وفق تسلسلها الزمني كعادة النقوش الرسمية وخاصة الملكية منها . ولهذا فإن خطوات تفصيلية من حدث كبير تتداخل أحياناً مع خطوات من حدث كبير آخر نتيجة للتقيد بالتسلسل الزمني . وفي نقش أبرهة هذا هناك حادثان رئيسيان هما : ثورة أو تمرد في مشارق الين ، وترميم العرم إثر تعرضه لخراب .

(☆) النص المعتمد هنا قائم على مضاهاة مانشر في CIH ونسخة جام .

الرحمن في الثالث (الأسطر ١ - ٤) :

ويستهل أبرهة النصراني نقشه ، قبل الديباجة المعهودة التي تذكر اسم صاحب النقش ومركزه وألقابه ، بعبارة « بخيل (أي بقوة) وردء ورحمة الرحمن .. إلخ » التي تذكرنا بما فعله سلفه سميفع أشوع النصراني أيضاً ، بل وبما فعله قبلهما كذلك يزيونيون يهود في عهد يوسف أسأر يثارذكروا جميعاً اسم (الرحمن) .

لقد تسبب اسم (الرحمن) ، حين ورد لأول مرة في القرآن الكريم ، في جدل أثارته قريش الوثنية إذ خيل إليها أن الدين الجديد الداعي إلى التوحيد إنما يناقض نفسه بنفسه .

ولكن القرآن الكريم حسم الموقف بقوله تعالى : ﴿ ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ فأزال بذلك اللبس الذي وقع فيه الوثنيون .

و (الرحمن) كما هو معروف من أكثر الأسماء الحسنى ، بعد لفظ الجلالة (الله) ، وروداً في القرآن الكريم وبه سميت إحدى سوره . وفي اللسان (مادة رحم) رواية طريفة لابن منظور عن الزجاج تقول بأن « الرحمن اسم من أسماء الله عز وجل مذكور في الكتب الأولى » وأن « الرحمن اسم مختص لله تعالى لا يجوز أن يسمى به غيره ولا يوصف » .

وإذا عدنا إلى نقش أبرهة نجده يذكر بعد (الرحمن) عبارة
ومسيحه روح قدس « استكمالاً للثالوث عند النصارى .

وفي هذا الصدد لا يفوت المرء أن يلاحظ بعض الفروق في
التعابير وبين سلفه سميفع الذي تقرأ في نقشه ، كثير الثلمات ، بعد
(الرحمن) قوله : « وابنه الكريشت (المسيح) الغالب » . كما نجد في
النقش لفظة (نفس) محل (روح) .

وهذا الاختلاف في الألفاظ رغم اتصال العهدين قد تكون له
دلالتة ، كبرت أو صغرت ، خاصة وأن أبرهة لم يستعمل لفظة
(ابنه) واكتفى بدلاً عن ذلك بقوله (مسيحه) .

والسؤال الذي ، كما يقولون ، يطرح نفسه هو : هل كان أبرهة
يمثل مذهباً مسيحياً مختلفاً عن المذهب الذي كان يمثله سميفع ؟

إننا نكتفي بالسؤال وندع الإجابة عليه للمتخصصين في علم
الأديان . ولكننا نقول إن هذا الاختلاف ، إذا كانت له جذور
عقيدية ، قد تكون له انعكاساته السياسية التي لم نكتشفها بعد .
فالخلاف المذهبي في ذلك العصر كثيراً ما ارتبط بأنواع الصراع الأخرى
أو عبر عنها .

ولعله يجوز لنا أن نرى في اختلاف التعبير بين العهدين دليلاً
على التصاق سميفع بالأكسوميين من جهة ، وعلى ابتعاد أبرهة عنهم

من جهة أخرى ، خاصة إذا تذكرنا ما يقوله بروكوبيوس عن أصل أبرهة .

ألقاب أبرهة (الأسطر ٤ - ٥) :

وإذا جئنا إلى ألقاب أبرهة في نقشه هذا فإننا نراه يتخذ لقب التبابعة الطويل الذي ابتدعه أبكرب أسعد . وهو غالباً اللقب نفسه الذي اتخذهُ أيضاً سلفه سميفع .

ولكننا لانبث أن نلاحظ أيضاً فوارق أخرى هنا بين العهدين من حيث وصف علاقة كل منهما بملوك الحبشة . فأبرهة يقول عن نفسه أنه (عزلي) الملك الأجعزي . في حين أن سميفع يصف نفسه بأنه عاقب نجشت (نجشت جمع نجش = نجاشي) الأكسوميين . ويجمع الشراح على أن اللفظين عاقب وعزلي إنما يصفان الشيء نفسه وهو تمثيل ملوك الحبشة في الين ، ويضعون في محل اللفظين المذكورين عند الشرح أو الترجمة ألفاظاً من مثل (نائب) .

أننا إذا تذكرنا أن سميفع حرص على وصف حكام الحبشة بأنهم أمراهمو (أي أمراؤهم / أسيادهم) في حين أنه لا أثر لذلك الوصف أو ما يشابهه في نقش أبرهة ، فإنه يصعب اعتبار ذلك الفرق أمراً لا دلالة له خاصة وأن أبرهة ، بعد أن استتب له الأمر تماماً ، أسقط عبارة « عزلي الملك الأجعزي » (Ry506) .

إننا نميل إلى أن إحساس سميفع كان قوياً ، وأن مرجع ذلك هو أنه كان مديناً بملكه للأحباش كما تقول المصادر المعاصرة صراحة . وهو وضع يختلف عن وضع أبرهة الذي تجمع المصادر ، على اختلاف في التفاصيل بينها ، على أنه جاء إلى العرش في أعقاب ثورة أو تمرد .

إن سميفع في استخدامه لصفة (عاقب) بالنسبة إلى نفسه (وأمرائه) بالنسبة إلى ملوك الحبشة لا يكاد يختلف عن بعض الأقبال أو الأذواء الذين كانوا عمالاً للملوك في مقاطعات معينة من الين خلال التاريخ القديم .

وتبقى في الديباجة بعد ذلك عبارة رحس (رماحس ؟) وزبين التي تتكرر في النقش في صورة (مونوجرامين) يحيطان (بمونوجرام) اسم أبرهة في صف واحد يتلوه صف آخر من ثلاثة مونوجرامات أحدها تحت (رحس) في اليمين ، وثانيها تحت (أبرهة) في الوسط ويرمز إلى ريدان ، وثالث تحت زبين في اليسار ويرمز أغلب الظن إلى شقير (قصر ملوك حضرموت) . وقد جاءت (رحس زبين) في هذا النقش بعد عبارة عزلي الملك الأبعزي (عزلي إلخ) وبقيت لفظة زبين ملحقة باسم أبرهة وقبل لقبه الملكي (Ry506) ومن ثم فإنها قد تكون لقباً أو نعتاً خاصاً استحدثه أبرهة لنفسه جرياً على عادة الأقبال والأذواء والملوك في الين .

حادثان رئيسيان (الأسطر من ٩ - ١٣٢) :

أما الوقائع التي زبر من أجلها النقش فتندرج - كما سبق أن قلنا - تحت حادثين داخليين أساسيين تتخللهما - كما سنرى - حادثة وصول وفود خارجية إلى أبرهة .

والحدث الأساسي الأول ، حسب التسلسل الزمني هو حدث مركب يجمع بين تمرد يزيد بن كبشة الزعيم الكندي وثورة أقيال المناطق الشرقية في الوقت نفسه . وهو ما يمكن أن نصفه بثورة المشرق . أما الحدث الأساسي الثاني فهو خراب العرم .

تمرد يزيد بن كبشة (الأسطر ٩ - ١٣) :

يتصدر تمرد يزيد بن كبشة أخبار الحدث الأول الذي وصفناه بثورة المشرق . وقد ربط بعض الدارسين للنقش بين تمرد يزيد وتمرد ، أو بالأحرى ثورة ، الأقيال من سبأ وآل ذي يزن ربطاً محكماً يجعل من الحركتين حركة واحدة ووصفها بأنها ثورة وطنية .

ولا شك أن من ذهب ذلك المذهب له عذره ، خاصة وأن النقش بعد أن بدأ بذكر تمرد يزيد استخدم للربط بينه وبين ما أسماه أيضاً تمرد الأقيال لفظة و (عمهو) ، أي معه ، مع يزيد .

ولكن هل كان يزيد حقاً هو الرأس والعقل المدبر لتلك

الثورة ؟ وهل كانت تلك حقاً ثورة واحدة محكمة التدبير ؟ أم أن (وعمهو) تشير إلى مجرد التزامين بين الحركتين : حركة يزيد وحركة الأقبال ؟ سؤال مفتوح ، يمكن أن تختلف الإجابات عليه .

إن يزيد بن كبشة ، الذي قد يكون من أحوال امرئ القيس بن حجر الشاعر ، هو ولا شك من فرغ الأمراء أو الزعماء الكنديين الذين استقروا آنذاك مع بعض من قبيلتهم في أطراف حضرموت الغربية نتيجة لتاريخ طويل بدأ باشتراكهم في جيش الأعراب الحميري الذي قام في مطلع القرن الرابع بعملية إكمال إخضاع حضرموت منطلقاً من نشق في الجوف (Ja665) ومتخذاً من العبر ، ذلك الموقع الاستراتيجي في الطرف الشمالي الغربي من حضرموت ، هدفاً ومدخلاً لعملياته في الوادي .

وكان يزيد ، كما حرص النقش أن يسجل ، خليفة (أي عاملاً) لأبرهة قبل حدوث التمرد أو الثورة . وكان قد أقسم بين الولاء للملك الجديد . وليس هناك ما يدل على أن مبايعته الأولى لأبرهة جاءت قسراً بعد مقاومة فشلت بعكس الحال مع الأقبال الثائرين .

إن يزيد لم يكن إلا زعيماً للأعراب في تلك المنطقة الحساسة ، وإذا كان له نفوذ آخر فلا يعدو أطراف وادي حضرموت الغربية كنطقة الكسر ، أما قلب الوادي وقبيلة حضرموت التي كانت تابعة

لليزنيين عام ٥١٠ م (ينيق ٤٧) فقد انفصلت عنهم عام ٥٢٥ م إبان قدوم الحملة الحبشية (C1H621) ، ولعلها ظلت مستقلة أو موالية للسلطة المركزية في ظفار أو صنعاء قبل وبعد مجيء الأحباش .

وفي نقش عبدان الكبير ما يشير إلى حدوث صدام بين حضرموت وبين اليزنيين في القرن الرابع . وهذا يمكن تفسير غارة يزيد على حضرموت وأخذه أو أسرهم لمازن هجان الأذموري ، وهو العمل الوحيد الذي شارك به يزيد في ثورة المشرق إذا صح أن حركته كانت جزءاً منها . كما أنه بهذا أيضاً يمكن تفسير وجود كبير حضرموت في ركب الأقيال الموالين لأبرهة كما سيأتي .

إما لماذا حرص أبرهة على أن يبدأ نقشه بالحديث عن تمرد يزيد ، ومن ثم التشهير به ، فلأنه قد هاله أن يخل يزيد بالعهد الذي قطعه على نفسه حين استخلفه ، لامن حيث كون ذلك خيانة وحسب ، وإنما لأن ذلك العمل كان من شأنه لو نجح أن يضعف قبضة أبرهة على مناطق بالغة الأهمية مما يزيد من خطورة ثورة الأقيال .

ولا بد أن اطمئنأ أبرهة لولاء الأعراب في نواحي العبر إلى جانب خضوع حضرموت له هو الذي سهل انطلاق جره ذي زبائر لفرض نفوذ الملك الجديد في المشرق معقل اليزنيين ، كما أثبتنا في

دراسات سابقة منشورة ، واتخاذها من حصن كدور المنيع مركزاً للإدارة الجديدة .

على أن ذلك العمل في ذاته ومع وجود قيل يزني من غير الشوار في صف الملك كما سنرى ، إنما هو دليل على أن الأمر لم يكن قد استتب تماماً لأبرهة في تلك المناطق قبل أحداث النقش . فالذي زبائر الذين منهم جره هم من أذواء المناطق الغربية المعروفين في النقوش ، ذكروا أحياناً إلى جوار بني جره الأقبال الذين تقع مقولتهم حول جبل كنان جنوب صنعاء .

ثورة المشرق (الأسطر ١٣ - ٢٤) :

أما الأقبال الثائرون فبعضهم ، حسب الترتيب في النقش ، من سبأ وهم : مرة وثمامة وحنش ومرثد من الأساخر (أو آل ذي سحر) وحنيفة ذو خليل (من آل ذي خليل) ، ومن اليزنيين وهم : معديكرب بن سميفع (الملك المعزول حتماً) ، وهعان وإخوته بنو أسلم .

وقد اعترض الأقبال المذكورون سبيل جره ذي زبائر ، الذي أنفذه أبرهة ليدبر المشرق ، وقتلوه ودكوا مصنعة كدور الحصن الذي سبقت الإشارة إليه .

وإذا كان أبرهة قد حرص على أن يبدأ نقشه بالتنديد بترد عامله يزيد ، وربط بينه وبين ما اعتبره ترداً من الأقيال ، فإنه عندما جاء إلى تفاصيل أحداث ذلك التمرد والثورة بدأ بمقتل جره وتدمير مصنعة كدور من قبل الأقيال ، ثم انثنى ليذكر ما فعله يزيد . وكان ما فعله لا يزيد عن جمع بعض من أطاعه من كندة للإغارة على حضرموت ، الموالية للملك كما افترضنا ، وأسرمازن هجان الأذموري والعودة إلى العبر . ولا شك أن من أطاعه كان جانباً من الأعراب الذين كانوا تحت رئاسته .

على أن هذا العمل من يزيد على بساطته الظاهرية يشكل في حد ذاته حماية لثورة الأقيال إن كان قد حدث بقصد أو بغير قصد . وخلاصة القول هي أن يزيد الذي سارع إلى مبايعة أبرهة حين أطيح بسيفع ، سارع أيضاً إلى الانقلاب عليه حين رأى أقيال المشرق وفيهم معديكرب بن سيفع يثورون ، كما سارع في النهاية إلى تجديد الولاء لأبرهة قبل أن تتحرك القوات التي حشدتها كما سيأتي .

الصريخ وحشد القوات (الأسطر ٢٤ - ٤١) :

وحين بلغ أبرهة الصارخ أو الصريخ ، ربما من بقايا قوات جره في المشرق ، بادر إلى جمع المقاتلين من الأحباش وحمير بالآلاف . وكان ذلك في شهر ذي القياظ / حزيران من عام ٥٤٢ م ، واتخذوا

طريقهم في مرتفعات سبأ لينطلقوا من صرواح الموقع السبئي القديم المتقدم في الهضبة ، إلى (نبط) وهو موقع لا يعرف أحد مكانه الآن ، ويحتمل أن يكون في الجوف أو أطرافه إذا كان منطلقهم نحو العبر (قارن بحالة نشق في القديم) .

وما أن بلغوا نبطاً حتى أنفذوا سراياهم إلى كدور . وكانت السرايا مكونة من قبائل إلو ، ولد ، وحير ، ومعها عاملان من عمال أبرهة هما طه وعودة الجدينيين .

ولم تتحرك أية قوة إلى العبر ، وذلك لأن يزيد وفر عليهم المشقة إذ وافى الملك نبط وجدد له الولاء قبل تحرك السرايا . وكان عمله ذاك فيه إضعاف لثورة الأقيال .

. وهنا لنا أن نسأل إلام كان يهدف أبرهة من جمعه المقاتلين الأحباش ، الذين لم يشتركوا في السرايا المرسلّة لإخضاع الأقيال الثائرين ، والذين لم يرد لهم ذكر بعد ذلك .

إننا نرى في الرد على ذلك أن أبرهة حين بلغته أخبار الثورة كان يتوقع أن يخوض معركة كبيرة . ولكن تراجع يزيد وفر عليه استخدام الأحباش في تلك المناطق التي لم يألفوها .

ثم لا ينبغي أن يفوتنا أن نلاحظ - في الوقت نفسه - أن الذين تولوا إخضاع ثورة الأقيال كانوا من العنصر الحميري في قوات أبرهة ،

أي من سكان المناطق الغربية وخاصة في المرتفعات الغربية في صنعاء كإلو . وهي حقيقة ذات أهمية خاصة . كما أن العاملين اللذين اختارها أبرهة لإدارة المشرق بعد جرة كانا من الجنديين اللذين انفصلوا عن اليزنيين بعد أن كانوا متحدين معهم أو تابعين لهم منذ أواخر حكم التبابعة الحميريين . وهي حقيقة هامة أخرى تعد إلى جانب الأولى في مقدمة عوامل فشل اليزنيين في البقاء على العرش كما سنرى .

صريح سبأ (الأسطر ٤١ - ٤٦) :

وفما كان أبرهة ينتظر نتيجة إرساله السرايا إلى كدور قدم إليه صريح (مستغيث) من سبأ إذ أن العرم قد أصيب بخراب في أجزائه المختلفة التي يعددها النقش مستخدماً اصطلاحات ليس من اليسير إيجاد المقابل لها (انظر المعجم السبئي) . وكان ذلك في شهر ذي المذرا/ تموز عام ٦٥٧ ح و ٥٤٢ م .

أخبار انهيار التمرد والثورة (الأسطر ٤٦ - ٥٥) :

ولم يطل بأبرهة الانتظار إذ سرعان ما جاءته الأخبار بأن الأعراب اللذين تمردوا مع يزيد من قبل جددوا ولاءهم وقدموا الرهائن منهم عربوناً لذلك ، وبأن السرايا التي أرسلت إلى كدور ألفت القبض على الأقبال المتمردين / الثائرين .

استدعاء القبائل لترميم العرم (الأسطر ٥٥ - ٦٣) :

وهكذا فإن أبرهة حين استدعى القبائل للعمل (سخرة) في ترميم السد وإصلاح ما أصاب مارب المدينة من أضرار ، كان باله قد هدأ وقلبه قد اطمأن . وقد حدد لورود القبائل وبدء العمل موعداً هو شهر ذي الصراب / تشرين الأول . ويحرص النقش على أن يذكر أنواع العمل المطلوب لترميم السد وتبلغ ثمانية ، معظمها مصطلحات لم يتم التوصل إلى ما يقابلها في عربيتنا (انظر المعجم السبئي) .

قداس بيعة مارب (الأسطر ٦٣ - ٦٧) :

وبعد توجيه الاستدعاء واستسلام الأعراب (كما يحرص النقش أن يؤكد مجدداً) سار أبرهة إلى مدينة مارب حيث قدس بيعتها (أو أقام قداساً فيها) ، وهي بيعة بها قسيس يرضى الجماعة النصرانية هناك .

ووجود البيعة بمارب واستغاثة أهلها بالملك يدلان على أن اشتراك الأساحر وذي خليل في ثورة المشرق لم يكن لها صلة بمارب ، ولا شك أن قدوم أبرهة إلى المدينة إنما كان لتدشين عملية الترميم . وإذا ربطنا بين ذلك وحرص أبرهة على تأكيد خضوع الأعراب له فإن إقامة القداس تكون لتقديم الشكر إلى الرحمن على النجاح في إخماد ذلك التمرد الخطير ولطلب العون والمباركة لأعمال الترميم .

الصعود نحو العرم لبدء العمل (الأسطر ٦٧ - ٧٢) :

ولهذا فقد تلا القداس صعود الملك ومن معه نحو العرم ، عند
مخرج وادي أذنه من منحدرات الهضبة ، وتسلق الجبل المحيط بالخارج
للحصول على الأحجار اللازمة لإقامة أساس حاجز المياه وهو الجزء
الأساسي للعرم .

الوباء (الأسطر ٧٢ - ٧٥) :

ولكن ما أن بدؤوا في وضع الأساس حتى حدثت وفيات ومرض
(وباء) بين القبائل وأهل المدينة . وعندما رأى الملك أن الهلاك قد
أخفى على القبائل أذن لهم أحبوشهم وأحورهم (أحباشهم وحميريهم)
بالانصراف (أي توقف العمل) .

مبايعة الأقيال الثائرين (الأسطر ٧٦ - ٨٠) :

وبعد الإذن بالانصراف ورد الأقيال الذين اعتصموا بكدور ، في
صحبة السرايا التي أرسلت لإلقاء القبض عليهم ، وباعوا الملك .

الأقيال والأذواء الموالون للملك (الأسطر ٨٠ - ٨٧) :

ومن ثم عاد الملك من العرم إلى مدينة مارب ربما يصحبه الأقيال
الذين كانوا موالين له ومنهم (كما يقول النقش) :

(١) أكسوم ذو معاهر ابن الملك .

(٢) ومرجف ذو ذرانح .

(٣) وعادل ذو فائش وذو ثولن (لعلها ثوجن = الشوجم) ،
والشعب ورعين وهمدان والكلاع ومهمم وثاه .

(٤) وعلس ذو يزن وذو ذبيان وكبير حضرموت وذو فرنه .

ولا شك أنه كان من بين هؤلاء أقيال لبعض القبائل التي
استدعيت للعمل ثم انصرفت إلى حين ، غير أنه يستبعد اشتراك قبائل
المشرق الثائرة رغم وجود علس ذي يزن بين الأقيال . وهذا يجعلنا
نتساءل عن هوية ذلك القيل الحقيقية ، وهل كان من الأصل من
الأقيال اليزنيين أم أنه قيل ولاء الملك أمر تلك المقاطعة كما ولى ابنه
أكسوم (أو يكسوم كما يرد في الشعر عند تكنية أبرهة) ، قيلاً
لمقاطعة ردمان ذات الوضع الجغرافي المتميز بين أراضي سبأ وأراضي
حمير . ولما أننا نجد في أنساب الجنديين اسم علس فإننا لا نستبعد أن
يكون علس هذا في الأصل من آل ذي جدن الذين انحازوا إلى أبرهة
ضد سميعة .

كما يستبعد أيضاً اشتراك قبيلة حضرموت البعيدة ، خاصة مع
اضطراب الوضع في مشارق الين قبل ذلك بوقت قصير . ولا بد أن
كبير حضرموت (إذا لم يكن المقصود به علس ذا يزن نفسه) ، هو

شخص آخر غير مازن هجان الأذموري الذي كان يزيد قد أسره ربما في غيبة ذلك الكبير عن الوادي .

ولا بد أن إيراد هذه القائمة المنتقاة من أقيال وأذواء الين كانت لإظهار ما كان يتمتع به أبرهة من تأييد في البلاد . كما يحتمل أنهم كانوا قد توافدوا لمؤازرته (هذا إذا لم يكونوا هم أعوانه في الانقلاب ضد سميع) . وكل ذلك قد يرجح أن بداية العهد لم تكن بعيدة عن أحداث التمرد والثورة وخراب العرم أي عام ٥٤٢ م .

والحق أن الطريقة التي ورد بها ذكر الأقيال الموالين لا تعني بالضرورة أنهم عادوا مع الملك من العرم . فالبارة التي تتناول العودة تقول : « ومنها عاد (بصيغة المفرد) الملك إلى مارب . ولم تقل إن الأقيال كانوا معه في عودته تلك . وإنما بدت كأنها فقرة مستقلة وردت للغرض الذي ذكرناه لا غير وهو إظهار ما يتمتع به الملك من تأييد .

هذا ولتلاحظ بأن أراضى أولئك الأقيال - الأذواء (فيما عدا اليزنيين) تمتد فيما بين ريده شمالاً ، ووعلان وثات شرقاً ، ومخلاف رعين جنوباً ، وبلاد مهديم والثوجم والكلاع (من الشمال إلى الجنوب) في مغارب الهضبة .

وفود الدول (الأسطر ٨٧ - ٩٢) :

وهنا ينتقل النقش إلى ذكر حدث هام لاصلة له بالحدثين الرئيسيين : الثورة وخراب العرم . وقد استخدمت في إيراده الأداة نفسها التي قدم بها كل من الحدثين المذكورين وهي الكاف (ك) أي عندما أو بما أن أو بمناسبة . فالنقش يقول : وسطروا ذن مسندن كقسد إلخ أي كتبوا هذا المسند عندما تمرد إلخ .. (الأسطر ٩ - ١٠) كمدخل لرواية أحداث الثورة وسحقها . كما يقول : وكوصحهمو صرخم بن سبأ إلخ .. ، أي وعندما بلغهم صارخ أو صريخ (مستغيث) من سبأ إلخ (الأسطر ٤١ - ٤٢) كمدخل لرواية أحداث خراب العرم وبدء ترميمه .

وها هو يعود ويستخدم الأداة نفسها للمرة الثالثة كمدخل لحدث مستقل هو ورود الوفود بمستوياتها المختلفة من كافة الأقطار ذات الروابط التاريخية والعلاقات التجارية مع الين . فنحن نقرأ أولاً : وكوصحهمو محشكت نبشبن أي وعندما (أو بما أنه) بلغ إليهم أو وصل إليهم سفراء النجاثي (ملك الحبشة) ، ثم ووصحهمو : سفراء ملك الروم ووفود ملك فارس ورسل المنذر (اللخمي) ورسل الحارث بن جبلة (الفساني) ورسل أبي كرب بن جبلة (حاكم عربي شمالي بلا شك) .

ويأتي ذكر توارد الوفود في أعقاب ذكر قائمة الأقيال الموالين التي تأتي بدورها بعد ذكر مبايعة الأقيال الثائرين وقبل استئناف العمل في ترميم العرم الذي خصص له الجزء الأخير من النقش .

فهل قصد أبرهة أن يقول بأن الوفود كلها جاءت في الفترة بعد مبايعة الثائرين له وقبل استئناف العمل في العرم ؟

إن الفسحة بين تجمع القبائل للمرة الأولى (تشرين الأول) والموعود المضروب لعودتهم (كانون الثاني) تبدو فترة قصيرة نسبياً . ومع ذلك فإنه ليس هناك ما يمنع من أن يكون أبرهة قد التزم التسلسل الزمني . على أنه لا يعقل أن يكون وصول الوفود قد حدث دفعة واحدة . كما أن هناك غموضاً حول مكان استقبال الوفود فأبرهة لم يذكر أنه غادر مارب إلى عاصمته . وهذا يجعلنا نفترض أنه بقي بمارب كل تلك المدة . ولعل الوفود كانت قد تحركت من أوطانها قبل أحداث التمرد في المشرق وبعد أن أحس الحكام الذين أوفدوها بأن أبرهة قد أحكم قبضته على البلاد . كما يحتمل أنها تجمعت في العاصمة ثم استقدمت إلى حيث كان يقيم الملك .

ولكن مهما يكن من أمر كل ذلك فإنه لا يمكن تفسير الغرض من وصولها إلا بشيء واحد مشترك وهو تهنية أبرهة بتولييه الحكم وبحث العلاقات والمصالح المتبادلة مع النظام الجديد .

وإذا صح هذا التفسير فإن مكان النقش برمته لن يكون بعيداً عن بداية حكم أبرهة إلا بقدر ما يحتاجه بلوغ خبر استقراره على العرش إلى تلك الأقطار من وقت .

فأبرهة ، على ما يبدو ، تمكن من فرض سلطانه خلال فترة قصيرة من الإطاحة بسميفع . ولم يكن التمرد والثورة إلا حادثاً عابراً رغم خطورته . بل لعل الوفود التي قصدته من الخارج لم تسمع بالحادث قبل وصولها إلى اليمن .

ونعزو نجاح أبرهة الخاطف إلى عوامل ثلاثة محتملة :

١ - التخطيط المسبق للانقلاب / الثورة التي أوصلت أبرهة إلى العرش . وهو تخطيط تمّ في سرية وشاركت فيه أطراف عديدة . هذه الأطراف كلها من زعماء المناطق الغربية من بعض الأسر سبئية الأصل كالذي جدن وبعض كبار الأقبال الحميريين أو الذين غدوا يعدّون من حمير في ظل حكم التبابعة الطويل كذي فائش وهمدان . وكلها أسرها من الأسباب ما يجعلها تتربص باليزنيين .

٢ - عنصر المفاجأة التي بوغت بها أقبال المشرق والتي سهلت الإطاحة بسميفع الذي يقول بروكوبيوس إنه حوصر في قلعة . ومثل هذا قد حدث في القرن الثالث مع بعض الفوارق ، وذلك حين أسر شعر أوتر صهره إلغازيلط ملك حضرموت وهو بذات غيل من أرض

قتبان تفصله عن عاصمته الرمال . وأرسل في الوقت نفسه ، مفرزة سبئية مكونة من ثلاثين رجلاً وحسب ، احتلت القصر شقير في شبوه بسهولة مذهلة قبل أن يفيق الحضارمة من صدمة المباغلة (الإرياني ١٣) . ومعروف أن أسرة حضرمية أخرى هي التي حكمت حضرموت بعد ذلك - هي أسرة أحرار يهبر التي سبق لها أن ثارت على إلغازيلط .

٣ - موقف حضرموت من اليزنيين من الأساس . وانتهازية يزيد من البداية . ثم عدم جدية العمل الذي قام به حين ثار المشرق ، ربما لعجزه عن جمع قوة كافية للصمود ، الأمر الذي سهل سحق الثورة في مهدها .

إن استقبال الوفود في تلك المرحلة من مراحل تطور الأحداث التي يصفها النقش لبثابة الخاتمة السعيدة لقصة استيلاء أبرهة على الحكم .

عملية ترميم العرم وتكالييفها (الأسطر ٩٢ - آخر النقش) :

أما الجزء الأخير من النقش فكله مكرس لوصف سير أعمال ترميم العرم ، وقد قدم له بنفس الطريقة التي قدم بها للأحداث الرئيسية أي باستخدام الأداة (ك) = (بمناسبة ، وعندما ، وبما أنه) ، ربما لأن تلك كانت البداية الحقيقية للعمل الذي توقف من قبل في بدايته بسبب الوباء . فالنقش يقول : (وكعبدن ذتريد ضللن بمحمد رحمن

وردوا شعبين (إلخ . أي وبما أنه بعد أن انحسر الضلال (الهلاك /
الوباء) بمحمد الرحمن وردت القبائل إلخ .

وليس في هذا الجزء ، الذي يشكل من ناحية عدد أسطره
ما يعادل ثلث النص كله تقريباً ، ما يضيف شيئاً إلى معلوماتنا عن
الأوضاع العامة . فهو قاصر على وصف عملية الترميم وتكليفها . وفي
هذا الجزء يتشبه أبرهة بشرحبيـل يعفر الذي يشير إليه بلقبه (يعفر)
(سطر ٩٨) . ويبدو أنه اتخذ من نقش ذلك التبع (C1H540)
دليلاً له في الإعداد للعملية وتنفيذها . كما أنه أراد بوضع نقشه هذا إلى
جوار ذلك النقش أن يتباهى بذلك الإنجاز العظيم الذي يجاري فيه
ما قام به قبله شرحبيـل ، بالإضافة إلى ما حققه من انتصار وذيوع
صيت . وكل ذلك لما يجعل اتخاذه اللقب الطويل لقب التبابعة اسماً
على مسمى واستئنافاً لسياسات العصر الذهبي القديم عصر التبابعة بعد
انقطاع دام بضعة عقود . ويتجلى ذلك بقوة من نقش سبقت الإشارة
إليه (Ry506) شاءت الصدفة أن يصل إلينا في حالة حسنة . فمنه
نعلم أن أبرهة وجه ضربة إلى معد بأثر تمرّد قام به بنو عامر ، (ابن
صعصة من هوازن على رأي جواد علي) ، وأدت إلى استسلام معد
كلها وتقديمها الرهائن ، كما يحرص النص على أن يقول : ثم استخلف
أبرهة عليهم المنذر (اللخمي غالباً) الذي وضع ابنه رهينة لدى أبرهة
مقابل استخلافه أو استعماله .

وليس فيما فعله أبرهة التبّع أو ما فعله المنذر اللخمي (إذا صح الاستنتاج) ما يدعو إلى الاستغراب ، فما كان لحاكم في ذلك العصر مهما بلغ من القوة أن يسيطر سيطرة مباشرة على مناطق شاسعة تتخللها الرمال كتلك التي تمتد فيما بين الين والحيرة . وأبرهة ، بعد ، إنما استبدل ملوك كندة بملوك الحيرة . وهذا يجرنا إلى تاريخ انهيار حكم كندة في معد ، وتقدير البعض عام ٥٤٨ وقتاً لمقتل حجر والد امرئ القيس ، وهو مجرد تقدير قابل لأن يعدل وأن يقدم ليستقيم ما جاء في النقش عن استخلاف المنذر على معد كلها .

الخلاصة

أما ما جرى بعد ذلك - بما فيه حملته الشهيرة على مكة ، والتي تختلف الآراء حول تاريخها ، والتي يقال إنها حدثت قبل وفاته مباشرة - فلا سبيل إلى الخوض فيه في هذه الورقة .

وأما ما يقال عن زمن الحملة الفارسية التي جاءت بآخر الملوك اليزنيين ، وهو معد يكرب حسب رواية المسعودي مثلاً ، أو سيف حسب غالبية الروايات ، فهو أمر لا يعنينا منه ، في هذا السياق ، إلا مسألتان :

المسألة الأولى : أن ذلك يحدد نهاية عهد أسرة أبرهة التي حكم منها بعده كل من :

(أ) أكسوم (كما في النقش ويكسوم كما في الشعر والمصادر العربية) الذي كان قد بلغ مبلغ الرجال في صدر حكم أبيه بدلالة كونه تولى قيالة ردمان كما يفهم من النقش .

(ب) ثم أخوه مسروق ، الذي لم يعرف إلا من المصادر العربية الإسلامية والذي يقال تارة بأن أخواله من آل ذي يزن وتارة بأنهم من آل ذي جدن - وهو اختلاف يعكس ، أغلب الظن ، التداخل بين حظوظ تلكما الأسرتين أو المقولتين اللتين ارتبطتا معاً بصورة ما منذ القرن الخامس وحتى نهاية الربع الأول من القرن السادس وقت الحملة الحبشية عام ٥٢٥ م (C1H621) وافترقتا بعد ذلك كما رأينا . وتحديد نهاية حكم الأسرة إذا صح أنه كان في نحو عام ٥٧٥ ، كما هو الرأي السائد ، يساعدنا على معرفة المدة التي قضتها في الحكم بغض النظر عن فترة كل واحد من ملوكها (وهذه مسألة أخرى فيها نظر) ، إذ أنها تصبح أكثر من ثلاثين عاماً إذا كانت بداية حكم أبرهة في نحو العام ٥٤٠ م \pm ، كما نتصور ، وأكثر من أربعين عاماً إذا صح ماذهب إليه البعض من حيث كون الانقلاب على سميفع قد تمّ مبكراً في نحو العام ٥٢٠ م \pm . فكلا التقديرين كاف لحكم أب وابنه من بعده ، خاصة وأن حكم الثاني منها انتهى بانتفاضة مدعومة من الخارج أودت بحياته .

والمسألة الثانية : هي وصول اليزنيين مجدداً إلى العرش بعد فترة لا تقل عن ثلاثين عاماً ، وهي فترة طويلة تبرر الروايات التي تقول بأن الساعين إلى استرداد العرش منهم كانا اثنين ، أب مات بباب كسرى بعد أعيته محاولة إقناعه بالتدخل ، كما أعيته محاولة إقناع قيصر من قبله ، وابن هو الذي نجح فيما فشل فيه أبوه كما يقول الإخباريون في قصة تختلط فيها الحقيقة بالخيال .

وذلك إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن التدخل الفارسي إنما حدث في لحظة مؤاتية بعد أن حدثت تحولات على الصعيد المحلي في الين والدولي في العلاقات بين الفرس والروم - تحولات حتمت التدخل وسهلتها في آن واحد .

على أن العبرة من وصول اليزنيين إلى العرش بتلك الصورة إنما تؤكد ما ذهبنا إليه من عجزهم في استلام الحكم بدون دعم خارجي لوجود معارضة قوية لهم في مغارب الين حيث يقع مركز السلطة ، وهو غالباً صنعاء المدينة التي تتوسط الهضبة ، في حقل رحب من حقولها الثانية اسمه الرحبة ، تحيط به مقولات (مقاطعات) أقيال كثيري العدد والعدة ، أبائهم أو البعض منهم هم الأقيال الأرحبيون الذين قتلوا على يد الأحباش (C1H621) دون أن يحرك اليزنيون ساكناً (؟) .

ولا عجب في أن آخر ملوك أسرة أبرهة حين جاءته القوات المعادية استقبلها في جيش لا يستهان به من كهلان (وهي ترمز إلى سبأ) وحمير ومن الأعراب أيضاً كما تقول بعض المصادر الإسلامية (انظر المسعودي) .

على أن هذا كله إنما يزيكي است شراء نزعۃ التفكك التي بدأت منذ حين خاصة بعد يوسف أسأر (كما يفهم من رواية للهمداني) والذي خذله بعض الأقبال في مواجهة الأحباش كما تقول المصادر ومنها الطبري .

وهي النزعۃ التي كان من أسبابها ونتائجها أيضاً محاولة اليزنيين الوصول إلى الحكم بأي ثمن . وكان الثمن باهظاً .

وهي هي النزعۃ نفسها التي جعلت أقبال الهضبة المناوئين لليزنيين ، مع كثرتهم يلجؤون هم بدورهم (ولأسباب موضوعية أخرى لا سبيل إلى بسطها) إلى الاستعانة بزعم طارئ عليهم ، هو أبرهة ، ضد سميع ، تماماً كما فعل المصريون ، ذات يوم في العصر الحديث ، حين التف زعمائهم حول محمد علي باشا . وما فعل الأقبال ذلك إلا لفشلهم في الالتفاف حول واحد منهم كما كانوا يفعلون في العصور السابقة ، ولحاجتهم ، هم أيضاً ، إلى دعم القوة الحبشية الموجودة بين ظهرانيهم .

ومن ثم فإن النهاية المساوية للملك اليزني الأخير (إن كان اسمه معديكرب أو كان سيف) كما تصورها المصادر العربية الإسلامية ، بأسلوبها الذي يطغى عليه الخيال القصصي ، إنما كانت نهاية متوقعة . فقد جاءت نتيجة حتمية وطبيعية بعد أن زادت واتسعت خروق الثوب القديم الذي نسجه التبابعة فتمزق ورقعه أبرهة .

وهكذا توزع الين إلى مناطق متفرقة يحكمها الأذواء الذين يرمز إليهم أحياناً بالمشامنة (وهي ثمانية من الأسراقتست الملك بعد سيف بن ذي يزن) حسب رواية أوردها ابن رسول في (طرفة الأصحاب) لعلهم كانوا أبرز الأذواء في المناطق الغربية في تلك المرحلة . (راجع أيضاً دراستنا عن المشامنة في الجزء الأول من هذا الكتاب) .

ولقد اضطر الفرس إلى التخلي عن فكرة الاحتاء وراء ملك محلي ، ربما لاستحالة ذلك ، واقتنعوا بحكم صنعاء وما حولها حيث كانت تتركز قواتهم . فكانت تلك حصتهم من اقتسام تركة التبابعة . ولم يكن عاملهم فيها عندما جاء الإسلام أكبر مكانة من غيره من الأذواء الذين توجه إليهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالدعوة .

مراجع الورقة

تقوم هذه الورقة على استخلاص النتائج من استطلاعات ميدانية في بعض المواقع الأثرية مثل (ينبق) وهو شعب متفرع من وادي عمقين من أودية ما يعرف بالمشرق معقل اليزنيين قديماً ، و (كدور) وهو جبل منيع ذو مزايا فريدة اكتشفنا فوقه (آثار المصنعة) أي القلعة التي ذكرت في نقش أبرهة ، وحصن الغراب المعروف قديماً بـ (عر) (جبل) ماوية وفيه النقش الموسوم بـ (C1H621) . أما الأحكام التي أرسلناها إرسالاً في ثنايا الورقة ولم نقيدها بهوامش تفصيلية لكثرتها فهي نتائج مناقشات مفصلة في الدراسات والمقالات المذكورة أدناه والتي أوردنا فيها المصادر والمراجع بالتفصيل . وهدف هذه الورقة هو لَمْ شتات الأفكار المتصلة بعهد أبرهة في تلك الدراسات والمقالات متخذين من نقش أبرهة (C1H541) ، لأول مرة ، عموداً فقرياً لمحاولة فهم أسباب قيامه وطبيعته ومكانه في السياق التاريخي منذ ظهور الحميريين وحتى ظهور الإسلام ، وهي الفترة التي تشمل القرون الستة الأولى لعصر الميلاد وهذه المراجع هي :

- ١- عرب الشمال وعرب الجنوب : محاضرة في جامعة عدن أبريل ١٩٧٨ م ، نشرت فيما بعد في مجلة التراث التي يصدرها المركز اليمني للأبحاث ، وأعيد نشرها في الجزء الأول من هذا الكتاب .
- ٢- أضواء على الأسرة اليزنية (بالإنكليزية) : ورقة قدمت في ندوة الدراسات العربية بكبردج بعد اكتشاف نقوش ينبق عام ١٩٧٨ م ، ونشرت في نشرة الندوة : PSAS Vo191979
- ٣- موقع كدور (بالإنجليزية) : ورقة عمل قدمت في الندوة أعلاه في دورة عام ١٩٨١ بعد اكتشاف آثار القلعة هناك عام ١٩٨٠ ، ونشرت في : PSAS Vo1111981
- ٤- عنه : الحلقة المفقودة في سلسلة اللقب الملكي الحميري : مقالة ضمن كراسة تذكارية مهداة إلى عالمة النقوش ، المساوية ماريما هوفز ، نشرت في جراتنر عام ١٩٨١ . وفي الجزء الأول من هذا الكتاب .
- ٥- الهمداني والمثامنة : ورقة قدمت في ندوة الهمداني بجامعة صنعاء ، أكتوبر عام ١٩٨١ ، نشرت في الجزء الأول من هذا الكتاب .
- ٦- هوامش على نقش عبدان الكبير : تعليق على النص بإذن مكتشفته الدكتور جاكين بيرن : نشر في ريدان (حولية الآثار والنقوش اليمنية القديمة) في العدد نفسه الذي حوى نص النقش كما نشرته العالمة المذكورة من غير شرح أو تعليق (العدد ٤ ، ١٩٨١) .

٧- عودة إلى نقش عبدان الكبير : نشر في عدد ريدان ٥ ، عدن ،

١٩٨٨

٨- اليزينيون ، خلفية الأحداث التي أدت إلى قيام وسقوط حكم الأحباش في الين : مجلة (المنتدى) دبي ، عدد ٣ ، أكتوبر ، ١٩٨٣ ، وأعيد نشرها في الجزء الأول من هذا الكتاب .

٩- مملكة نزار وإقليم البحرين : المجلة نفسها أعلاه ، عدد ٦ يناير ، ١٩٨٤ ، وفي الجزء الأول من هذا الكتاب .

١٠- هوم عدي بن وداع : المجلة نفسها ، عدد ٨ ، مارس ، ١٩٨٤ ، وفي الجزء الأول من هذا الكتاب .

١١- موجز تاريخ الين قبل الإسلام : وهو الفصل الأول من القسم الأول من كتاب (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) اشترك في تأليفه الكاتب مع الأستاذ بيستون والدكتور روبان والمرحوم الأستاذ محمود الغول ، تونس ، ١٩٨٥ ، والفصل قائم على تلخيص وتنقيح نتائج رسالة دكتورة دولة في التاريخ من السوربون (باريس) ٤ يونيو ، ١٩٨٣ ، مع إضافات تتعلق بالفترة التي لا تشملها الرسالة وهي عصر التبابعة .

١٢- الحارث الرائش ونسبه المختلف فيه : مقالة ضمن كراسة تذكارية مهداة إلى العالم المعروف مكسيم رودنسون . وأعيد نشرها هنا .

الأنساب اليابانية

عناصرها ومصادرها

تعرضت الأنساب وما يتصل بها من أخبار ، بغضّ النظر عن منشئها ، للتحوير والتحريف المستمر من عدة وجوه ، وبفعل عوامل كثيرة تداخلت تلك الأنساب والأخبار وتضاربت وتشعبت إلى درجة أصبحت معها محاولة إرجاع العناصر التي تتكون منها إلى مواضعها الأصلية من الزمان والمكان مرتبة في سياق منطقي ، وتنقيتها من الشوائب ، وفرز (صحيحها من سقيمها) على رأي الهمداني ، مهمة بالغة الصعوبة لوعورة مسالكها .

ومع ذلك فإنه لا يمكن تنكب طريق الأنساب والأخبار وإسقاطها من الحساب عند تناول التاريخ العربي القديم ، فهي تضم في ثناياها الكثير من الحقائق وإن جاءت مشوهة بالحذف والإضافة والتقديم والتأخير ، شأنها شأن كل خبر قديم تتقاذفه الألسن وتلعب به الأهواء عن وعي وغير وعي . وهي ، حتى في جوانبها الموغلة في الإغراب ، متمثلة في الأساطير ، ليست خيالاً طليقاً ولا أحلام

يقظة ، وإنما هي وليدة جهد فني هادف تحكه قواعد يلعب فيها الرمز دوراً ملحوظاً .

إن عملية تركيب الأنساب (مشجرات) وصياغة الأخبار المتصلة بها (سير) ، بما فيها من أساطير ذات روايات متضاربة في كثير من الأحيان هي في حد ذاتها عملية تاريخية لها في كل حالة من حالاتها دلالاتها المتعلقة بأحوال الزمن الذي وضعت فيه ، وبمقدور تلك الأحوال في الماضي ، ومن ثم التاريخ القديم .

ولسنا هنا بصدد تقديم دراسة تفصيلية لهذه القضية فتلك مهمة تنوء بها أقوى الأكتاف ، ولا بد من أن يتوفر عليها ويتظاهر باحثون متخصصون في مساقات مختلفة وخاصة في ميادين اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا ، كما لا بد أن يسبقها مسح توثيقي يتعقب الأخبار القديمة المنبثة في مصادر التراث ويكشفها (أي يفهرسها فهرسة تفصيلية) لتكون في متناول الدارسين بكل شواردها .

ولقد ضاق الأولون قبل الآخرين بحجاج اليمانيين كما ضاقوا بحجاج إخوتهم النزاريين فيما عرف بالصراع اليميني النزاری أو القحطاني العدناني ، إلى غير ذلك من المسميات المختلفة التي لا تخلو من دلالة لما انطوى عليه ذلك الحجاج من مبالغات يصعب قبولها .

كان الإيغال في الادعاءات هو الظاهرة التي اتسم بها ذلك الصراع

الذي كان مبعثه سياسياً صرفاً ، صراع يذكرنا في مبالغاته - مع الفارق - بالنقائص الشعرية في العصر الأموي نفسه الذي ترعرعت فيه دعوتنا القحطانية والزارية .

وقد استدعي في المعركة واستنفر لها كل الأنبياء الذين حفلت بهم الكتب المقدسة بل وغيرهم ممن لا وجود لهم هناك (الإكليل ٢٧٥-٢٩٢) وانتحلت أجداد الفاتحين ، وخاصة الإسكندر المقدوني ، ونسبت إلى أشخاص حقيقيين أو وهميين في الجانبين ، وجمع من ذلك كله تاريخ أو سيرة كما أطلق عليه في مصادر الإخباريين . أو قل أعيدت صياغة ماتخلف من أخبار في الأذهان بعد حشوها بهذه الإضافات .

كان عهد التبابعة الذي سادت فيه حمير كل العرب لما يمض على انقضائه إلا ما يزيد عن القرن بقليل حين بدأ تدوين ، أو إعادة تدوين ، تلك الأخبار في الإسلام . وكان عهد أبرهة الذي دانت له معد كلها (ريكانز ٦٠٥) كما دانت من قبل التبابعة ، ما زال حياً في أذهان من عاشوا في صدر الإسلام - عاشه آباؤهم وولد البعض منهم فيه . ومن هنا جاء التركيز على شخصيات من مثل شمر يهرعش وأبيه ياسر ينعيم ، أو (ناشر النعم) تصحيفاً على الأغلب ، وأبي كرب أسعد ، بل وأبي يكسوم أبرهة الأشرم الذي وصف أحياناً بأبرهة اليماني ، كما في قول ابن الخطيم :

فإن نلحق بأبرهة الجاني أو النعمان يوجهنا وعمرو
كثيرون هم الذين تعرضوا للخلاف النزاری القحطاني مستعينين
به في محاولة فهم وتفسير بعض الأخبار وخلفياتها ، ولكن إلى أي حد
يمكن الاعتماد على معطيات ذلك الخلاف وحده ؟

إننا نحاول في هذه الدراسة إبراز دوافع أخرى غير دوافع نزعتي
القحطانية والنزارية حين يتعلق الأمر بصياغة أنساب اليمانيين
وأخبارهم مشيرين إلى تعدد المدارس وانقسامها منقبين ، بقدر ما تسمح
به دراسة كهذه ، عما تمثله أو ترمز إليه ، منطلقين من حقيقة هامة
هي أنه فيما يتعلق بالأنساب اليمانية وحدها مجموعتان من المصادر
واحدة شمالية والأخرى جنوبية .

(1) المصادر الشمالية

- ١ -

(أ) التحالف القحطاني :

يتسم ما وصل إلينا من المجموعة الشمالية من مصادر أنساب
القحطانيين وأخبارهم بسمتين أساسيتين :

(أ) خدمة أغراض التحالف القحطاني ، الجديد أو الموسع في
الإسلام ، خدمة مباشرة .

(ب) إهمال ، متعمد أو غير متعمد ، لتفاصيل كثيرة نتيجة جهل أو تجاهل للخلافات الينية الداخلية التي ظلت تتفاعل منذ القدم والتي ربما احتدمت في المراحل الأخيرة قبل الإسلام حين استشرت نزعة التحلل والتفكك^(١) ، وهي حقيقة تتجلى قوية من مجرد وجود روايات مختلفة بل ومتقاربة في أخبار المجموعة الينية^(٢) .

(١) عالجنا هذه القضية لأول مرة في (الهمداني والثامنة) ورقة قرئت في ندوة

الهمداني بجامعة صنعاء أكتوبر ١٩٨١ م ، وفي دراسات لاحقة منها :

١- اليزينيون وخلفية الأحداث التي أدت إلى قيام وسقوط حكم الأحباش في الين (مجلة المنتدى) عدد ٣ ، دبي ، أكتوبر ١٩٨٣ ، (هـ) وما بعدها وأعيد نشره في دراسات يمنية عدد ١٣ ، سبتمبر ١٩٨٣ ، ص ٧٢ وما بعدها .

٢- (أبرهة تبعاً) ورقة قدمت للندوة التي عقدتها جامعة اليرموك في ذكرى مرور عام على وفاة العالم الكبير الأستاذ الدكتور محمود الغول رحمه الله وهي منشورة هنا .

٣- (موجز تاريخ الين قبل الإسلام) وهو الفصل الأول من القسم الأول من كتاب مختارات من النقوش الينية تأليف بافقيه ، بيستون ، رويان ، الغول وإصدار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس ، ١٩٨٥ ، فقرة ٨ - ٤ ، ص ٦١ - ٦٢

٤- مقالنا (الحنفاء العرب قبل الإسلام) مشروع إطار تاريخي (٢٢) في الشرق الأوسط عدد الجمعة ٨٥/١٠/٤ ، ص ١٠

(٢) تناولنا هذه المسألة لأول مرة في (الحارث الرائش ونسبه المختلف فيه) مقالة نشرت ضمن كتاب مهدى إلى العالم والكاتب الفرنسي المعروف مكسيم رودنسون بعنوان :

=

لقد أضاف التحالف بين القبائل العربية السورية ومن وفد عليها مع الفتح الإسلامي من قبائل يمنية بعداً جديداً لمفهوم اليمنية وأدى إلى ترسيخ ذلك المفهوم وتوسيعه .

ولم يك بروز ذلك التحالف إلا فصلاً في قصة الصراع السياسي على السلطة في الدولة الإسلامية الجديدة . وهو صراع ظهرت إرهاباته في الخلاف الذي جرى في السقيفة ولما يوارى بعد جثمان الرسول الطاهر ﷺ ، في قبره .

ولكن الخلاف المذكور لا يعد مع ذلك مجال من الأحوال مقدمة للصراع القحطاني النزاري بالذات ، فذلك صراع لاحق نشأ في سوريا ، ولم تكن الظروف ولا الدوافع في الحالتين متطابقة .

ثم إن الأنصار والمهاجرين سرعان ما أعادوا رص صفوفهم وراء الصديق - رضي الله عنه - وواجهوا جميعاً حركة الردة ، التي استهدفت أول ما استهدفت بقاء الدولة الإسلامية ، وقضوا عليها في مهدها . وهو ما يدل ، في حد ذاته ، على أن جرح السقيفة قد اندمل سريعاً ، هذا إذا جاز وصف ذلك الاختلاف العابر بالجرح .

Melange Linguistiques offerts a Maxime Rodinson Paris 1988 entre =
P. 412 et 434

وأعيد نشره في دراسات يمنية (بإذن من الناشر الأصلي) عدد ٢٠ ، أبريل ،
يونيو ، ١٩٨٥ ، ص ١٨ وما بعدها .

وحتى في صفين وأجمل حين ظهرت المجموعات اليمنية طرفاً في النزاع ، ضمن الأطراف الأخرى ، فلم يكن لها موقف موحد بل كانت موجودة في المعسكرين المتخاصمين على السواء .

ولعلنا نستطيع القول بأن الخلاف حين أطل بوجهه أيام معاوية لم يخرج عن دائرته المرسومة لخدمة التوازن الذي كان ينشده الخليفة الداهية الذي احتفظ لنفسه بدور الحكم في المجادلات والمناظرات بين الفريقين .

كما أننا لا نستبعد أن يكون استماعه إلى قصص عبيد بن شرية محصوراً في دائرة الاهتمام الطبيعي بأخبار الماضين أو ترجية الوقت بالمسامرة للترويح عن النفس .

ومع ذلك فإن القحطانية في شكلها الذي تقدمه كتب التراث ولدت في أرض ذلك العهد وفي أجوائه وفيها ترعرعت ، ثم أخذت تدخل حلبة الصراع السياسي قوة من القوى الفاعلة ، خاصة بعد أن تمّ تكريسها في مرج راهط^(٣) .

ولعل بداية قيام حركة تدوين النسب القحطانية في الشمال تعود إلى المدينة المنورة حيث نشأت علوم الحديث والتفسير التي

(٣) من الحزن أن بعض الأقلام تناول ظاهرة الردة من منظور إقليمي ضيق فيدافعون عن قضية أثبت التاريخ خسرانها حين كنسها من طريقه بسهولة مذهلة .

صاحبها انتشار القصص التي كان يرويها أمثال كعب الأحبار من
مسلمة يهود الين تفسيراً لبعض ما جاء في القرآن الكريم من قصص
الغابرين . ومنها قصص استعين بها في صياغة ما يسميه البعض
(الملحمة القحطانية) . ويظهر أثر ذلك في مثل قصص قوم عاد
ولقمان ومملكة سبأ وتبع حيث تكون للقصة انعكاسات دينية
أو تتصل بالتوراة وتاريخ اليهودية في الين .

على أن قصة سيل العرم تبدو أكثر القصص التصاقاً بأهداف
التحالف القحطاني في سوريا ، ففيها وجد التفسير المريح لسبئية
بعض القبائل الشمالية من خلال ربطها بالأزد . وفي سبيل تحقيق
ذلك الغرض تجهل تاريخ خراب العرم (سد مارب) الحقيقي ولم
يفهمه أولئك الرواة المفسرون أو لعلهم فهموه وتحاموه لأمر في نفس
يعقوب ، وأصبحت القصة عندهم داخلية في عداد الماضي غير المحدد
بزمن . هذا مع أن الأزد لم يكونوا في مارب حين حدث التصدع ،
قبل الأخير ، أيام أبرهة ، وإنما كانت لهم مملكة أو مملكتان كما كانت
لغسان مملكة أخرى في شامة^(٤) (النصف الشمالي من شبه الجزيرة)
منذ القرن الثالث الميلادي على الأقل (زيد عنان ٧٩) .

(٤) انظر مثلاً بافقيه وروبان : (من نقوش محرم بلقيس) ريدان ١٩٧٨ ، ص ٥٣ ،
تعليقاً على نقش (عنان ٧٥) ، وقد أثبت نقش عبدان الكبير أن ممالك الأسود
وغسان ونزار المذكورة في النقش كانت تتقاسم فيما بينها النصف الشمالي من شبه =

حقاً أن سيئية أو تسبؤ ذلك الحشد من القبائل في شق أنحاء جزيرة العرب ليزكرنا بما يتسم به اسم سبئي من شمولية في المصادر الكلاسيكية الاغريقية القديمة وهو ما فسرهُ البعض بقيام اتحاد سبئي يضم الممالك اليمنية القديمة في فترة من الفترات نتيجة تعاظم شأن سبأ بعد حملات كرب إلى وتر بن ذمار علي (R3945) .

ومع ذلك فسبأ النسابين في المصادر الجنوبية على الأقل هي غير سبأ القبيلة صاحبة مارب (انظر أدناه) . وإنما سبأ عند عامة النسابين ملك هو الأكبر ، أي الأول بين من حمل الاسم المذكور ، وتجسدت فيه عندهم ذكرى العهد الذي كان فيه اسم سبأ الدولة الطاغية على غيره من أسماء الكيانات أو الممالك اليمنية الأخرى .

لقد جاء الإسلام وسبأ في مارب قبيلة من قبائل ليست هي الأعز جانباً ولا الأكثر نفراً ، ولم يعد لمارب ، بعد سيل العرم ، إلا ذلك الصيت الذي يتخلف عن مجد عريق والذي يمكن أن نفسر به أمثال تلك الإشارة الشاردة في شعر سلامة بن جندل التيمي حين يقول :

ألا هل أتت أنباؤنا أهل مارب كما قد أتت أهل الدبا والخورنق

= الجزيرة العربية (شامة في النقوش) وأن حدودها تلتقي بعضها ببعض انظر مقالنا : (هوامش على نقش عبدان الكبير) ريدان ١٩٨١/٤ ، ص ٣٨ - ٣٩

فلم يبق لسباً من جنتهم إلا جنتان ذواتي ﴿ أَكَلِ خَمْطٍ وَأَثَلِ
وَشْيءٍ مِنْ سَدْرِ قَلِيلٍ ﴾ .

هذا وأن علاقة الأزد ببارب وقصة العرم كما تصورها بعض
روايات الإخباريين إذا حلت مشكلة نسب الأزد ومن خلاهم غسان
فإنها لا تحل مشكلة نسب قبائل أخرى شالية داخلية في التحالف
الجديد ، أو حاول القحطانيون اجتذابها إليه ، وهي القبائل التي
عرفت بأنها قضاعية .

واللافت للنظر في أمر تلك القبائل اشتراكها في النسب ، وهي
في أقصى الشمال ، مع أخرى في أقصى الجنوب من مثل بني مجيد ومهره
من أرباب الإبل . فهل يعني ذلك استقراراً قديماً لجاليات يمنية من
أصحاب القوافل التجارية في تلك البقاع وتكاثرها فيها ؟

المعلوم أنه في فترة الازدهار اليمني القديم قبل الميلاد كانت
الجاليات اليمنية تنتشر في أجزاء كثيرة من العالم القديم بدءاً بأعالي
الحجاز جرياً فيما يبدو على سنة السبئيين الذين هاجر فروع منهم إلى
الهضبة الإترية^(٥) .

(٥) انظر :

BAFAQIH, M. A., L Unification du Yemen Antique, Paris, 1990

وكذلك (موجز تاريخ اليمن قبل الإسلام) في (مختارات من النقوش ..)

المتقدم ذكره أعلاه فقرة ١ - ٤ ، ص ١٥

ليست هذه محاولة جديدة لتفسير انتساب ذلك العدد الكبير من القبائل الشامية والينية إلى قضاة ، وإنما هي مجرد ملاحظة لا يمكن تجنبها . أما المشكلة فمن التعقيد بمكان جعل بعض علماء الأنساب يحاولون الخروج منها بحل مريح يجعل من قضاة جذماً مستقلاً بذاته إلى جانب الجذمين الآخرين قحطان ونزار وكفى الله المؤمنين شر القتال .

(ب) لماذا قحطان ونزار ؟

ونحن إذا فرغنا من أمر الأزد وقضاة فتبقى أمامنا قضية اختيار قحطان ، دون غيره ، مرجعاً أو جداً أسطورياً أعلى لتحالف القبائل اليمنية سواء من يعتقد أنه هاجر شمالاً في الجاهلية العتيقة ومن خرج في فترة الفتوحات الإسلامية الأولى .

وإنه ليحق للمرء أن يتساءل لماذا لم يتوقف النسابون الياثريون ، شاليون، وجنوبيون ، عند سبأ ، بعد أن استخدموا قصة العرم لإثبات سبئية قحطانية الأزد ، وخاصة حين كان المنافس للين هو القيسية وحدها ؟

أيكفي لتفسير إبراز اسم قحطان ، وهو في الواقع اسم قبيلة عربية معروفة في النقوش ، ما وجده النسابون من إمكان الربط بينه وبين يقطان في التوراة ؟

إن هذا يجعل دور الإسرائيليات في قضايا النسب القديم دوراً حاسماً ولكن بعيداً ، هذه المرة ، عن القصص القرآني إذ لا ذكر لقحطان في القرآن .

إنها أسئلة لا يمكن تجاهلها حتى لو كانت محاولات الإجابة لا يمكن أن تخرج عن نطاق الرجم بالغيب .

ومع ذلك فإن أحداً لا يستطيع أن يجزم بأن القحطانية جاءت في الإسلام ، فهذا على سبيل المثال هو كليب أخو المهلهل يقول فيما نسب إليه من شعر :

على كل أبيض من نـزار يساقي الموت كرهاً من يساقي
ويقول :

لقد عرفت قحطان جدي غداة خزاز والحقوق دوان
ففي هذين البيتين نجد مقابلة بين نزار وقحطان في معرض
الفخر بانتصار قوم كليب الذين يسميهم نزاراً على خصومهم الذين
يسميهم قحطاناً .

ويوم خزاز أو خزازي الذي يتحدث عنه الشاعر الربيعي هو
نفس اليوم الذي ذكره بعده بوقت طويل نسبياً وفي معرض فخر عام
الشاعر التغلبي الذي لم يحضر الموقعة ، نعني عمرو بن كلثوم ، في

قوله :

ونحن غداة أوقد في خزاري رفدنا فوق رقد الرافدينا
وفي ذلك قال بعض نقاد الشعر القدامى إنه يوم ما كان ليدري به
لو لم يذكره عمرو في شعره . وهو قول يلقي ظلالاً من شك على صحة
قول كليب (وهو أقدم) ولكنه لا يقوم حجة على صدق أو عدم صدق
نسبة الشعر إلى الشاعر .

هذا ولم يكن يوم خزاز أول أيام اليمانية والنزارية ففي نقش
عبدان الكبير وصف تفصيلي للحملات حميرية على أراضى نزار ومعد
(هكذا !!) في القرن الرابع الميلادي والفارق الوحيد بين تلك
الحملات ويوم خزاز هو أن الأولى كانت مقدمة لإخضاع نزار ومعد
للين في حين أن يوم خزاز ربما كان مقدمة لانعتاق نزار من هيمنة
اليمن .

ويوم خزاز الذي لا يعرف أحد تاريخه على وجه التحديد
يكون ، إذا صحت نسبة الشعر إلى كليب ، قريباً من نهاية القرن
الخامس وهو الوقت الذي أخذت فيه دولة التبابعة في الانحدار مما
جعل كندة تواجه التحديات دون دعم يذكر مما أدى إلى سقوطها بعد
ذلك بوقت غير طويل ^(٦) .

(٦) يختلف المؤرخون في تقدير تاريخ مقتل حجر بن الحارث والد امرئ القيس =

إن المقابلة بين نزار وقحطان هنا تذكرنا بالعلاقة بين نزار
المملكة القديمة في إقليم البحرين^(٧) وقحطان المملكة المجاورة أسفل
اليامة والتي عرفت في بعض المراحل بمملكة كندة وقحطان
(جام ٦٣٥) ، وهو أمر له دلالاته من حيث أن الأنساب في مراجعها
ومستوياتها العليا تستند إلى ذكرى مجد قديم يتمثل في تحالف أو دولة
وهو ما ينطبق على سبأ كما ينطبق على حمير .

- ٢ -

الحق أن صيغة الأنساب وما يتصل بها من أخبار في الأعمال
المعروفة التي يمكن اعتبارها قحطانية شمالية تبدو صيغة توفيقية في
أحسن الأحوال ، وتلفيقية في أسوأها مسخرة لخدمة التحالف
القحطاني في بعده الجديد الذي سبقت الإشارة إليه والذي أوجده
أوضاع الحكم وصراعات الأروقة في البلاط الأموي .

= الشاعر (الملك الضليل) ، وهو التاريخ الذي انفرط فيه عقد الحكم البكندي في
معد . ولكن تقديراتهم لا تتقدم بأي حال عن تاريخ ثورة يوسف أساريثأر
(ذي نواس) الذي جاء على أنقاض دولة التبابعة الحميريين حوالي ٥١٧
وانظر مقالنا (الشعر الجاهلي والبن) في دراسات يمنية ٤١ صنعاء -
أغسطس ١٩٩٠ م ، ص ٣٣ ، وفي آخر هذا الكتاب .

(٧) انظر مقالنا (مملكة نزار وإقليم البحرين) في (المنتدى) عدد ٦ ، دبي ، يناير
١٩٨٤ م ، ص ٦ وما بعدها ، وأعيد نشره في (دراسات يمنية) ص ٥٧
وما بعدها . وفي العربية السعيدة ج ١ ص ١٠٧

وتبرز هذه الظاهرة في التيجان مثلاً أكثر منها في أخبار عبيد بن شريه ، وهما العملان الرئيسيان للذان وصلاً إلينا في صورة أقرب ما تكون إلى التاريخ من ناحية اتباع نوع من التسلسل الزمني .

ومع أن بعض جوانب الاختلاف بين العاملين فيه ما يشي باختلاف المصادر أو المدارس التي قام عليها كل منهما فإنها على النقيض من الاختلافات في المصادر الجنوبية ، يصعب تتبعها إلى منابعها . فهناك على سبيل المثال اختلاف صريح في تناول كل من عبيد بن شريه ووهب بن منبه صاحب التيجان لنسب الحارث الرأش ، اختلاف يبدو فيه عبيد أقرب ما يكون إلى أفكار المدرسة التي يمثلها الهمداني وهي مدرسة كهلانية في مجملها تتعارض مع أفكار المدرسة الحميرية الصرفة كما يمثلها نشوان بن سعيد الحميري . هذا في حين أن ما يورده التيجان لا يمثل وجهة النظر الحميرية ، ومن ثم قد يمكن اعتباره كهلانياً ، ولكنها كهلانية غير كهلانية الهمداني .

وهكذا إذا تركنا جانباً أخبار عبيد التي تغلب عليها صبغة المسامرة والعناية البارزة بالأشعار^(٨) فإن نظرة على سلسلة النسب في

(٨) انظر ذيل (كتاب التيجان) من ملوك حمير عن وهب ، ص ٣٢٣ وما بعدها ، (أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها على الوفاء والكمال) . طبعة مصورة أصدرها مركز الدراسات والأبحاث اليمنية .

التيجان (انظر الجدول رقم ١) ومقارنتها ولو جزئياً بما في سلاسل النسب عند المجموعة الجنوبية كما وصلت إلينا (انظر مثلاً جدول رقم ٢) تظهر جلياً ما نقصده بالتوفيق والتلفيق .

ففي مراتبها العليا تتكون سلسلة النسب في التيجان من أسماء تبرز أهل الركن الجنوبي الغربي من الين ، سكسك ومعافر ، وهم أذواء لم يبلغوا يوماً مستوى الملك (س ٤ - ٧) .

- ثم تعرج بعد ذلك مباشرة على أبناء عاد وهو ما يمكن تفسيره بتأثير القصص القرآني كما قد يثمل أفكار مدرسة ضاعت أخبارها (س ٨ - ١١) .

- ومن خلال ربط الحارث (وهو نفسه الرأث) بالهمال بن عاد إلخ (س ١١) تخرج بقضية نسب ذلك الملك من دائرة الصراع الكهلاني الحميري كما يظهر في المصادر الجنوبية ، وتدخل به دائرة أخرى^(٩) أوسع .

- أما الأسماء التي تفصل بين الحارث وناشر النعم (ياسر يهنعم) فهي في جملتها شبيهة بما عند الهمداني ونشوان وإن تقدم ذكر الصعب

(٩) يجد القارئ صورة أشمل لتاريخ النسب للحارث والرأث (الحرث) عند ابن خلدون في تاريخه طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات المصورة ، بيروت ١٩٧١ م ،

ذي القرنين هنا كثيراً (س ١٢ - ١٩) وأضيف اسمان (س ٢٠ - ٢١)
تمشياً مع الاتجاه العام للسلسلة .

- إنها وإن اتفقت مع المصادر الجنوبية من حيث الفصل بين شمر
يهروش وأسعد أبي كرب ، أو تبان أسعد أبو كرب ، بأسماء لاصلة لها
بالواقع (س ٢٤ - ٢٧) إلا أنها تتميز بإيرادها أسماء يفترض أنها أزدية
(س ٢٥ - ٢٧) .

- ثم تتميز قرب نهايتها بكثرة الأسماء الصحيحة أو القريبة من
الواقع وذلك في الفترة بين أسعد أبي كرب وسيف بن ذي يزن حيث
يرد اسم أبرهة الأشرم مع التأكيد على حبشيته ، بل وتذكر ابنه
يكسوم من بعده (س ٣٧ - ٣٨) .

(جدول رقم ١)

تسلسل الملوك في كتاب (التيجان)

| | |
|---|------------------------------|
| ١ | سبأ |
| ٢ | حمير |
| ٣ | وائل |
| ٤ | السكك بن وائل |
| ٥ | يعفر بن السكك |
| ٦ | عامر ذو رياش (أول الأذواء) |

| | |
|-------------------------|----|
| المعافر بن يعفر | ٧ |
| شداد بن عاد | ٨ |
| لقمان بن عاد | ٩ |
| الهمل بن عاد | ١٠ |
| الحارث الرائش بن الهمل | ١١ |
| الصعب ذو القرنين | ١٢ |
| أبرهة | ١٣ |
| العبد بن أبرهة | ١٤ |
| عمرو بن أبرهة | ١٥ |
| شرحبيل بن يعفر | ١٦ |
| المدهاد | ١٧ |
| بلقيس | ١٨ |
| رحب عم بن سليمان | ١٩ |
| مالك بن عمرو يعفر | ٢٠ |
| عمرو بن الحارث بن معتاض | ٢١ |
| ناشر النعم | ٢٢ |
| شمر يهرعش | ٢٣ |
| تبع صيفي بن شمر يهرعش | ٢٤ |
| عمرو بن عامر مزيقيا | ٢٥ |

| | |
|---------------------------------|----|
| عمر | ٢٦ |
| ربيعة نصر | ٢٧ |
| تبان أسعد أبو كرب | ٢٨ |
| حسان بن تبان | ٢٩ |
| عمر بن تبان | ٣٠ |
| عبد كاليل | ٣١ |
| تبع بن حسان | ٣٢ |
| ربيعة بن مرثد | ٣٣ |
| حسان بن عمرو | ٣٤ |
| لحيفة بن ينف (١٠) | ٣٥ |
| ذو نواس ، زرة بن تبان أسعد (١١) | ٣٦ |
| أبرهة الأشرم | ٣٧ |
| يكسوم | ٣٨ |
| سيف بن ذي يزن | ٣٩ |

(١٠) هذا هو الملك الذي ثار عليه ذو نواس وليس في المصادر النقشية ما يؤيد حدوث ذلك أو ينفيه . وقد تعرض اسم لحيفة للتحقيق في المصادر المختلفة ؛ وينوف هو بلا شك لقبه الشخصي ولكن الإخباريين يجعلون اللقب اسم أب كما في هذه الحالة ، أو يجعلونه اسماً لشخص آخر كما فعل الهمداني في حالة علهان نهقان .

(١١) لنلاحظ أن سبعة ملوك يفصلون بين ذي نواس وتبان أسعد (ص ٢٩ - ٣٥) ومعلوم أن هناك ما لا يقل عن نصف قرن بين أقدم نقش مؤرخ معروف =

II - المصادر الجنوبية

- ١ -

أما المصادر الجنوبية (اليمنية) المحلية فتعكس ما احتفظ به الأسلاف وتوارثه الخلف متواتراً مقترناً بتقلبات العلاقات بين الجماعات الباقية في اليمن حتى بعد قرون من ظهور الإسلام .

وأهم الأعمال المعروفة في هذه المجموعة هو بلا منازع الإكليل للهمداني (ت بعد ٣٣٦ هـ غالباً) ثم القصيدة الحميرية لنشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣ هـ) وشرحها المسمى خلاصة السيرة الجامعة^(١٢) ، وأخيراً طرفة الأصحاب في علم الأنساب لابن رسول (ت ٦٩٦ هـ) آخر ورثة علوم اليمن القديم وإن كان قد اعتمد الانتقاء

= شرحبيل يعفر بن أبي كرب أسعد وأقدم نقش مؤرخ معروف يذكر يوسف أسار يثار .

(١٢) تحوي خلاصة السيرة الجامعة قدراً حسناً من الأخبار التي لانظن أنها بعيدة عما حوته أجزاء الإكليل الضائعة ، فالمعروف أن نقاط الاختلاف بين نشوان والهمداني تتعلق بتجاذب الحارث الرئاش بين الصوار بن عبد شمس وبين قيس بن صيفي من حير الأصغر ، وبما نسميه الفترة التبعية - الهمدانية - (مقالنا الحارث الرئاش ، ومختارات من النقوش كأعلاه) .

من زاوية فيها عودة إلى التركيز على الأزد لما قال من انتساب أسرته إلى تلك الأرومة^(١٣) .

وهناك فيما يبدو وفيما يتوقع أعمال أخرى قد لا تكون أقل أهمية ولكنها ضائعة نلّس أثرها ولا نراها ، خاصة تلك التي تتعلق بتاريخ حضرموت قبل التبابعة^(١٤) .

والظاهرة البارزة في السير اليمانية المعروفة ، شماليها وجنوبيها ، هو قيامها على تقسيم الين إلى سلالتين تنحدران من سبأ هما سلالتا حمير الأكبر وأخيه كهلان اللذين يوصفان أيضاً بالفرعين وبالشعبين .

(أ) حمير :

ويثير ورود اسم حمير في تلك المرتبة العالية من النسب الكثير

(١٣) يمتاز كتاب ابن رسول - في نظرنا - بأنه اطلع على أعمال الهمداني الضائعة وأعمال نشوان المعروفة ونظن أن موقفه الخاص من قضايا النسب جعله يورد معارف عن الهمداني وغيره تجاهلها نشوان أو عارضها .

(١٤) انظر على سبيل المثال تاريخ ابن خلدون المشار إليه أعلاه ص ٣٠ - ٣١ أخذنا في الاعتبار أن الفقرة تعرضت لتصحيف في الأساء يمكن تقديم الكثير منها . فذو قيعان هو غالباً ذو فيفان بالفاء وذو عيل غالباً ذو عيل بالباء وبدعيل بن بدعات هو يدع إلى (يدعيل) بن يددع أب (يدعاب) . وهذه في الغالب أساطير حضرمية تشكلت حول نواة من أخبار تدعها النقوش وحورت لتخدم أغراضاً من أغراض الخلاف بين المدارس النسبية المختلفة . ولعل ما يستحق التأمل أكثر من غيره في تلك الأساطير ، الإشارة إلى عاد .

من البلبلة وذلك لأن لفظة حمير لم تظهر في النقوش القديمة المعروفة ، ولم تكن اسماً لكيان سياسي متميز أو دولة قبل قيام أذوائية بني ذي ريدان أصحاب القصر ريدان في ظفار في وقت لا يتجاوز - على الأرجح - عام ١١٥ ق.م . وقبل قرن تقريباً من أقدم ذكر لهم في المصادر الكلاسيكية الإغريقية التي ندين لها بالكثير من أخبار الفترة العتيقة ، نعني الإشارة الواردة في مؤلف من القرن الأول للميلاد التي يقول فيها صاحبها ، وهو بليني (ت ٦٩ م) إن حمير كانت أيام الحملة الرومانية على الين (ح ٢٤ ق.م) أكثر الأقاليم عدداً ، وهو ما يذكرنا بما جاء في الأنساب عن جشم ، التي منها حمير الأصغر (انظر جدول ٢) ، والتي يقول عنها الهمداني إن فيها العدد والثروة ، وأنها العظمى بين من حمل اسم جشم من العرب (الإلكيل ٤٤/٢) .

يضاف إلى ذلك أن اسم (كهلان) ، في النقوش المعروفة ، حديث هو الآخر ، ولا يتجاوز أواخر القرن الثالث حين وصفت سبأ مارب بأنها (سبأ كهلان) ، وهو ما يحتمل تفسيره بأنه لقب أضفي على تلك القبيلة العريقة في لحظة وصول بني ذي ريدان الحميريين إلى عرش مارب والقصر سلحين ، تكريماً لها واعترافاً بعلو مكانتها وتطريباً لحاظرها^(١٥) ، وكانت سبأ طيلة قرون عديدة قبيلة ودولة

(١٥) أو هو لقب قديم للقبيلة أحيتها تباهاً منها وتأكيداً لمكانتها في الوضع الجديد ، =

متميزة حتى بعد ظهور حمير القبيلة أو جماع القبائل والدولة . وظلت كذلك حتى قرب نهاية القرن الثالث الذي اشتد فيه الصراع السبئي الحميري قبل أن ينفرج نحو نهايته بتراضٍ على سيادة بني ذي ريدان للطرفين^(١٦) .

ولهذا فإن وجود حمير بعد سبأ الأكبر مباشرة إنما يمثل محاولة مكشوفة ، ليس لها غور يسر ، لإثبات عراقة حمير في الحكم وجعلها الوريث لسبأ الذي أصبح في الأنساب رجلاً وملكاً اختزلت فيه كل الأبعاد السبئية بالمعنى النقشي .

وهكذا فإن اقتران حمير الأكبر بكهلان يجعل كل الأنساب والأخبار مرتبطة في الواقع بذلك اللقاء المتأخر ولكن مع إحساس غامض من واضعيها أو جامعيتها بالعمق التاريخي الحقيقي لدولة سبأ التي كان حكم التبابعة امتداداً لها بدلالة الإبقاء على اسمها متصديراً

= وهي المكانة التي تتجلى أيضاً في صفة (الأسبوء) لعشائرها أو أسرها ذات النفوذ
(انظر هامش ١٨) .

(١٦) انظر :

M.A.BAFAQIH. L'Unification du Yemen Antique, 3.III

المتقدم ذكره أعلاه على أن عملية الاتحاد من خلال التراضي قد تحققت مرات أيام سعد شمس أسرع وذمار علي* يهر وشعر أوتر وتاران لقب يهنم أو لعزم يهانف وإل شرح يحضب وشمر يهحمد كما ثبت أخيراً من نقش الإرياني ٦٩

العناصر التي يتكون منها اللقب الملكي في أطواره المختلفة حتى عهد أبرهة (القرن السادس) .

ولا شك أن ذلك الإحساس كان وراء سلسلة الأسماء التي تتصدر النسب بين عبد شمس سبأ الأكبر وعبد شمس (الثاني) ، وكلها أسماء ملوك يفترض أنهم تعاقبوا على الحكم في خط مستقيم (انظر جدول ٢) .

ولا تمت تلك الأسماء إلى الحقيقة التاريخية بصلة من قريب ولا من بعيد (جدول ٢) ، والغريب فيها أنه لا يتكرر أي واحد منها مما يخالف طبائع الأشياء وواقع الأسماء القديمة المعروفة للملوك التي تتميز بالتكرار نتيجة لتقيد السلالة المالكة العريقة في سبأ بقائمة أسماء ملكية محدودة (انظر أدناه) .

وكما حدث انقسام وتقسيم للسلطة بعد عبد شمس الأول ، أي سبأ الأكبر ، بين حمير وفيه الملك ، وكهلان وفيه العدد وولاية الثغور ، فإنه بعد عبد شمس الثاني يظهر الصوار الذي فيه الملك وجشم الذي فيه العدد . وهو ما يكفي للدلالة على حدوث تغيير في السلالة الحاكمة . ولا ندري لماذا لم يوصف عبد شمس الثاني - فيما وصل إلينا من مصادر - بأنه سبأ الأوسط وكان حرياً به أن يكون كذلك جرياً على أسلوب صياغة الأنساب . ولكن كما حدث بعد عبد شمس الأول فإن أسماء الملوك حتى إلي شدد بن الملقاط (انظر جدول ٢) تتسم أيضاً بعدم التكرار ، ولكنها تختلف عن الأسماء السابقة في بعض

المظاهر لعل أبرزها أذوائية بعضها وهو ما لا يخلو من دلالة^(١٧) .
ويمثل ملك الصوار وبنيه امتداداً لحكم السلالة العريقة ليس فيه
انقطاع ، فهو يأتي في الخط الرئيسي المستمر للملوك ويفترض النسب
- والحمداني منهم - أن الحكم ظل فيهم حتى مبعث الرسول عليه الصلاة
والسلام (طرفة الأصحاب ص ٧١) .

هذا في حين أنه يظهر بين أبناء جشم أخي الصوار (قارن
بكهلان أخي حمير الأكبر) سباً أصغر وحمير أصغر أيضاً يرجع إليه
- بإجماع النسب تقريباً - كل الأذواء . ويزيد البعض فيجعل
التبابعة من نسله أيضاً وهو موضوع خلاف سنعود إليه .

والجمع بين التبابعة والأذواء في أب واحد هو حمير الأصغر بن سبأ
الأصغر من نسل جشم إنما يرمز إلى تغير الحكم في مرحلة معينة هي في
ظننا قيام الملك في بني الحارث الرائي المختلف في نسبه . وحميرية
ذلك الجمع هي مانصفه بحميرية الحكم الناتجة عن طغيان اسم حمير على
مجل السيرة القديمة للملوك بتأثير حكم التبابعة الذي دام قرنين من

(١٧) انظر (ذا يقدم) و (ذا أبين) ابن الصوار وحفيده عند الحمداني مثلاً في
الإكليل ٢ ص ٤٦ ، والجدول ٢ هنا ملاحظاً أن الأسماء التي يسبقها لفظ ذو إنما
تقتصر في الواقع التاريخي على الأذواء ، ومع ذلك فإننا نلمس في هذه الأسماء
ذكرى تحول الملك من السلالة الملكية التقليدية في سبأ إلى الأقبال والأذواء الذين
تنافسوا على وراثة الملك .

الزمان (الرابع والخامس) وامتداده العابر في القرن السادس ، مما انعكس في الشعر الجاهلي .

هذا وهناك حمير ثالث أو ثالثة تسمى أحياناً حمير الكبرى وهي من فروع جشم وإليها يعزوا الهمداني دون غيرها اللكنة الحميرية (الإكليل ٢٤٦/٢) .

(ب) كهلان :

سبق أن لاحظنا اقتران اسم أو صفة كهلان بسبأ مارب ، وأن ذلك يعود إلى أواخر القرن الثالث . ففي (جام ٦٥٣) نقرأ شعبن سبأ كهلان أي الشعب سبأ كهلان ، وفي (جام ٧٣٥) يرد على صورة « شعبن سبأ كهلان عد هجرن مارب وأسرر هو كهلان أسد اذهبن » أي الشعب سبأ كهلان في مدينة (المدينة) مارب وأوديتها ، كهلان رجال الأودية .

ولكن سبأ مارب أيام الهمداني وفي أعماله لاصلة لها بكهلان ، فهو يقول : « ودعوة سبأ مارب يا للقشيب حزب وحزب يا للهجر . فسألت أبا نصر عن الهجر فقال لا أعرف الهجر إلا من جهران (لعله هجران) ، وهجر يقال له ذوقسد . قال وإنما تسبأت سبأ مارب على سبأ بن لهيعة بن حمير (الأكبر) وهم من وقف عليه اسم السبائية إلى اليوم من دون بطون سبأ الأكبر ودون بطون سبأ الأصغر . قال

فسكن بعضهم قصر القشيب بن ذي حزفر . وسكن بعضهم بالمهجر وهو سور ينع قصوراً ، والمهجر بالحيرية القرية والقصور الملتفة ، فدعوا بالمسكنين . وهم السبائيون أي من ولد سبأ بن لهيعة بن حمير (سبأ الأوسط) . ويضيف : « وقال الأوساني : تسبؤوا على سبأ بن وائل بن سدد بن زرعة . قال والمهجر قرية مارب القديمة . ثم بنى بعض آل حزفر بناء بعد ذلك ف قيل له القشيب أي الجديد . والقشيب عند العرب كل جديد من الأشياء . وقال غيره تقشبت القشيب من قبائل شتى على القشيب بن ذي حزفر ، ولف المهجر أقباضاً من قبائل سبأ » (الإكليل ٢/٣١٦-٣١٧) .

وإخراج سبأ مارب من صفة الكهلانية وإن كان مثيراً للاستغراب في ضوء مانعرفه من النقوش إلا أن مكانها المقترح في لنسب - كما هو عند الهمداني (الإكليل ٢/٣١٦) قريباً من البداية واستقلالها عن الكتل الأخرى ، وإن جعلت فرعاً من حمير الأكبر ، دليل ، وإن كان سلبياً ، على تميزها ، وقد كانت متميزة في التاريخ إذ نحت اسمها لكبرى الممالك العربية القديمة . وكانت حاضرتها من كبريات الحواضر في عصرها . وليس ما يقال عن تسبئها أو تقشبتها على هذا أو ذاك من الناس ، سواء كان سبأ بن لهيعة أحد أبناء حمير الأكبر أو سبأ بن وائل بن سدد بن زرعة (أي حمير الأصغر) والقشيب بن ذي حزفر ، إلا دليل على ذلك التمييز وحرص من

جهات ومدارس نسبية يمنية مختلفة على اجتذابها . على أن الربط بينها وبين الحزافر بالذات هو أقرب الآراء إلى حقائق التاريخ . فالحزافر هم من زعماء العشائر السبئية ممن ينطبق عليهم ، فيما نرى ، صفة الأسبؤ (أسبان في النقوش) وهي صفة يحتل أصحابها ، في نظام الحكم السبئي ، مكانة قبل الأقيال (كما في جام ٥٦٢)^(١٨) . وهم أيضاً في نظرنا من يسمون المثامنة عند الإخباريين .

وفي الإكليل العاشر المخصص « لمعارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها » :

« أولد كهلان بن سبأ زيداً (وأولد زيد) عريباً ومالكاً وغالباً » (ص ١) وأما بنو عريب بن زيد بن كهلان فهم (ص ١ - ٥) :

الأشعر : وهو نيت بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب .
مذحج : وهو مالك بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب .

(١٨) عالجنا موضوع الأسبوء « أسبءن في النقوش » في Le Yemen ودراسات لاحقة أخرى ، وتوصلنا أخيراً إلى أن الأسبوء هم أنفسهم المثامنة « عند الإخباريين وأوردنا ذلك في بحث قدمناه في ندوة أقسام الآثار بالجامعات العربية المنعقدة بجامعة صنعاء ٢٦ - ٣١ مايو ١٩٨٦ م ، وعنوان البحث هو (الأقيال والأذواء ونظام الحكم في اليمن القديم) المنشور في مجلة اليمن الجديد ، العدد الثاني ، فبراير ١٩٨٧ م » .

طيء : وهو جلهمة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب .
المعافر : وهو ابن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن
أدد .. إلخ .
خولان : وهو ابن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة بن
أدد .. إلخ .
ذو جرة : وهو ابن يكلي بن عمرو بن مالك بن الحارث بن مرة
بن أدد .. إلخ .

وأما بنو مالك بن زيد بن كهلان فهم :

| | |
|---|-------|
| { | الأزد |
| | أراشة |
| | أنمار |
| | بجيلة |
| | خشعم |
| | شهران |

وكلهم أبناء نبت بن مالك

وهذه كلها قبائل ديارها خارج الهضبة اليمنية الغربية (نجد
الين) من ناحية الشمال تجاورت منازلها وربما تشابهت علاقاتها بسبأ
في التاريخ القديم . و :

همدان { أبناء الخيار بن مالك ألهان

وألهان هي الواقعة إلى الجنوب من أراضى سمعي القديمة ، التي منها حاشد وأقيالها بنو همدان ، وأراضى بكيل . وهي موضع تنازع بين كهلان وحير . وهو أمر له دلالة من ناحية أوضاع بكيل القديمة ، قبل اتحادها كلها أو بعضها مع حاشد تحت ظل بني همدان ، إذ أن هناك بكيلاً أخرى تعرف ببكيل الكبرى أو ببكيل الهان ، وهي عندنا الربع الضائع من بكيل^(١٩) . وكانت قد دخلت في طاعة حير منذ أن اجتاحت بنو ذي ريدان نصف الهضبة حتى ضاف جنوب ثقيـلـ يسـلـح^(٢٠) . ويقول الهمداني (ص ٩) إن « عقب الهان هم أقرب قبيلة إلى همدان من غيرهم من أولاد كهلان » . هذا وقد يقسم البعض الهان إلى الهانين واحدة كهلانية والأخرى حميرية .

ولنلاحظ أن همدان هنا هي تلك التي ضمت كلاً من حاشد وبكيل عبر تحولات يبدو أنها بدأت في عصر شمر يهرعش (الإرياني ١٧ وجام ٧٠٨) حين وُحِّدت مقولتا بني همدان (أقيال حاشد) وبني سؤران (أقيال بكيل ريـدة) تحت اسم ذي همدان وذي

(١٩) انظر :

Bafaqih, L'Unification du Yemen Antique, 2.I.38

(٢٠) انظر على سبيل المثال : مختارات من النقوش .. (الموز ٣ - ١٠) .

فيش (أو فائش) وسوران^(٢١) .

ويقرر الهمداني ، في النص كما وصل إلينا ، أنه « لم يكن الملوك القدماء من كهلان إلا من ولد مالك وعريب ابني زيد بن كهلان » (ص ٦) . ولكن غير مفهوم اعتبار أبناء عريب ملوكاً ، اللهم إلا أن يكون في ذلك ادعاء ملك قديم في خولان صرواح مثلاً ، أو أن يكون في الأمر إشارة إلى المعافر الذي ورد في بعض المصادر في عداد الملوك (جدول ١) . والشئ الثابت هو أن المعافر كانت أذوائية تابعة لحمير ، ولقد كان بنو جرة أصحاب مقولة سبئية في القديم ، وكان فيهم ملك^(٢٢) في مرحلة حرجة عابرة .

على أن الذي يهمننا هنا من أمر كهلان الين هو أن أراضي همدان وخولان صرواح ، وربما ذي جرة أيضاً ، تشكل فيما بينها الرقعة التي كانت لمملكة سبأ أيام صراعها مع بني ذي ريدان (حمير) . فبهذه الصفة تضم كهلان من نجد الين أراضي :

(٢١) انظر :

Chr. ROBIN, les hautestevres du Nord-Yemen avant l'Islam Tome, P. 106

et Suit..

(٢٢) تناولنا أوضاع جرة في (Le Yemen) المتقدم ذكره أعلاه وتناولنا مجدداً في مقالنا (بنو جرة وبنو ذراع بني سبأ وحمير في ضوء نقش جديد) وقد نشر في الين الجديد .

١ - كل شعوب اتحاد سمعي القديم وخاصة حاشد وحملان^(٢٣) باستثناء يرسم ثلاثة أعضاء ذلك الاتحاد والتي يبدو أنها زالت من مواقعها أيام التبابعة^(٢٤) .

٢ - كل شعوب بكيل التي ظلت تابعة لسبأ حتى لحظة انتصار بني ذي ريدان ، وخاصة ما كان منها في البون والظاهر^(٢٥) باستثناء بكيل شمام التي يبدو أنها زالت هي الأخرى من مواقعها أو تمثلتها حمير حين تمثلت أقبالها بني أقيان (كما حدث مراراً لبني معاهر أقبال ردمان وخولان) ، وذلك لقربها من المناطق التي طال العهد

(٢٣) حملان هي أحد أثلاث سمعي في القديم ، وكان أقبالها هم بنو بتع ، وقد ذابت في همدان وإن تخلف من ذكرها أثر طفيف أيام الهمداني . انظر صفة جزيرة العرب تحقيق الأكوع ، إصدار مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ١٩٨٣ م ، ص ١٢٥ و ٢١١ و ٢٢٤

(٢٤) يتضح هذا - في رأينا - من اعتبار يرسم من خولان صعدة ، وكان بنو سخيم أقبال يرسم الثلث من سمعي يكلفون منذ القرن الثاني للميلاد على الأقل بكبح جاح خولان هذه كلما تمرت ، ثم أصبحوا آخر الأمر أقبالها .

(٢٥) كانت أرباع بكيل تقع جميعها إلى الغرب من أثلاث سمعي ، ثم بعد أن اندمج الجانب الأكبر من بكيل في همدان حدثت تغييرات في مواقع الجماعتين وظهرت بكيل في الشرق . ونرى أنه من المحتمل أن بكيل الشرق هذه كانت امتداداً للمستوطنات السبئية في بعض أجزاء الجوف الأعلى حيث كانت تقوم مدينتا نشق ونشن .

بحميريتها ، أو لأسباب أخرى لم تتضح لنا تماماً ، وهذا ما نعتقد أنه حدث من قبل لبكيل ألهان .

٣ - كل المشارق ما بين صنعاء ومارب حيث تقع خولان صرواح ، شاملة شبام سخيم بعد أن زال بنو سخيم من موقعهم ومعهم يرسم ، وبلاد جرة والمناطق التي تقع بينهم وبين خولان .

وهكذا فإنه إذا أصبحت سبأ مارب ، لحفة وزنها في ميزان القوى ، موضع خلاف من ناحية النسب يتراوح بها بين سبأ الأوسط (ابن لهيعة بن حمير) وسبأ الأصغر من سلالة جشم ، وإذا عدت الأسر السبئية ذات الشأن ، من أمثال آل ذي جدن وذي عثكلان وذي حزفر وذي خليل وذي سحر وذي مقار ، وكلهم من الأسبؤ / الثامنة ، من بني حمير الأصغر تماماً كالحارث الرائش وبنيه ، فإن همدان ، بما أصبحت تمثله في الجزء الشمالي الغربي من نجد اليمن ، كانت وحدها التجمع الرئيسي الذي احتفظ بذاتيته بعد انتصار بني ذي ريدان . حتى خولان صرواح التي هي عند الهمداني من كهلان ظلت موضع تقاذف بين نسابة همدان (أي كهلان) وحمير^(٢٦) .

واستقلال همدان ، وبقاؤها بمنأى عن التحمر ، الذي لا يتطرق

(٢٦) كأعلاه :

إليه الشك أمر يمكن فهمه في ضوء تاريخ بني همدان ووضع أراضى سمعى فى الهضبة . فلقد ظلت همدان هذه وحدة متأسكة حتى ظهور الإسلام ، حتى أنه يقال إنها أسلمت كلها دفعة واحدة على يد على بن أبى طالب رضى الله عنه .

وفى أمر همدان التى تعد ديارها أمنع ديار اللى يقول الهمدانى : « إنه لا تقوم لأمر إمرة فى اللى حتى يكون له ديوان من همدان » (الإكليل ٢٢٤/٢) . وهدمان هذه إنما تعكس اتحاد سمعى القديم ومقاومته لمحير أيام وهب إل يحوز وخلفائه .

-٢-

إننا نرى فى القول بأن حمير وكهلان (شعبا سبأ) (الإكليل ٩٧/١) انقسام القحطانية (ربما قبل ظهور فكرة القحطانية نفسها) إلى كتلتين شمالية وجنوبية ، وأن الشمالية تمثل قطاعاً كبيراً من أراضى سبأ الأصلية والجنوبية تمثل ما كان تابعاً لبني ذي ريدان من لدن بلوغهم ضاف واتخاذهم لقباً ملكياً ، وذلك مع تنازع بين الكتلتين على نسبة بعض الجماعات من ناحية ، وامتداد لكهلان نحو الشمال من ناحية أخرى . وهذا قد يعكس تحالفات قديمة ومتأخرة ، بدأت فى ظل التبابعة وترسخت فى الفترات اللاحقة حين أدى ضعف فسقوط السلطة المركزية وفشل محاولات إحيائها إلى ازدياد أهمية التحالفات

القبلية^(٢٧) . والحق أن احتفاظ كهلان وخاصة همدان باستقلالها عن حمير يتماشى مع الطريقة التي تمّ بها حلّ التناقض السبئي الحميري الذي دام ما لا يقل عن ثلاثة قرون ، ويفسر ما يلمسه المرء من أن منافسة كهلانية حميرية كانت قائمة بين نسابة عرب اليمن ، وأنها ألقت بظلمها ثقيلًا على قضايا النسب والسيرة معاً ، حتى أنه يتعين علينا أن نقسم المدارس المشهورة إلى مجموعتين أو مدرستين رئيسيتين متنافستين إحداها كهلانية والأخرى حميرية .

وهكذا فإن ما بقي من أخبار قديمة في المصادر اليمنية الجنوبية لهو عبارة عن معارف ترسبت في الذاكرات الجماعية لختلف الجماعات ، أو بالأحرى الأسر المتنافسة في الين منذ قيام بني ذي ريدان ، أو على الأقل منذ تحولهم من حالة الأذوائية إلى حالة الملك . وهي معارف فيها الكثير من الحقائق حتى لو كانت الأهواء قد لوت أعناق بعضها وصبغت وجوهها بأصباغ مصطنعة ، فتلك الأصباغ لا تكاد تتجاوز السطح ويسهل على الدارس المتعمق النفاذ إلى ما ورائها من حقائق هي خير عون لنا على تفسير الكثير من معميات النقوش وملء العديد من الثغرات التي ما زالت تتخلل التوثيق النقشي . هذا كما أن معطيات النقوش كثيراً ما تساعد على استجلاء غوامض الأخبار في

(٢٧) من هذا النوع من التحالفات عندنا تحالف همدان والأبناء في مواجهة زحف مذحج على الجوف .

السير والأنساب وتصلح مضطربها وتقلأ ما قد يكون فيها من ثغرات كما سنرى . فالأخبار والنقوش مصدران يكمل بعضهما البعض .

لهذا كله فإن دراسة سيرة التبابعة بالذات ، وبصفة خاصة أشهرهم وأكبرهم وهو أبو كرب أسعد وما أحيط به من أساطير في المصادر الإخبارية ذات المنحى الملحمي لا تتأق ولا تستقيم دون فرز لتلك المصادر وإرجاع ما تداخل منها إلى مجموعاته الأصلية ومعرفة ما مثله على أكبر قدر ممكن من الدقة ، وذلك من خلال مقارنتها بما في النقوش .

(أ) الهمداني :

وفي هذا الصدد تبرز أهمية أعمال الهمداني الذي نذر نفسه لتصحيح المفاهيم عن التاريخ القديم قدر طاقته فحفظ لنا من خلال محاولات التحييص الكثير من الأخبار حتى تلك التي لم تكن لتتفق مع اتجاهه واقتناعه ومنهجه .

لقد كان الهمداني عالماً موسوعي الاهتمام ، لم يكذب يدع شيئاً من علوم عصره وفنونه الأدبية إلا وطرقه . ومن المعلوم أن العصر الذي ولد فيه الهمداني وعاش قد اتسم بقلق شديد تمثل في تصارع المذاهب السياسية المختلفة على أرض الين . وواضح من لغة الهمداني وأسلوبه هو نفسه ، وما حفظه لنا في الصفة من نماذج أدب الرسائل في

صنعاء ، أن الين كان منذ حين مركزاً من مراكز الثقافة العربية والإسلامية^(٢٨) ، يضارع في بعض النواحي المراكز الأخرى في الشمال رغم بعده عن حاضرة الدولة الإسلامية .

ومن الهمداني نتعلم أيضاً أنه كانت في الين - عندما يتعلق الأمر بالأنساب والأخبار - مدارس عريقة متعددة منها صنعاء وحيوان وصعدة ونجران ... إلخ (الإلكيل ٨٩/١ - ٩١) .

ويتميز إسهام الهمداني في مجال السيرة ، وهو المجال الذي يعيننا أكثر من غيره في هذه الدراسة التاريخية ، بأنه قام بمحاولة تجميع وعرض ما كان موجوداً لدى المدارس المختلفة وفق منهج حدده في مطلع الجزء الأول من سفره الجليل الإلكيل ووضح في الوقت نفسه دوافعه للإقدام على ذلك العمل الكبير .

يحدثنا الهمداني عن كلفه بالبحث « عن الأنساب والفحص عن صحيحها والوقوف على سقيمها والتصفح لما أتى به النساب » .

وذلك إلى جانب اهتمامه (بأنباء العصور) .. وتتبعه (للمعروف من الأخبار وأيام الناس) وتنقيبه (عن غامضها) وتتبعه (لملتبسها) . وقد أوصله ذلك إلى أن وجد « أكثر الناس يخبط خبط عشواء » حتى أن « الخبر الواحد ترويه الجماعة في وجوه مختلفة من

(٢٨) انظر كتاب : د . واد القاضي « بشر بن أبي كبار البلوي » بيروت ١٩٨٥ م .

زيادة وتقصان وتقديم وتأخير . . ويعلل ذلك بأن علم الأخبار علم « غير مقصور بنظام ولا محصور بقياس » . كما أنه فيما يتعلق بالأنساب وجد « ناسب كل قبيلة متقناً لأنساب من قاربه وعاشره وساكنه وخالطه ، راجماً فيمن نأى بالغيب ، فجمع من سيرهم الحقير ومن أنسابهم اليسير ومن علمهم وحكمهم النزر من الكثير ويزل عنه الجمع الغفير » . (٨٣/١ - ٨٤) .

ولا شك أن هذا الخلل الذي يتحدث عنه الهمداني هو الذي دفعه إلى الاضطلاع بذلك العمل الكبير - الإكليل - جامعاً في سفر واحد بين الأنساب والأخبار ، وهما علمان مرتبطان ببعضهما ارتباطاً وثيقاً . وإن لم يكن كل من تناول أحدهما تناول بالضرورة الآخر ، فمن النسب من اكتفى بحفظ المشجرات ، ومن الإخباريين أو المؤرخين الذين تلقوا عنهم من يبدو أنه لم يتبين تلك الصلة الوثيقة بين العلمين . ولقد كان الهمداني من بين أولئك الذين جمعوا بين العلمين أو الفرعين ، ولعله قد اقتفى في ذلك أثر من سبقوه من علماء المدرسة أو المدارس اليفية الجنوبية وخاصة أستاذه أبي نصر اليهري الذي يظهر من وصف الهمداني أنه كان مثله موسوعي الاهتمام .

وقد خصص الهمداني الجزء الأكبر من الجزء الأول لنسب خولان بن عمرو (بن الحاف بن قضاة) ، بعد أن ذكر قبائل قضاة الأخرى ذكراً مجزئاً « لشهرتها عند الناس » على حدّ قوله : « ووقوف

العامّة عليها واستعمالهم لها ، وعمران قلوبهم بها وأسماعهم سوى خولان » . ومن ثم رأى أن يشبع « القول عنها لتلحق في التشجير والتعريف بباقي إخوانها من قضاة » (الإكليل ٢٧٤/١) .

وبعد أن فرغ من أمر خولان هذه في جزء واحد هو الأول ، انتقل في الجزء الثاني إلى نسب ولد الهميسع بن حمير الذي سبق أن قال بشأن أنسابهم أنه رأى « نساب تلك النواحي لاسيما الكلبين استقصوا في أنساب ولد مالك بن حمير ، لما كان منهم بمرأى ومسمع ، وأتوا من نسب أخيه الهميسع بن حمير بمثل أثر في عفر ، لادارس فيعفو ولا يبين فيبدو ، لما قلت رحلتهم إلى من قطن منهم بالين ولم يلقوا بنهوجهم من ذوي معرفتهم غير أعقاب من ظعن ... » إلى أن قال : « وكذلك غيرهم من النساب حتى أن محمد بن إسحاق أتى فيما سمعنا بنسب ولد الهميسع في خمسة أسطر (ص ٨٤ - ٨٥) .

وهذا إن دلّ على أن الهمداني كان يتوجه بعمله نحو جمهور - عريض لم يتجاوز الين ويشمل كل دار الإسلام ، فإنه لم يمنعه من الوقوع بوعي أو غير وعي في محذور الانحياز إلى وجهات نظر المدرسة الكهلانية المحلية وخلفائها من حمير من بني الصوار في مواجهة المدرسة الحميرية الصرفة (أو حمير الين حسب تعبيره) كما سنرى .

وحق في معالجته لأنساب همدان (من كهلان) التي خصص لها

الجزء العاشر ، بعد أن فرغ في الأجزاء الثانية السابقة (٢ - ٩) من أمر حمير نسبها وسيرتها وحكمها وآثارها .. إلخ ، فإنه كان أيضاً يصدر في بعض الأحيان عن رغبة في تصحيح أخطاء نساب العراق . فهو يقول تعليقاً على ما يقوله المرائيون بالعراق عن نسب المرائيين وآل المشعار :

« قال أبو محمد : وقد قصرنا عدة آباء . وكذلك سبيل نساب العراق والشام يقصرون في أنساب كهلان ومالك بن حمير ليضاهوا بها عدد الآباء من ولد إسماعيل عليه السلام . وامتنعت عليهم أنساب ولد الهميسع ، إذ كانت مزبورة في خزائن حمير . وكذلك أنساب الملوك من ولد عمرو بن همدان فأهملوها كي لا يقاس بها أنساب باقي همدان » (ص ١٠) .

ولقد حدد الهمداني بعناية المراجع التي استند إليها في تقييده للأنساب .

فأما بالنسبة إلى خولان (صعدة) فقد حدد بطونها « على ماروى خولان وحمير بصعدة » التي لم تنتشر أخبارها كما انتشرت أخبار صنعاء لأنها (أي صعدة) لم تكن « في القديم من البلدان التي رحل إليها أصحاب الحديث » ، وقال : « وقد سكنت بها عشرين سنة فأطللت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها كما أطللت على بطن

راحتي وقرأت بها سجل محمد بن أبان الخنفري المتوارث من الجاهلية «
(الإكليل ١/ ٢٧٥) .

وفيا يختص بنسب ولد الهميسع فقد طلبه على شيخ حمير
وناسبها وعلامتها وحامل سفرها ووارث ما ادخرته ملوك حمير في
خزائنها من مكنون علمها وقارئ مساندها والمحيط بلغاتها : أبي نصر
الذي أغناه « نهلة دون عله » والذي « كان بجائة قد لقي رجالاً وقرأ
زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية » فمنه أخذ ما أثبتته في كتابه (أي
الإكليل) من « أنساب بني الهميسع بن حمير وعدة الأذواء وبعض
ما يتبع ذلك من أمثال حمير وحكمها » (١/ ٨٥ و ٨٩) .

والحق أن الهمداني في الجزء الثاني ، ولعله كان كذلك في الأجزاء
المتصلة التالية له والمرتبطة به أو بعضها ، كان بمثابة التلميذ والمريد
لأبي نصر حتى أنه ليكن القول بأنه كان عالة عليه حيث يتعلق الأمر
بأنساب بني الهميسع وأخبارهم ، وهو عندما يذكر الرأي المخالف كثيراً
ما يرجح قول أبي نصر قائلاً : « أنه أعلم » من جراء احترامه وتقديره
له تحسب في بعض مواقع خلافه معه فعمد إلى إيراد الرأيين المتعارضين
جنباً إلى جنب كما في نسب آل ذي سحر أسرة بلقيس مثلاً ، ولكن
هذا لم يمنعه من الاختلاف مع أستاذه في مواضع قليلة ، ولعله فعل
ذلك عن اقتناع وإن شابه أحياناً شيء من الهوى ربما دون أن يدري .

على أنا إذا جئنا إلى الجزء العاشر والأخير الذي يتناول أنساب كهلان بالإجمال وهمدان بالتفصيل فإننا لا نجد أثراً لأبي نصر كما لم يكن له أثر في أنساب خولان (الجزء الأول) ، ففي هذين الجزأين يظهر عمل الهمداني واستقصاءه المباشر ، ولعله في أنساب همدان أظهر .

هنا تأتي الرواية سهلة سلسلة نادراً ما تتخللها الجمل الاعتراضية . وإذا استشهد بأحد فإنما يستشهد برجال من البطون نفسها التي يتناولها - رجال تحدث إليهم وأخذ عنهم وأطلع على سجلاتهم ، وذلك إلى جانب ما تلقاه هو عن الآباء والأسلاف كما يصرح به في عدة مواقع .

ففي نسب المرانيين الذي سبقت الإشارة إليه نراه يقول :

« والمرانيون بالين ينكرون هذا التدريج (الذي يقول به إخوتهم في الشام والعراق) ويعملون على ما قيده آبائهم من نسبهم وحفظوه كابراً عن كابر ، ورأيتهم عندهم بخط أبي علكم المراني ، وكان علامة الين في عصره . وكان في خلافة هارون » (الإكليل ٣٠/١٠) .

ومثل ذلك ما جاء عند الحديث عن آل ذي لعة حيث يقول :

« وهذه نسبة اللعويين مقيدة الأصول محروسة الفروع ، أخذتها عنهم رواية عن زبور قديم بخط أحمد بن موسى بن أبي حنيفة المعروف بالديدبان عالم أهل البون في عصره » (الإكليل ١١٠/١٠) .

هذا وقد خصص الهمداني ، كما جاء في صدر الإكليل الثامن ثلاثة أجزاء للسيرة ، كلها مفقودة ، وهي الأجزاء ٤ و ٥ و ٦ . والرابع هو الذي تناول فيه ما أسماه بالسيرة القديمة إلى عهد تبع أبي كرب جاعلاً من عهد ذلك الملك نقطة فاصلة في التاريخ اليني ولقد كان كذلك .

ولا شك أن الحديث عن مفهوم أو تصور الهمداني للسيرة القديمة يبدو في غياب ذلك الجزء من الإكليل مستحيلاً بالضرورة ، ولكنه مع ذلك لا يحول دون تلمسنا ملامح ذلك التصور من خلال كتبه المعروفة خاصة الأجزاء المخصصة للأنساب في الإكليل (ج ١ و ٢ و ١٠) .

فبالأنساب هي العمود الفقري ، إن لم تقل هي الهيكل العظمي ، للسيرة التي هي سيرة حياة أولئك الأشخاص الحقيقيين أو الأسطوريين والذين هم بين بين والذين تتكون منهم سلاسل النسب وخاصة الملوك .

ولعله من أجل ذلك تأتي إحالات الهمداني إلى السيرة في بعض المواقع من الأجزاء المخصصة للنسب . مثال ذلك (الإكليل ٥٢/٢) عن إلحارث الرائش و (الإكليل ٥٣/٢) عن أفريقس و (الإكليل ٥٨/٢) عن أبي كرب أسعد .

ومن القبيل نفسه - كما تصور - كل الاستطرادات التي حفلت بها

أجزاء الإكليل في النسب والتي يورد فيها بعض ما يمكن وصفه بعيون الأخبار أي البارز منها في عهود من تناول أنسابهم من ملوك أو قادة (هم من الأذواء والأقيال) . وهي وإن كانت نتفاً إلا أنها - فيما نرى - تم عما يمكن أن تكون عليه صورة السيرة في الكتب الضائعة ، كما تؤكد الصلة التي أشرنا إليها بين الأنساب والسير .

في (الإكليل ٥١/٢ - ٥٢) يقول الهمداني (كما جاء في النسخة المطبوعة) :

« وأولد ذو أبين بن ذي يقدم عمرواً ، كذا أطلقه لنا أبو نصر عمرو بن ذي أبين وفي مشجرتة عمر بن ذي أبين (؟) فأقره وقال قد قيل ذا و ذا . وهو في السيرة عمرو بن ذي أبين وهو أوكد لأن خبره فيها غير خبر ذي أبين » .

وهي عبارة بادية الاضطراب تدخل فيها النساخ على ما نعتقد ولعل أولها يقول « وأولد ذو يقدم عمرواً (ذا أبين) ، وهكذا أطلقه أبو نصر ، عمرو ذو أبين » .

هذا ومن الواضح أن السيرة عند الهمداني إنما هي جزء من كل في ذلك العمل الكبير الذي رتبت موضوعاته ترتيباً يدل على خطة مدروسة تأتي فيها السيرة (ج ٤ - ٦) بعد أنساب حمير (ج ١ و ٢) وفضائلهم (ج ٣) ويأتي تحييص الأخبار (ج ٧) بعد السيرة وهو

موضعه الطبيعي . ثم يلحق بها بعض المعارف الأخرى ذات الصلة
أو على حد تعبير الهمداني « ما يتبع ذلك من أمثال حمير وحكمها » ،
أي آدابها (ج ٩) يتخلل ذلك الجزء الهام ، الثامن ، المخصص للآثار
والقبوريات ، وكل ذلك قبل أن ينتقل إلى الجزء العاشر والأخير عن
أنساب همدان قومه جاعلاً منها مسك الختام .

ولقد أشار الهمداني إلى ابن شريه في مواقع متناثرة في الإكليل
الثامن ، كما وصل إلينا ، وبصفة أخص في القسم المتعلق بالقبوريات
منه . كما نقل عن وهب بن منبه وهشام بن الكلبي في مواقع كثيرة ،
فذكر منها خبر رجل عاش أكثر من ست مئة سنة ، وقد علق عليه
بقوله :

« قال الحسن الهمداني : هذا حديث فيه حيف إذ لا يمكث رجل
مملكاً بامرأة مثلي سني الهجرة إلى هذا العهد . وقد ذكرنا مثله في الجزء
السابع (الإكليل ١٤٧/٨) من خبر الإكليل » وهو الجزء الذي يمحس
الأخبار الباطلة . (الإكليل ١٧٠/٨) .

وقال في موضع آخر دون أن يشير إلى الجزء السابع :

« أنني لأرى (في المطبوع لأرى) في هذه الأشياء المستنكرة في
الزبر القبورية أنها تكون من الذين يكتبونها فيزيدون في الشيء
ماليس فيه لتعظيم ذلك عند من يسمعونهم فيزهّدوا في الدنيا ويعلموا

أنهم دون من سبقوهم » . ومثل هذا ما جاء في (الإكليل ٢٣/٨ - ٢٦)
حول « بناء الجن لقصور الين » .

وفي كل هذا إشارة إلى ما يمكن أن يكون عليه ذلك الجزء الهام
والضائع من الإكليل الذي بدونه لا نستطيع الحكم على مواقف الهمداني
من المبالغات التي حفلت بها مصادر الأخبار والسير السابقة على عهده
والتي كانت من بين مراجعه .

وعلىنا أن لا ننسى أيضاً أن ما يبدو من تناقض ظاهر بين المنهج
الذي يقول الهمداني إنه اعتمده في الإكليل وبين إirاده لبعض
المستحيلات خاصة في الإكليل الثامن دون تعليق إنما يرجع بعضه على
الأقل إلى عمل الناقلين الذين يحرفون النصوص بالتدخل والإضافة
والحذف^(٢٩) ، هذا مع التسليم بأن الهمداني لم يبرأ من قبول وترويج
بعض الأخبار التي لا تصمد للتحقيق .

وتقابل السيرة القديمة عند الهمداني فترتين رئيسيتين عند معظم
المشتغلين بالدراسات اليمنية حديثاً :

أولاهما هي التي توصف بالفترة العتيقة التي تنتهي حسب الرأي
النائد ، حوالي بداية عصر الميلاد أو قبله بقليل . وهي فترة ، على

(٢٩) انظر ما يقوله محمد بن نشوان في الإكليل الأول ، ص ٨١ ، وكذلك تدخله في

صفة الإجمال ، وإن كنا نجعل ما نتوقع أنها مشتملة عليه من فترات ناهيك من مراحل .

وثانيهما هي التي تبدأ بنهاية الأولى التي نعرف أنها تشتمل على مرحلتين رئيسيتين وفقاً لتطور اللقب الملكي في سبأ : من (ملك سبأ) اللقب القديم في الفترة العتيقة إلى (ملك سبأ وذي ريدان) ثم (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة) ، وهذه الأخيرة تمثل نصف عهد التبابعة (القرنان الرابع والخامس) .

وأول ما يجب تأكيده في شأن القسم الأول من السيرة القديمة الذي يقابل الفترة العتيقة عندنا هو ما لاحظناه سلفاً من أنه لا توجد أية نقاط التقاء بين الأسماء التي تنصدر قائمة النسب (وفيهم وفي مقدمتهم أوائل الملوك) ، وبين الأسماء المعهودة في الفترة العتيقة كما تظهر في النقوش ، وهي الفترة التي كان الملوك فيها يتخذون أسماء مختارة من قائمة محدودة حتى الاسم الواحد يتكرر مرات من جيل إلى جيل وهي : كرب إل ، ويثع أمر ، وسمه علي ، ويدع إل ، وذمار علي .

حقاً إنه جاء في مطلع الجزء الثاني الذي يعالج أنساب أبناء الهميسع ، قول الهمداني :

« وأولد أين بن الهميسع (بن حمير الأكبر) أربعة نفرأ زهيرأ
وكربأ وهو كرب إل أيفع كما يقول عبد الله الرفيع ... إلخ » .

ولكن إذا كان كرب إل من الأسماء المعتمدة للملوك في الفترة
العتيقة ، بل والقاصرة عليهم ، فإن أيفع لم يكن بين الألقاب المعتمدة
للملوك تلك الفترة ، والتي كانت ألقابأ محدودة هي : وتر ، وذرح ،
وبين ، وينف (ينوف) .

ومع أن كرب إل أيفع الذي ذكره الهمداني لم يكن إلا بطنأ
حسب قوله ، أي أنه لم يكن ملكأ ولا يرد في الخط الذي يصور
تناسل الملوك ، فإن كرب إل هو أحد اسمين عرفا في المراحل اللاحقة
من أسماء قدامى الملوك ، فهناك في الجانب السبئي ، بعد سقوط
الأسرة التقليدية المالكة ، كرب إل وتر يهنغم ملك سبأ بن وهب إل
يحوز ملك سبأ. كما أن هناك العديد من الملوك الحميريين (بني
ذي ريدان) ممن حملوا الاسم المذكور واحدهم جمع بين الاسم واللقب
كما ذكره الهمداني ، أي كرب إل أيفع ، وقد عاش في القرن الثالث
(إرياني ٢٨ مثلاً) والاسم الآخر هو ذمار علي .

ويعدُّ لقب (أيفع) من الألقاب الأثيرة عند الريدانيين حتى بعد
أن أصبحوا تبابعة مما يدل على أن له مكانة خاصة عندهم .

ولعل في ذلك كله دلالتة الخاصة فيما يتعلق بما تمثله السيرة

مقارنة بالتاريخ كما نعرفه من النقوش ، وخاصة طغيان اسم حمير على مجمل السيرة كما عرفها الإخباريون . وهو ما يُفسر عادة بقرب العهد بالملوك الحميريين الذين حكموا الين في المراحل الأخيرة القريبة من الإسلام .

ولكن هل يكفي هذا ؟

إن الفترة العتيقة على ضالة ما نعرفه عنها من النقوش نسبياً ورغم الخلافات القائمة حول الكثير من قضاياها إنما هي الفترة التي شهدت الكثير من الإنجازات العمرانية وفي مقدمتها بناء العرم (سد مارب) . وهي التي شهدت ذلك الازدهار الذي انعكس في الكتابات الكلاسيكية الإغريقية - الرومانية وأثار شهية الفاتحين وآخرهم الرومان الذين أقدموا على غزوتهم الفاشلة حوالي عام ٢٤ ق.م .

ويحدثنا الهمداني في مواضع عدة من الإلكيل عن المساند الدهرية وعن قرائنها من معاصريه . ويستشهد بها في بعض الأحيان لترجيح بعض وجهات النظر قائلًا : « والمسند أصح » (٣٠٣/٢ الإلكيل مثلاً) أو « كذلك هو في مسند بناعط » (الإلكيل ٨٦/٢ مثلاً) .

ومع ذلك فإن الهمداني نفسه حين وقف أمام نص مسند معين من ناعط (الإلكيل ١٨/١) ورد فيه اسم سمعي محرفاً (على ما يبدو) أو ناقصاً لم يفعل أكثر من محاولة شرح النص كما وصل إليه على علته

دون أن يلتفت إلى الأخطاء والعيوب الصارخة ومنها ما يتعلق بالترتيب . يقول النص كما أورده الهمداني :

« أوصله رفشان وبنوه بنو همدان حي عثر يطاع ويارم
(أقوال) شعبين سمعي سلبان ذحاشدم وبأيهم تالب ريام »
ويشرحه (كما وصل إلينا الشرح) بقوله :

« أي ملكو بأيهم تالب بن بتع (!) الملك شعبين مختلفين من
حمير وهمدان دع حاشد » . ويعلق على الشرح بقوله : « والتسليبي
التجمع والمسلبي المجمع بلغة حمير (!) أي قالوا على الجمع كنف
حاشد » .

هذا بينما نستطيع اليوم إعادة تركيب النص وترتيبه ، وهو
ما فعله كنسدیل مثلاً ، ملاحظين كما لاحظ أن شعبين سمعي إنما هي
شعبن أو شعبان سمعي أو الشعب السمعي في عربيتنا : وسلبان
ذحاشد إنما هي شلثن أو ثلثان ذحشدم أو ذي حاشد (م) ، أي الثلث
الحاشدي من سمعي .

ولسنا نحاول بهذا أن نحكم على مدى مقدرة الهمداني على قراءة
المساند وفهمها . فنحن نعرف من الإكليل الثامن أنه على دراية ،
لا ريب فيها ، بحروف المسند . ولكننا نتساءل هل اطلع الهمداني على
ذلك النص في مكانه على الحجر أم أنه قرأه منسوخاً مصحفاً وربما

معلقاً عليه أيضاً ؟ بل إن لنا أن نتساءل عما إذا لم تكن الفقرة كلها
دخيلة على النص !

ولقد كانت في (سمعي) مملكة قديمة إلى جوار سبأ (C.37) ،
ظل اسمها كقبيلة يتكرر في المساند حتى وقت متأخر نسبياً من الفترة
التي تدخل في (السيرة القديمة) نفسها عند الهمداني نفسه ، وكانت
أرضها في قلب ما أصبح يعرف ببلاد همدان . ولهذا فإن غياب اسمها
من الأنساب لمن أقوى الأدلة على ضياع أخبار الفترة العتيقة بكاملها
لا مجرد طغيان اسم حمير على التاريخ .

(ب) الأعقاب والأنساب :

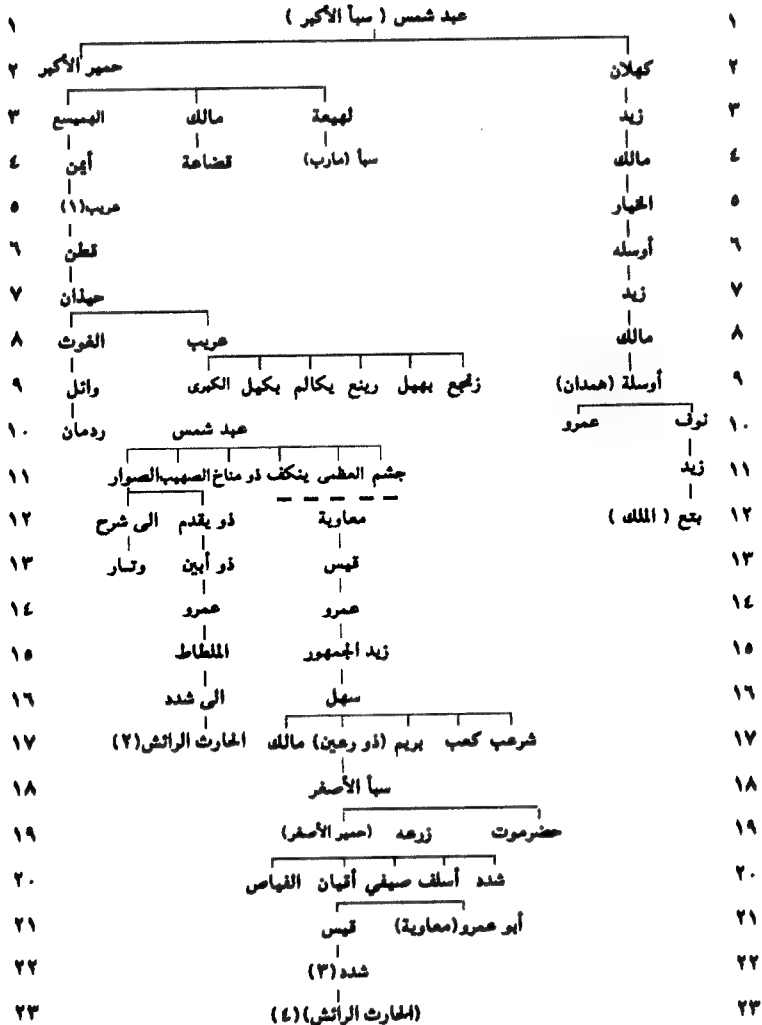
ولا غرابة في ذلك فإن الأنساب - كما نعرفها - إنما هي أنساب
القبائل والجماعات التي بقي لها أعقاب ذات شأن في الإسلام عمدت إلى
قيدها عندما نشأت الحاجة إلى التقييد ، ومعلوم أن السلالة الحاكمة
التقليدية في سبأ سقط حكمها في نهاية القرن الأول الميلادي أو نحو
ذلك ، واختفت من المسرح واختفت معها بعض أسمائها الأثرية (يدع
إل ، ويشع أمر ، وسمه علي) . وبقي ما كان يشاركون فيه بنو ذي
ريدان من أسماء (كرب إل كما تقدم وذمار علي) ، ولم يبق للفترة أثر
مباشر .

ومع أن وجود الاسمين الأخيرين المذكورين في بني ذي ريدان

من البداية يشي باحتمال وجود رابطة قديمة بين أولئك الأذواء والأسرة الحاكمة السبئية التقليدية أو عشيرتها فإن وصول بني ريدان إلى مرتبة الملك منذ أواخر القرن الأول أو مطلع القرن الثاني إنما حدث على أنقاض الأسرة الحاكمة في مارب وبعد فترة من تعاصر تلك الأسر السبئية ملوكاً والأسرة الريدانية أذواءً تابعين لهم بصورة من الصور . ولم يعن أحد - بما فيهم أعقاب بني ذي ريدان - بحفظ أخبار الملوك الأول الذين ظلت مساندهم ماثلة للعيان في مواضعها في السد وغيره من المنشآت ، بل وفي المعابد ، وإن كانت هذه الأخيرة أهملت منذ أواخر القرن الرابع مع ظهور عقيدة التوحيد أيام ملكي كرب يأمن أو يؤمن .

فهل سفت الرمال محرم المقه بعمل أوام قبل أن تظهر العناية بالأنساب والأخبار في صورتها التي وصلت عليها إلينا ؟ وهل يكفي ذلك لتفسير اختفاء تلك الأسماء بل الأخبار الهامة ؟ لا نظن .. وإنما نرى أن الأمر يتصل بزمن ودوافع وطريقة قيد الأنساب أكثر من أي شيء آخر .. وهو ما نرجو أن نكون قد وضعنا الأصبع على بعض جوانبه هنا .

جدول رقم (٢)



أنساب ولد سبأ الأكبر حتى الحارث الرائي على رواية الحميداني في الإكليل مع الإشارة إلى موضع الرائي في أبناء حمير الأصفر على رأي نشوان .

تعليقات

- (١) عند نشوان : عريب بن زهير بن أيمن .
- (٢) هنا يفترق كل من نشوان والهمداني عن الآخر . فالهمداني يحصر الملك في بني الصوار حتى النهاية . وأما نشوان فيشير إلى حدوث تحول بعد الملطاط . فيجعل شديداً والد الحارث الرائش من حمير الأصغر .
- (٣) « سد هذا كما يرد عند الهمداني هو نفسه » شدد عند نشوان والمدرسة التي يمثلها وإليه ينتقل الملك بعد الملطاط . وللهمداني رأي في اختلاف الاسم بين سدد وشدد .
- (٤) بعد الحارث الرائش يتفق نشوان مع الهمداني في المجرى العام لتسلسل الملوك من أبرهة ذي المنار بن الحارث الرائش حتى تبع الأصغر (عمرو بن حسان بن أسعد الكامل) . ولكن التجاذب بين الصوار وبين حمير الأصغر يظل قائماً في أحوال ، مثل نسب بلقيس .

الشعر الجاهلي واليمن

ربطنا في دراسات سابقة لنا بين توسيع الحيريين لجيش الأعراب اليمني منذ القرن الرابع الميلادي وما أولاه ملوكهم التبابعة من اهتمام للمناطق العربية الشمالية ، وبين ما أدى إليه ذلك بالضرورة من تقارب بين اللهجات من جهة ، ومن بلوغ حركة الشعر العربي الجاهلي مرحلة النضج في القرن السادس الميلادي من جهة أخرى ، وهو القرن الذي يعود إليه كل فحول الشعراء المعروفين ، ملاحظين أن (القصيدة) ، « وهي الشكل الذي وتده الشعراء في نحو نهاية القرن الخامس ودولة التبابعة أخذة في التداعي فالانهار » إنما كانت مرحلة متقدمة بعيدة كل البعد عن أوليات الشعر العربي التي لانكاد نعرف عنها شيئاً ، وإن كنا نفترض أنها قديمة « أسوة بما حدث في الأمم الأخرى » ، كما نفترض أن الشعر العربي « كان في نشأته شعر لهجات »^(١) .

(١) محمد عبد القادر بافقيه : (أ) في العربية السعيدة ، صنعاء ١٩٨٧ م ص ١٧٠-١٧٥ و ١٨١ و (ب) وآخرون : مختارات من النقوش اليمنية القديمة ، تونس ١٩٨٥ ، الفصل الأول ٨-٣

وسنحاول في هذه العجالة أن نتبع قدر الإمكان انعكاسات الدور اليمني في حياة الجزيرة على الشعر الجاهلي في القرن السادس الميلادي من خلال ماورد فيه من إشارات إلى الين واليانيين وبعض نواحي الحياة اليانية .

١ - يمن ويمنة :

وفي سبيل ذلك فإن أول ما ينبغي علينا تناوله هنا هو مفهوم (يمن) . فاللفظة ، كغيرها من الألفاظ في اللغة لها تاريخها في رحلتها عبر الزمان والمكان .

وأول ما نلاحظه بهذا الصدد هو أن اللفظة بصورتها هذه (يمن) لم تعرف في النقوش اليمنية حتى أحدثها الذي يعود إلى فترة ازدهار الشعر الجاهلي أي القرن السادس^(٢) . وإنما عرفت محلها وبانتظام لفظة أخرى من الجذر نفسه هي (يمنت) ، التي ينطقها البعض يمانّة .

(٢) قد يرى البعض أن عبارة (زبين) في نقش أبرهة (C 541) العائد إلى عام ٥٤٣ ميلادية إنما تعني (ذي بين) أي الذي بين غير معروفة ، ولكن هذا يفتقد إلى ما يؤيده . وهناك مخربش من وسط الجزيرة زل عنا مرجعه يذكر صاحبه فيه أنه « هدى عيراً يمنية وشامية » ولكنه هو الآخر لا يعني شيئاً فمأخوذ بصدده . على أنه وصل إلينا نقش جديدمن نقوش قتبان جاءت فيه لفظتا : يمن وشأم بصورة توحى بأن المقصود بهما هو المقصود ذاته من لفظتي يمنة وشامة ، أي جنوب وشمال ، والنقش قيد الدراسة ولم ننشره بعد .

ويمينات على غير قياس يعتد به ، والتي ذهبنا إلى أنها قد تكون (يمنة) بفتح الياء أو ضمها وتسكين الميم أو فتحها . فمنة عند عرب الجنوب هي المقابل ليمين عند عرب الشمال ، وكلاهما يعني في الأصل شيئاً واحداً هو (الجنوب) لا أكثر ولا أقل^(٣) . ومن هنا فإن الركن الجنوبي من أركان الكعبة المشرفة يعرف بالركن اليماني وله مكانة خاصة .. كما أن باب مدينة صنعاء المؤدي إلى الجنوب هو باب اليمين .. بل إنه جاء في بعض الكتب المتأخرة نسبياً عبارة (يمين الدار) بمعنى جزئها الجنوبي^(٤) .

وهناك نقش معين قديم (R.3022) يتحدث عن حرب بين (ذي يمنة وذي شامة) في سياقه يذكر غارات وحروب متتالية دارت في اليمين وخارجه ، وتهددت بالخطر مصالح أصحاب النقش وقوافلهم المنتشرة في أرجاء المنطقة بين اليمين ومصر والعراق .. فأما الغارات فمنها ما كانت تشنه جماعات من سبأ وخولان على قوافل أهل النقش فيما بين الجوف ونجران . وأما الحروب فمنها ما كانت مصر طرفاً فيه ، ولكن الدارسين لم يتفقدوا على هوية الطرف الآخر ، ومن ثم لم

(٣) محمد عبد القادر بافقيه : في العربية السعيدة كأعلاه ص ٤٨-٥٥ .

(٤) M. A. BAFAQIH, le Yemen à la période des voies de Sabà et du Raydan, thèse de doctorat d'état, la Sorbonne-Paris IV, 1983, ch. 2, VO. 4. A et no

يتوصلوا إلى اتفاق على تحديد وقت تلك الحرب . على أن الذي
يعيننا هنا ويحيرنا في الوقت نفسه هو حرب أخرى يقول النقش إنها
قامت بين (ذي يمنة وذي شامة) أي بين أهل الين وأهل الشام . هل
هي حرب بين أطراف عربية جنوبية (أي يمنية بالمفهوم السائد الآن
ومنذ حين) ، وبين أطراف عربية شمالية شامية على أساس جغرافي
محض ؟ الله وحده العالم ..

وحق لو ثبت أن الطرفين عرييان فإن عبارة (ذي يمنة)
أو (يمني) و (ذي شامة) أو (شامي) تظل نسبية . فقد يكون
الطرفان كلاهما داخل الين .. أوليست خولان صعدة تسمى خولان
الشام أيضاً وخولان صرواح تسمى خولان الين ؟ تماماً كما سميت
بقعتان في أرض هذيل ، وهي عدنانية بلا خلاف ، بنخلة الشامية
ونخلة اليمانية .

وفي عهد الإشرح يحضب الثاني أواخر القرن الثالث وصف ملوك
كندة ومذحج ونزار وغسان معاً بأنهم ملوك (أشعب شامة) أي
قبائل الشام (عنان ٧٥ و J.2110) بمعنى الشمال . ألا يعني هذا أنه
حتى ذلك الحين لم يتخذ مفهوم ين ما اتخذ بعد ذلك في الشعر الجاهلي
كما سنأتي إليه ؟

٢ - أعراب كندة ومذحج :

ومع ذلك فإنه في أوائل القرن الرابع وبعد شمر يهرعش مباشرة ، إن لم يكن في أيامه ، قام جيش الأعراب الحميري الكبير ووضع على رأسه أحد الأذواء من آل ذي جدن السبئي الأصل واتخذت نشق في الجوف مركزاً لقيادته (الإرياني ٣٢) ، وقد ضم ذلك الجيش أعراباً من خارج مناطق الممالك الينية القديمة يأتي على رأسهم أعراب كندة ومذحج الذين كانوا من قبل وفي القرن الثالث بالذات تابعين للملوك كندة وقحطان (J.2110-7-10) ، والذين كانوا يدعمون مقاومة ملوك حضرموت لشمر يهرعش (BR-M.Bayhan 5) . فما الذي حدث حتى انخرطت تلك القبائل وغيرها في جيش الأعراب الحميري ، وشاركت بقوة في إدخال حضرموت ضمن دولة التبابعة ؟

في أواخر القرن الثالث (٢٧٢ م) سقطت تدمر فريسة للرومان بعد استفحل أمرها ، وكادت تهدد روما في عقر دارها . وأحدث سقوطها ذاك فراغاً هائلاً في المنطقة لعل من آثاره قيام امرئ القيس بن عمرو اللخمي باجتياح ممالك معد ونزار وبلوغه في زحفه أحباط نجران (مدينة شمر) مطارداً في طريقه مذحج كما جاء في (نقش النارة) الذي خلد تلك الحادثة .

فهل من علاقة بين الحادثتين .. هجمة اللخمي ودخول أعراب كندة ومذحج في الجيش الحميري ؟

المهم في الأمر هو أن أولئك الأعراب أصبحوا يدينون بالولاء للملوك حمير حتى لو لم تخضع مناطقهم الأصلية رسمياً للتبابعة .

وقبل منتصف القرن الرابع اجتاحت قوة من (أعراب حضرموت) بقيادة الأقيال اليزنيين ، ملشان وبنيه ، أراضى نزار وعاثت في أنحاء العروض (اليمامة والبحرين) قتلاً وسبياً وغنائم (نقش عبدان الكبير) . وكان ذلك في تقديرنا هو الرد الحميري المتأخر على مافعله 'مرؤ القيس اللخمي وهم مشغولون بترتيب البيت اليماني' ^(٥) .

وهكذا لم يلبث أبو كرب أسعد ، أشهر التبابعة أن اتخذ في مطلع القرن الخامس الإضافة الأخيرة إلى اللقب الملكي الحميري الذي لم يكف عن التطور منذ القرن الأول الميلادي على الأقل ، وهذه الإضافة الأخيرة هي : (وأعرابهم ضوداً وتهامة) التي نعتقد أنها تعني أعراب السراة والأغوار المحاذية لها . وكان البعض من أولئك الأعراب مشاغباً للمالك اليمنية إبان اضطراب العلاقات بينها في حرب الثلاث مئة عام ، حرب توحيد سبأ وحمير ^(٦) ، بل وفي أيام التبابعة ^(٧) .

ثم لم يلبث أن قام حكم أسرة آكل المزار الملوك من كندة في معد «

(٥) محمد عبد القادر بافقيه : في العربية السعيدة كأعلاء ص ٨٨-٨٩ و ١١٠ ، ج ١

(٦) BAFAQIH, le Yemen... op. cit, Troisième Partie.

(٧) في العربية السعيدة أعلاه ص ٦٠ ، ج ١

بدعم من التبابعة ، أو ربما بدفع منهم أيضاً . فكانوا بمثابة ذراع للحميريين مثمدة في تلك البقاع من نجد قريباً من مناطق النفوذ الفارسية والرومانية التي يظهر من نقش من أيام شمر يهرعش (شرف الدين ٣١) أنها كانت موضع اهتمام التبابعة إن لم يكن أسلافهم أيضاً ، خاصة في الجانب السبئي .

٣ - يوم خزاز والسلان :

ومهما يكن من أمر دولة كندة الثانية هذه ، والتي غرست قريباً من منطقة ما يعرف بالدول العازلة عند المؤرخين ، فإن كل شيء يدل على أن قلب شبه الجزيرة كله أصبح مجالاً حيويّاً لدولة التبابعة ، فيه يتجول ملوكهم فارضين سلامهم على طرق التجارة إلى أن دبت في كيان دولتهم عوامل الفساد وأذنت شمسهم بمغيب قرب نهاية القرن الخامس . بعد قرنين كاملين من الهيمنة الحميرية التي تركت آثارها على الذاكرة العربية مما نطق به الشعراء في القرن السادس كما سنرى . (انظر : ٧ . يمان و يمانية) .

ولعل يوم خزاز والسلان - رغم اختلاف الإخباريين في شأنه - من بين أوائل حركات انتفاض القبائل المعديّة النجدية على الهيمنة التبعية إن لم يكن أولها على الإطلاق^(٨) . وفي وصف أحداث ذلك

(٨) انظر مثلاً : الدكتور عفيف عبد الرحمن : الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي ،

بيروت ١٩٨٤ ص ١١٥

اليوم ونتائجها لدينا عدد من المقطوعات الشعرية المكرسة للحادث ، وإشارات عابرة إليه في قصائد أخرى مطولة .

ففي شعر منسوب إلى كليب بن ربيعة الذي تقول بعض المصادر إنه قاد جموع نزار لحرب الين في ذلك اليوم نراه يقول :

لقد عرفت قحطان صبري ونجدي غداة خزاز والحقوق دوان
غداة شفيت النفس من ذل حمير وأورثتها ذلاً بصدق طعاني
دلفت إليهم بالصفائح والقنا على كل ليث من بني غطفان
ووائل قد جذت مقام يعرب فصدقها في صحوها الثقلان

ومما يلفت النظر في هذه المقطوعة استخدامها صفة (قحطان) لمجموع الين . وقحطان اسم قبيلة معروفة في أنحاء وادي الدواسر أقامت مملكة كان ملوكها في معظم المراحل ، إن لم يكن كلها ، من كندة^(٩) أصحاب قرية ذات كاهل كما تقول النقوش السبئية والتي يعرف موقعها اليوم باسم (قرية الفاو) .

(٩) عثرت البعثة الأثرية لجامعة الملك سعود بقيادة الدكتور الأنصاري أثناء الحفر في قرية الفاو على شاهد قبر ملك اسمه معاوية بين ربيعة يصفه بأنه قحطاني وأنه ملك لقحطان . هذا في حين أنه الملك شعأوتر كان يدعى من قبل السبئيين على الأقل ، ربيعة ذي آل ثور ملك كندة وقحطان (J 635, 25 - 28) ، وفي عهد إيل شرح يحضب الثاني كان الملك يدعى مالك بن بد ملك كندة ومذحج وبعض الأعراب (J 2110, 7 - 10) .

وفي مقطوعة أخرى منسوبة إليه أيضاً يقول كليب :

| | |
|-------------------------|----------------------------|
| دعاني داعياً مضر جميعاً | وأنفسهم تبدانت لاختناق |
| فكانت دعوة جمعت نزاراً | ولمّت شعثها بعد الفراق |
| أجنبنا داعياً مضر وسرنا | إلى الأملاك بالقب العتاق |
| عليها كل أبيض من نزار | يساقى الموت كرهاً من يساقى |
| أمامهم عقاب الموت يهوي | هوي الدلو أسلمها العراقي |
| فأردينا الملوك بكل غضب | وطار هزيمهم حذر اللحاق |
| كأنهم النعام غداة خافوا | بنذي السلان قارعة التلاقي |
| فكم ملك أذقناه المنايا | وأخر قد جلبنا في الوثاق |

وإذا كانت المقطوعة الأولى تحدثت عن شفاء نفسه من (ذل حمير) ، ويعني غالباً التبابعة وقومهم ، في يوم خزاز ، فالمقطوعة الثانية هذه تركز على اجتماع (نزار) وقتلها (الأملاك)^(١٠) بنذي السلان . والسؤال هو هل نحن أمام يومين انتصرت فيهما (نزار) على الين ، أم هو يوم واحد ؟

(١٠). جاء في موسوعة الشعر العربي المجلد ٣ ، اختيار وشرح مطاع صفدي وإيليا حاوي ، بيروت ١٩٧٤ ص ٥٦ هـ ٣ و ٤ : « الأملاك : أقبال الين » ولا ندري لماذا يكون الأمر كذلك حتى لو كان القتلى من الأقبال . فأملك هي غالباً (أملك) في النقوش كما في (J 2110, 7) مثلاً المستشهد به أعلاه بالنسبة للموء شامه ، وهي جمع ملك لا أكثر ولا أقل . ومعلوم أنه لم يقتل ملك حميري معروف (١١).

الإخباريون مختلفون حول ذلك ، ولكن رأياً أورده ياقوت في معجم البلدان (مادة السلان) يجعل من المحتمل أننا أمام يوم واحد ، وهو ما نرجحه ، فهو يقول :

« السلان فيه ماء وحلفاء ، وكان فيه يوم بين حمير ومذحج وهمدان ، وبين ربيعة ومضر . وكانت هذه القبائل من اليمن بالسلان وكانت نزار على خزاز وهو جبل بإزاء السلان وهو فيما بين الحجاز واليمن والله أعلم » .

وقد ذكر خزاز والسلان في أشعار منسوبة إلى شعراء آخرين منهم السفاح الثعلبي وزهير بن جناب ممن قيل إنهم اشتركوا في المعركة كقادة . وإذا كان هناك من يشك في صحة ذلك الشعر فإن شعر

= في وسط الجزيرة ، ولكن ماذا يمنع من أن يبالي الشاعر أو يخطئ في استخدام مصطلح ما علماً بأن لقب ملك قديم عند العرب ويعود إلى الألف الأول قبل الميلاد على الأقل ، كما أن لقب قيل معروف أيضاً واستخدم في الشعر . وفي شعر منسوب إلى الأعشى نراه يستخدم لقب قيل للأمراء من الفرس تماماً كما فعلت نقوش نينية بالنسبة إلى الأمراء من الأحباش فهو يقول :

فجاء القيل هامرزا عليهم يقسم القسما
كما يقول :

قتلنا القيل هامرزا وروينا الكثيب دما
(ديوان الأعشى ، بيروت بلا تاريخ ص ١٩٤) وفي قصيدة في ديوان أوس بن حجر (بيروت ١٩٦٧) جاء قوله :

« أم من يكون خطيب القوم إن حفلوا لدى ملوك أو في كيد وأقوال »

المهلل ، أخي كليب ، الذي تعرض فيه لخزاز له جرس يشي
بالصدق . ففي إحدى بكائياته المطولة على المهلل يقول :

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| إلى رئيس الناس والمرجى | لعقدة الشد ورتق الفتوق |
| من عرفت يوم خزازي له | علياً معد عند أخذ الحقوق |
| إذ أقبلت حمير في جمعها | ومذحج كالعارض المستحقيق |
| وجمع همدان له لجة | وراية تهوي هوي الأنوق |
| تلمع لمع الطير في راياته | على أواذي لـج بحر عميق |
| فاحتل أوزارهمو أزره | برأي محمود عليهم شفيق |
| وقد علتهم للقتا هبوة | ذات هياج كلهيب الحريق |
| فقلد الأمر بنو هاجر | منهم رئيساً كالحسام البريق |
| مظطلعاً بالأمر يسموله | في يوم لا ينساغ حلق بريق |
| ذاك وقد عن لهم عارض | كجنح ليل في سماء بروق |
| فانفجرت عن وجهه مسفراً | منبلجاً مثل انبلاج الشروق |
| فذاك لا يوفي به غيره | وليس يلقي مثله في فريق |

ونفهم من هذه الآيات التي تشع صدقاً أن قوات الين يوم
(خزاز) أو (خزازي) كانت مكونة من جمع حمير ومن مذحج وجمع
همدان . ونفهم من إضافة (جمع) بالنسبة إلى حمير وهمدان أن
الجماعتين تتكون من شعوب أو قبائل متعددة^(١١) . وهذا يتماشى مع
(١١) مع افتراض وجود قبيلة اسمها حمير كسباً وحضرموت وقتبان مثلاً وأنها منحت =

مانعرفه من النقوش عن أوضاعهما ، وعن قوات التبابعة حين تتحرك في أنحاء شبه الجزيرة .

هذا ولما كان يوم خزاز من مفاخر التغلبين كغيرهم من معد لم ينس عمرو بن كلثوم أن يذكره في معلقته بإيجاز اقتضاه المقام الذي كان يعدد فيه أمجاد قومه وأبطالهم ، فقد اكتفى بقوله :

ونحن غداة أوقد في خزازي رفدنا فوق رفد الرافدين
رابطاً بين إيقاد النار في جبل خزاز ورفد قومه إلى جانب رفد الآخرين دون أن يحدد من هم الآخرون ، وهم لاشك من معد أو نزار . والبيت في حد ذاته لا يربط المعركة بخزاز الذي أوقدت عليه النار كما تقول الروايات لدعوة نزار إلى الحرب مما قد يزكي الرأي القائل بأن خزاز والسلان موقعان متصلان بمعركة واحدة ، ربما كان مسرحها السلان وحده ، ومن ثم قولنا يوم خزاز والسلان .

٤ - يوم حُجر :

ولا شك أن هزيمة اليمين في خزاز والسلان أواخر القرن الخامس

= اسمها لقبائل ولدينا من النقوش عبارة (شعوب حمير) للقبائل المحاربة تحت راية ملوك حمير مثلاً .

أما همدان فاسم أسرة الأقيال في حاشد وقد أخذ نفوذهم يشمل قبائل أخرى ابتداء من أواخر القرن الثالث . وفي أيام أبرهة على الأقل ظهرت عبارة (شعوب ذي همدان) أي القبائل التابعة للأقيال بني أو أدواء همدان .

للميلاد غالباً كانت فاتحة هزائم أخرى لهم ، أو لأنصارهم في وسط الجزيرة ، وذلك بعد أن اضطربت الأحوال في دولة التبابعة الحميرية ، وأدت الصراعات الداخلية بعد عام ٥١٥ م إلى قيام ثورة عارمة شارك فيها بقوة ملحوظة اليزينيون ، الذين استفحل أمرهم منذ عام ٥١٠ م على الأقل^(١٢) . وكانت الثورة تحت قيادة يوسف أسأر يثأر المتلقب بملك كل الشعوب والمعروف عند الإخباريين ببذي نواس . ورغم استعراض القوة الذي مارسه الملك وأنصاره في الشمال إلى ما وراء نجران عامي ٥١٦ و ٥١٧ م^(١٣) إلا أن تهديد الأحباش لهم في عقردارهم شل أيديهم عن المناطق الشمالية ، فكان على الجيل الثالث من أسرة حجر آكل المرار ، أيام حفيده الحارث بن عمرو المتوفى حوالي عام ٥٤٠ م أن تواجه مصيرها دون دعم يذكر من حمير ، وخاصة بعد أن أسفرت فتن الين الداخلية عن غزوة حبشية ناجحة عام ٥٢٥ م أفضت إلى مقتل ذي نواس ووضعت على العرش صنيعة يزنية

(١٢) انظر على سبيل المثال :

M.A. BAFAQIH, New Light on the Yezanite Dynasty in PSAS, 1979 vol.

9. p. 5 - 9.

وفي العربية السعيدة كأعلاه ص ٩٢-٩٣ ، ج ١

(١٣) محمد عبد القادر بافقيه : (اليزينيون الجدينيون من القبالة إلى الملك) في هذا الكتاب .

للأحباش هو سميع أشوع الذي لم يطل به المقام في الحكم بل ذهب ضحية انقلاب قصر قاده أبرهة بدعم من أقبال يمينين^(١٤) .

في هذه الفترة اتبع ملوك كندة سياسة جديدة فرضتها الظروف ، وصاحبها تقديرات خاطئة من الحارث بن عمرو إذ اختار الاعتماد على قباذ ملك الفرس ونصير المزدكية في بلاده ، فوصل بذلك - كما يقال - إلى عرش الحيرة التي رفض ملكها المنذر الثالث (٥٠٦ - ٥٥٤ م) مسايرة قباذ . ولكن وصول أنوشروان المعارض لحركة مزدك إلى عرش فارس أدى إلى استعادة المنذر لعرشه . وبدأت بعدها مطاردة طويلة لبني آكل المراكذ أن تفنيهم .

وكان الحارث في أوج انتصاراته أيام قباذ قد توصل إلى تفريق أولاده ملوكاً على قبائل عدة .

- فحجر ، والد امرئ القيس ، أصبح ملكاً على أسد وغطفان .
- وشرحيل تولى الملك في بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة والرباب .

- ومعدي كرب على قيس عيلان بأسرها .
- وسلمة على تغلب والنمر بن قاسط .

ولكن بموت الحارث أو قتله ، على اختلاف الروايات ، عام

(١٤) كُعلاه .

٥٤٠ م تقريباً دب الخلاف بين بنيه فتساقطوا بأيديهم وأيدي أعدائهم وعلى رأسهم المنذر الثالث ملك الحيرة .

وكان آخرهم هو حجر ملك بني أسد الذي فتك به أتباعه ، ورويت في مقتله حوالي عام ٥٤٨ م روايات رجح الدكتور الطاهر أحمد مكي إحداها ، وهي رواية الهيثم بن عدي ، وذلك في ضوء شعر امرئ القيس ، وشعر عبيد بن الأبرص شاعر بني أسد ^(١٥) .

٥ - أبو يكسوم :

وفما كانت الأحداث تتفاعل بتلك الصورة في الشمال كان أبرهة قد أمسك بزمام الموقف في اليمن منذ ما قبل عام ٥٤٣ على الأقل ^(١٦) . وسرعان ما تطلع إلى استعادة زمام المبادرة في الشمال . وقد حفظت لنا النقوش يؤيدها نص شعري فريد خبر غزوة شمالية له عام ٥٤٧ م .

فالنقش (ريكانز ٥٠٦) يصف حملة على معد حين تمرد كل بني عامر (بن صعصة) فسار إليهم أبرهة بقوات من كندة (الأعراب) وسعد وقبائل أخرى ألحقت ببني عامر مقتلة وأصاب منهم غنائم

(١٥) الدكتور الطاهر أحمد مكي : « امرؤ القيس حياته وشعره » القاهرة ط ٣ ١٩٧٤ ص ٤٦-٤٩

(١٦) انظر بافقيه : أبرهة تبعاً في هذا الكتاب .

كثيرة . ثم قاد أبرهة بنفسه حملة على حلبان استسلمت إثرها معد
وقدمت الرهائن^(١٧) .

وجاء شعر المخبل السعدي مصدقاً لما جاء في النقش المذكور
فهو يقول :

ويوم أبي يكسوم والناس حضر على حلبان إذ تقضى مجامله
طوينا لهم باب الحصين ودونه عزيز يمشي بالحراب مقاوله
وقد اشتهر أبرهة عند العرب بكنيته (أبو يكسوم) نسبة إلى
ابنه الأكبر الذي جاء اسمه في النقوش على صورة أكسوم بالألف تماماً
كاسم المملكة الحبشية المعروفة واسم القبيلة صاحبة المملكة واسم
حاضرتها في أريتريا .

ولا غرابة فاليكسوم في مقابل أكسوم قد تكرر في الشعر الجاهلي
مرات ، وكان يقصد به في إحداها اسم القبيلة (انظر ٦ يوم باقي
الحديث) .

أما أكسوم ، أو يكسوم بن أبرهة فشخصية تاريخية معروفة .
وكان أيام أبيه قتيلاً على ردمان بلقب (ذي معاهر) لقب الأقيال في
تلك المقولة الهامة التي شهدت في تاريخها تقلبات كثيرة منذ لحظة
قيام نظام سبأ وذي ريدان على الأقل .

(١٧) كأعلاه.

ومن الشواهد الشعرية الجاهلية على استخدام عبارة (أبي يكسوم) كناية عن أبرهة قول لبيد :

لو كان حي في الحياة مخلداً في الدهر ألفاه أبو يكسوم
ولكن هناك أيضاً حالة أخرى استخدم فيها اسم (يكسوم) مجرداً وكان يقصد به فيما يبدو الابن الذي حكم بعد أبيه ، وإن كان الجزم بذلك صعباً لغموض في المحتوى . يقول لبيد :

إنَّ أبانَ كان جليواً بشراً
ملئ عمرًا وأربَّ عَمراً
ونال من يكسوم يوماً صهرا
وردَّ إذا كان النَّواصي عُبرا

وعلاوة على كل ما تقدم فإن الهمداني ، الذي يذكر الكثير من الأبرهة واليكسيم ، يذكر لنا أكسوماً هو أكسوم بن الأسود بن ياسر المناخي ، ويقول إن هناك غيره^(١٨) .

٦ - يوم باقي الحديث :

وباختفاء أبرهة جاء الانهيار الأخير فلم يكن أنبأؤه في مستوى الظروف التي كانت تحيط بهم وبالبلاد . ثم أن جانباً كبيراً من الين

(١٨) الإكليل ٢ تحقيق القاضي محمد بن الأكويع ، طبعة ١٩٦٧ ، ص ١٥٧

كان زاهداً في حكمهم قالياً لهم يود الخلاص منهم بأي ثمن .. وكان الثمن باهظاً ، ولم يكن إلا استبدال الفرس بالأحباش .

ولدينا من الشعر الجاهلي مقطوعة حية رائعة تصور زحف الكتائب الفارسية وهي تقترب من صنعاء هابطة إليها من المنقل (أي النقيط بلغة النقوش) ، ولعله (عصر) إن لم يكن (يسلح) ، يراها الأقوال أي الأقيال فرحين وقد تعالت الأصوات تنادي بمطاردة الأحباش الذين يصفهم الشاعر بآل بربر - ويقصد الأحباش الأتباع وهم العنصر الإفريقي ، واليكسوم وهم العنصر السامي ذي الأصول العربية من بينهم - يطاردونهم خشية أن يفلتوا هرباً .

أما صاحب المقطوعة فشاعر عربي من أقاصي الشمال هو عدي بن زيد من بني العباد يوصف بأنه « أول من كتب بالعربية في ديوان الأكاسرة »^(١٩) . ويظهر من وصفه كما لو أنه حضر الواقعة .

تقول المقطوعة بعد مقدمة تمهيدية من أربعة أبيات لاتعينا كثيراً :

ما بعد صنعاء كان يعمرها ولاة ملك جزل مواهبها
رفعها من بنى لدى قزح المزن وتندى مسكاً محاربها
محفوفة بالجمال دون عرى الكائد ماترقى غواربها

(١٩) موسوعة الشعر العربي كعلاه جـ ٤ ، ص ٤٣٧

ينافس فيها صوت النهم إذا جاوبها بالعشي قاصبها
سأقت إليها الأسباب جند بني الأحرار فرسانها مواكبها
وفوّزت بالبغال توسق بالحتف يسعى به توالبها
حتى رآها الأقوال من طرف المنقل مخضرة كتائبها
يوم ينادون آل بربر واليكسوم لا يفلتن هاربها
فكان يوم باقي الحديث وزالت أمة ثابت مراتبها
وبدل الفتح بالزرافة والأيام جون جم عجائبها

٧ - يمان ويمانية :

كثيرون هم الشعراء الجاهليون الذين ذكروا أموراً متصلة باليمن
في أشعارهم من قبائل ومرايع ومنتوجات ، بل ورينجاً تهب من جانب
اليمن تدعى رينجاً يمانية كما في قول الحبيب بن عبد الله الهذلي ، وهو
غالب الظن من متصلة هذيل ، يصف فرسه التي هرب بها من
الأعداء فيقول :

كأن جناحه خفقان ريح يمانية يربط غير بال
والربط جمر ريطرة وهي « الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، وقيل
كل ملاءة غير ذات لفتين كلها نسيج واحد ، وقيل هو كل ثوب لين
رقيق » (اللسان) ، وهو الأقرب إلى الواقع ، فيما قال الأزهري
« لا تكون الريطرة إلا بيضاء » (اللسان أيضاً) . والريح في هذا

التشبيه يمانية ولكن الشاعر لم يقل إن الریط يمان وهو ما قاله
أوس بن حجر في مقارنة ربطت بين العرض والریط وذلك حين
قال :

فإننا وجدنا العرض أحوج ساعة إلى الصون من ریط يمان مسهم
ونلاحظ أن الریط الیاني هنا مسهم أي مخطط ، مما يجعل
الریطة ملاءة لا أكثر ولا أقل ، قد تكون بیضاء وقد تكون مسهمة ،
وذلك على خلاف ما ذهب إليه الأزهري . أما أوس الشاعر فمن فحول
الشعراء ، ويكفيه أنه كان بمثابة الأستاذ لزهیر بن أبي سلمی الذي نشأ
في كنف أوس ، هذا وقد حوى شعره إشارات أخرى إلى الین سنأتي
إليها .

على أننا إذا أردنا استقصاء كل مانسب إلى الین من أشياء في
الشعر الجاهلي وعد يمانياً فلن يتسع له مجال هذا المقال . وهو يكثر في
وصف أنواع الأسلحة وأدوات الحرب كما في قول عمرو بن كلثوم ، على
سبيل المثال حيث وصف الیلب (نسیج یلبس تحت الخوذة) :

علینا البیض والیلب الیانی وأسیاف یقمن وینحنینا
ولا ندري هل كانت الأسیاف المذكورة يمانية أيضاً فالسیوف
الیمانية مشهورة ، وكان سیف الشنفری ، صاحب لامية العرب منها ،
فهو یقول :

وإنك لتدرين أن رب مشرب مخوف كداء البطن أو هو أخوف
وردت بمأثور يمان وضالة تخيرتها مما أريش وأرصف
وإذ نحن في حديث السلاح فلا ضير في أن نقول بأن الدروع
وصفت أحياناً بأنها تبعية ، وأنه قيل عن بعض القنا أو نصالها إنها
يزنية ويزانية . فهذا هو النابغة الذبياني ، وما أدراك ها النابغة
الذبياني ، يقول مادحاً وواصفاً جملة عتاد الحارث الغساني :

وكل صموت ثلثة تبعية ونسج سليم كل قضاء ذائل

وهما هنا على ما يبدو نوعان من الدروع . صموت (قيل في
شرحها إنها لينة) وثلثة (أي سابعة) . وهذه هي الدرع التبعية . أما
الأخرى فنسوبة إلى سليمان النبي (سليم مرخماً) ، وهي محكمة صلبة
(قضاء) طويلة (ذائل) . ومثل ذلك قول المزرد بن ضرار الذبياني
أيضاً :

ومسفوحة فضفاضة تبعية وأها القتير تجتويها المعابل
دلاص كظهر النون لا يستطيعها سنان ولا تلك الحظاء الدواخل
موشحة بيضاء دان حبيكها لها حلق بعد الأنامل فاضل
مشهرة تحنى الأصابع نحوها إذا جمعت يوم الحفاظ القبائل^(٢٠)

(٢٠) انظر المفضليات تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام محمد هارون القاهرة ، طه
بلا تاريخ القصيدة ٢٨/١٧ - ٤١

وقوله يصف نسيجاً من حلق يلبس تحت البيضة :

وتسغة في تركة حميرية ولامصة ترفض عنها الجنادل
كأن شعاع الشمس في حجراتها مصاييح رهبان زهتها القنادل

وغير واضح لنا سبب التفريق هنا بين تبعية وحميرية فالتبابعة حميريون^(٢١) ، ولكن لعل شاعزنا أراد التنويع وحسب ، فهو من عصر قريب عهد بالتبابعة وآخرهم كما قلنا أبرهة على الأقل^(٢٢) . على أن اسم تبع لم يرد في النقوش المعروفة ، ولكن وروده في القرآن الكريم يؤكد صحة ما جاء في الشعر الجاهلي متواتراً . وقد ربط الشعراء بين الدروع وتبع كما ربطوا بينها وبين سليمان النبي - الملك وأبيه داود - فهذا هو أبو ذؤيب الهذلي يقول :

وعليهما ماذيتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

ولقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال : « ولا تسبوا تبعاً - ويقصد تبع الذي ذكر بلبقه في القرآن - فإنه أول من كسا الكعبة » . وهو ما يذكرنا بقول قيس بن الخطيم (من الأوس) :

والله ذي المسجد الحرام وما جلل من يمنة لها خنف

(٢١) انظر محمد عبد القادر بافقيه : (الحارث الرائي ونسبه المختلف فيه) في هذا

الكتاب . (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) كأعلاه الموجز فقرات ٦ - ٢

٣ و ١٠٧

(٢٢) انظر بافقيه (أبرهة تبعاً) كأعلاه .

والينة ضرب من برود الين ، وأما الخنف فحواشٍ كحواشي
السباعيات^(٢٣) .

وإذا عدنا إلى أبي ذؤيب فسنجد عنده إحدى الإشارات إلى
القناة اليزنية حيث يقول :

وكلامهما في كفه يزنية فيها سنان كلنارة أصلع
(المفضليات ٦٢/١٢٦)

وقد جاءت يزنية هنا مخففة كما تعودنا عليها ، ولكن عدي بن
وداع من شعراء الأزدي^(٢٤) أوردتها كما نعهدها في النقوش في ألقاب
الأقيال ، أي يزأن ، التي تكون النسبة إليها يزانياً وذلك في قوله :
فأرخت القناة ويزانياً على الأكفال بالطعن المعاق
مفرقاً بين القناة وسانها ، فاليزني أو اليزأني الذي يشير إليه
الشعراء هو ، أغلب الظن ، السنان الذي يركب في القناة ، وهو
منسوب إلى اليزنيين الأقيال ، فالملوك فالأقيال . أما القناة فعود نبتة

(٢٣) محمد عبد القادر بافقيه : (يمينة الحلقة المفقودة في سلسلة اللقب الملكي - الحيري) في

كتاب مهدي إلى العالمة ماريّا هوفنر بعنوان (الهدهد) جزار ١٩٨٠ م . وكذلك

في العربية السعيدة كأعلاه ص ٥٢ وهامش ٤

(٢٤) كأعلاه ص ١٣٣ وما بعدها ، د . يحيى الجبوري : (قصائد نادرة) بيروت ١٩٨٢

ص ٦٣ (٢٩) .

قد يُثَقَّف وقد لا يحتاج إلى كثير تثقيف ، وهو لصنعة الله . ومن ثم قول المتنبي :

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا
هذا وقد وصف الشعراء كثيراً من رجالات الين من الشخصيات التاريخية المعروفة بأنهم يمانيون . ومن ذلك ما جاء عند المتلمس متحدثاً عن قيس بن معدي كرب أبي الأشعث بن قيس الكندي حيث يقول :

إذا بلغت قيس اليماني ناقتي فأني خليل بعد قيس تلمس ؟
وفي مقطوعة أخرى له من الروي نفسه تروى منفصلة عن أختها هذه ولعلهما كانتا متصلتين جاء تعريضه بعجز أحد التبابعة عن إسقاط حصن في اليامة اسمه (الجون) . وذلك في قوله :

ألم تر أن الجون أصبح راسياً تطيف به الأيام ما يتأيس
عصى تبعاً أيام أهلكت القرى يطان على صم الصفيح ويكلس^(٢٥)

وقد أطلق وصف اليماني على أبرهة الذي اعتلى عرش التبابعة بدعم

(٢٥) أقدم غارات التبابعة في تلك الأنحاء هي التي وردت في (نقش عبدان الكبير) قبيل منتصف القرن الرابع . وفي الأخبار روايات عن تبع متأخر غزا تلك الأنحاء .

يعني^(٢٦) ، وكان من أشهر ملوك القرن السادس . ففي الجزء الثاني من الإكليل أورد الهمداني بيتاً من الشعر نسبته إلى قيس بن الخطيم ، ولكنه اعتبر المقصود بالشعر قليلاً من أقيال الين اسمه (أبرهة) ولم يقل إنه الملك المعروف^(٢٧) . والبيت هو :

فإن نلحق بأبرهة اليماني أو النعمان يوجهنا وعمر
على أن قيساً اليماني والد الأشعث المتقدم ذكره حظي لكرمه
بعناية الشعراء ، وقد تذكره عبد يغوث بن وقاص الحارثي في محنته
حين أسر في يوم الكلاب الثاني وتقرر قتله فقال في رثائه التي
أنشدها وهو يموت :

ألا لا تلوماني كفى اللوم مايبا ومالكما في اللوم خير ولا ليا
ألم تعلم أن الملامة نفعها قليل وما لومي أخي من شماليا
فيا راكباً إما عرضت فبلغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا
أبا كرب والأيمين كليهما وقيساً بأعلى حضرموت اليمانيا

وأبو كرب والأيمهان ، كما يقول الشراح ، من سادات نجران ،
وأحد الأيمين هو عبد المسيح بن الأبيض الملقب بالعاقب (عن ابن
الأثير عن المفضليات) ، والثاني لعله الملقب بالسيد ، وقيس هو

(٢٦) انظر (في العربة السعيدة) كغلاء ص ١٠٠ وما بعدها ، ج ١

(٢٧) الإكليل ٢ كغلاء ص ١٥٨ - ١٥٩

صاحبنا ، وقد صرح الشاعر بأنه بأعلى حضرموت ، وأعلى حضرموت
الوادي . يقع في غربه وفيه ديار كندة التي انكفأت إليها من الشمال .
ولقد حظيت نجران ، تلك المدينة التجارية التاريخية المتفردة
موقعاً ، وأحياناً موقفاً ، والمحافظة دوماً على انتعاشها الاقتصادي عبر
الأزمنة ، حظيت بعناية الشعر الجاهلي ، ربما لوقوعها على الطريق
إلى قلب الين . ومن ذكرها طرفة بن العبد ، وقد قرنها بتثليث .
وكانت ديار مذحج في ذلك العصر تقع بين تثليث ونجران . يقول
طرفة :

أُتعرِفَ رِسمَ الدارِ قُفرَ مَنازلِهِ كَجَفنَ الِيامِني زُخرفَ الوِشي مائِلِهِ
بِتثليثٍ أو نِجرانٍ أو حيثُ تلتقي من النِجدِ في قِيعانٍ جَاشٍ مِائلِهِ
وَجَفنَ الِيامِني هو غَمدُ سِيفِهِ . وكان الِيامِنيون كَثِيري المِتاَعِ مِمّا
يَلِفَتِ النَظرَ كما سَرى .

وإذا عدنا إلى قيس بن معدي كرب فس نجد الأعشى قد أولع
بمدحه . ومن ذلك ما جاء في قصيدته النونية التي بدأها بالشكوى من
طول الزمان :

لعمرك ما طول هذا الزمن على المرء إلا عناءٌ معن
وذكر (ذا يزن) من جملة الذين أزالهم الزمن :

أزال أذينة عن ملكه وأخرج من حصنه ذا يزن
ثم خلص إلى ممدوخه :

تيمت قيساً وكم دونه من الأرض من مهمه ذي شزن
ليقول بعد استطراد :

ولكن ربي كفا غربتي بحمد الإله فقد بلغن
أخا ثقةً عالياً كعبه جزيل العطاء كريم المنن
كريمًا شأله من بني معاوية الأكرمين السنن
وفي كرمه :

هو الواهب المئة المصطفاة كالنخل زينها بالرجن
وكل كيت كجذع الخصا ب يرنو القناء إذا ماصفن
ومن شأله أنه :

هو الواهب السمعات الشرو ب بين الحرير وبين الكتن
والقصيدة كما يعرضها ناشر ديوان الأعشى المجهول (طبعة صادر
بيروت) تتكون من جزأين بينهما فاصل لم يكلف الناشر المذكور
نفسه عناء تفسيره . ولكن بيتاً في الجزء الأخير يبدو قلقاً إذ يقول
الأعشى :

ونبتت قيساً ، ولم أبْلُهُ كما زعموا خير أهل الين
إذ لا يستقيم ذلك البيت في موضعه الذي نشر فيه مع ماسبقه
من مدح . فهل كان الجزء الأخير من قصيدة مستقلة أم ترى أن
موضع البيت هو المشكلة ؟

في كل الأحوال فإن القصيدة أو القصيدتين ترجعان ، أغلب
الظن إلى فترة اتصال الأعشى بقيس لأول مرة .

وهناك قصيدة أخرى (حسب ترتيب القصائد في الديوان
المذكور) وهي من نفس الروي جاء فيها بعد مقدمة طويلة :

| | |
|------------------------|------------------------------------|
| عدّ هذا في قريض غيره | واذكرن في الشعر دهقان الين |
| بأبي الأشعث قيس إنه | يشترى الحمد بمنفوس الثن |
| جئته يوماً فأدنى مجلسي | وحباني بلجوج في السنن |
| وثمانين عشاراً كلها | أركات في بريم وحضن ^(٢٨) |
| وغلام قائم ذي عدوة | وذلول جصرة مثل الفدن |

(٢٨) عن بريم وحضن قال الشارح كعادة الشراح إنها موضعان مفسراً الشيء بالشيء ذاته . ولا نعرف موضعاً بأي من هذين الاسمين في وادي حضرموت ، ولكن هناك في النقوش (برم) اسم الجزء الأسفل من يبحان فهل هو المقصود وهل كان ينطق (بريم) ، و (حضن) تذكرنا (بحضن) في (نقش النصر) لكرب إيل وترين دمار علي وهي غالباً المنطقة التي تعرف بالحاضنة التي تقع فيها عتق أغلب الظن .

ولم تكن نونية أو نونيات الأعشى كل ما قاله في قيس ، ولكنها
قد تكون أطولها وأفضلها .

وتلفت نظرنا مقطوعة أخرى صغيرة في الديوان جاء فيها
قوله :

ويا حبذا وادي النجير وحبذا قيس الفعال

ووادي النجير هذا لا بد أن يكون في الغرب من وادي حضرموت
حيث منازل كندة آنذاك . وفيه كان أغلب الظن حصن النجير الذي
احتمت به كندة حين ارتدت^(٢٩) ، فالنجير التي في الشرق إنما تقع في
ديار حضرموت القبيلة وسيدها آنذاك مسروق بن وائل الذي مدحه
الأعشى في قصيدة مطلعها كما جاء في الديوان :

قالت سميّة من مدحت فقلت مسروق بن وائل

ثم قال إن سيلا أظن في وصفه ليس :

يوماً بأجود نائلاً ملحزومي أخي الفواضل^(٣٠)
وذكر تريم حيث قال :

(٢٩) انظر ما يقوله صالح بن علي الحامد في تاريخ حضرموت جدة بلا تاريخ ج ١
ص ١٥٥

(٣٠) ملحزومي أي من الحزومي .

طال الثواء لدى تريم وقد نأت بكر بن وائل

ولكن ترتيب أبيات هذه اللامية محير جاءت كما اتفق ولم يبذل
ناشرها أقل جهد في عرضها . وهناك لامية أخرى يقول الناشر إنها في
مدح قيس ولكن الذي نراه فيها (ملك بشبوة) كما جاء في مطلعها :

هل أنت يامصلات مبتكر غداة غد فراحل
إننا لدى ملك بشبوة ماتغب له النوافل

ومهما يكن من أمر فإن الديوان به قصائد مدح في حكم آخرين
من العرب منهم سلامة ذو فائش من الحميريين . وفيه قال بعد غزل
ومجون ووصف طويل للطريق والراحلة :

تؤم سلامة ذا فائش هو اليوم حم لميعادها
وكم دون بيتك من صفصف ودكداك رمل وأعقادها
ويهماء بالليل غطشى الفلا ة يؤنسي صوت قيادها
ووضع سقاء وإحقابه وحلّ حلوس وإغمادها
فإن حمير أصلحت أمرها وملت تساقى أولادها
وجدت إذا اصطلحوا خيرهم وزندك أثقب أزنادها
وكل هذا الشعر الحافل بذكر مواضع في اليمن - إذا صح^(٣١) - فإنما

(٣١) نقول هذا من قبيل الحذر إذ أننا لم نقم بتحقيق النصوص كما ينبغي فهذا عمل
يحتاج إلى وقت .

يصور ما قاله الأعشى عن ترخاله في طلب المال فقد نسب إليه قوله :
وقد طفت للمال آفاقه عُمان فحمص فـأورشلم
بل :

وقد طفت ما بين بانيقيا إلى عدن وطال في العجم ترحالي وتسياري
فهل بلغ حقاً (منتهى البين) - عدن ؟

إن شعرو المديح عرضة لأن يدس فيه كلام منحول إن لم ينتحل
كله من الأساس .

ومع ذلك فليس هذا هو الذكر الوحيد لعدن في شعر جاهلي
فهنالك ، على الأقل ، قول أفنون التغلبي على ما فيه :

سألت قومي وقد سدت أباعرهم ما بين رحبة ذات العيص والعدن

حيث أراد بالعدن (مدينة عدن) أدخل عليها حرف
التعريف ، كما نص عليه ياقوت ، ولم ينص عليه في المعاجم على حدِّ
قول الشارح في المفضليات (القاهرة ، ط ٥ ، ص ٢٦٢) ، أما رحبة
ذات العيص فلعلها حقاً رحبة صنعاء (انظر الديوان) .

هذا وقد أورد الهمداني شعراً كثيراً منسوباً إلى الأعشى مما جاء في
الديوان المذكور أو لم يحى ، وأهمه ما جاء في سلامة ذي فائش الذي
هو عنده ذو فائش الأصغر (الإكليل ٢ ط ١٩٦٧ ص ١٩٥) ، وذكر

من المواضع التابعة له ريمان الذي ذكر في شعر شعراء آخرين وإرباب
في رأس جبل آدم من يحصب العلو وهو رأس صبر كما يقول الهمداني ،
وصبر هو المعروف اليوم بسمارة .

ويبدو ريمان في شعر لأوس بن حجر مكاناً منيعاً فهو يقول :

ولو كنت في ريمان تحرس بابه أراجيل أحبوش وأغضف ألف
إذن لا تقني حيث كنت منيتي يحب بها هاد لإثري قائف
وهو المعنى نفسه الذي أورده بأسلوب آخر الشمر بن عمرو
الحنفي :

لو كنت في ريمان لست بيارح أبداً ، وسد حضاضه بالطين
لي في ذراه مآكل ومشارب جاءت إلي منيتي تبغيني
وهذا التوارد إنما يؤكد لنا صحة ذبوع سمعة هذا المكان المنيع
ويدل على أنه كان حصناً .

ولكن ماذا عن أجمل المدن العربية القديمة ، مارب^(٢٢) ، حتى

(٢٢) عبارة (أجمل المدن العربية) جاءت عند كاتب كلاسيكي كان بطريرك
القسطنطينية ما بين ٨٥٧ و ٨٨٦ م . انظر ترجمة إنجليزية لذلك في كتب :

N.Groom, Frankincense and Myrh, London, 1981, 71

وإن كان قد قفى أو عفى على آثارها انهدام العرم كما يقول
الأعشى^(٣٣) .

ولدينا من قصيدة لسلامة بن جندل قوله :

ألا هل أتت أنباؤنا أهل مارب كما قد أتت أهل الديار والخورنق
بأننا منعنا بالفروق نساءنا وأنا قتلنا من أتانا بمأزق
وأن لنا وقد طال تطوافنا في مغاني الشعر أن نفصّ ختام حقة
حميرية يكون عطرها مسك ختام الكلام . وأين ترانا نجد ذلك إن لم
يكن عند من يقول :

وريح سنأ في حقة حميرية^(٣٤) تخص بمفروك من المسك أذفرا
وبانأ وألويأ من الهند ذاكياً ورنداً ولبنى والكباء المقترا

إنه امرؤ القيس بن حجر ، الملك الضليل وأمير الشعراء ، وفي

(٣٣) جاء هذا في قصيدة المحيرة التي ذكر فيها أوريشلم في أبياتها الأخيرة :

ففي ذاك للمؤنسي أسوة ومأرب قفا عليها العرم

(٣٤) يقول شارح الديوان (ديوان امرئ القيس) الذي حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ،
القاهرة من غير تاريخ ٥٩ هامش ١٢ : « وخص الحقبة الحميرية إلا أن أكثر ملوك
العرب من حمير فحققتهم تخص بأطيب الطيب » . وهو شرح لا يفيد علماً إن لم
يُضَلْ فالحقبة الحميرية ليست بالضرورة حقبة الملوك ، وفي المتاحف أنواع من
الأوعية التي استخدمت للطيب . وكان قدماء اليمنيين يعنون باختيار مادة الحقبة
بحيث تحفظ أريج المادة من التبخر وهذا ما عناه الشاعر .

هذين البيتين قائمة بأنواع الطيوب التي صنعها الياونيون أو تاجروا فيها وعرفوا بها في كل ديارهم من عدن (مقط التراب) حتى ديار كندة الأصلية في أرض قحطان ، وحيث كانت قريتهم قرية ذات كاهل إحدى المراكز الرئيسة على طريق البخور .

وفي بيته الثاني نجد الرند واللبني اللذين يذكراننا بالمقاطر ، أي المباخر الأثرية في متحف عدن ، والتي حفرت عليها ألفاظ بالخط المسند هي :

رند (٤٦)

لبني ١٦٧١

ألم نقل إنها أمة واحدة ولغة واحدة وتاريخ واحد ؟

واسألوا المستشرقين إن كنتم مستغربين !

لقد عاش امرؤ القيس في عصر كان فيه جانب من قومه قد استقروا في حضرموت^(٣٥) ، ومنهم ، أغلب الظن ، خاله ابن كبشة الذي ذكره هو في شعره حيث قال :

(٣٥) لانستبعد أصولاً حضرمية لكندة وهي أسرة الملوك في قرية (الفاو) التي تنتسب إلى جد أعلى اسمه ثور كما يقول علماء الأنساب ، وكما يلمس من نقش ذكر الملك ربيعة ملك كندة وقحطان إذ جعله من آل ثور وهو ملك معاصر لشعر أوتر الهمداني - السبيعي كما تقدمت الإشارة (هامش ٩ أعلاه) . لانستبعد ذلك إذ

خالي ابن كبشة قد عرفت مكانه وأبو يزيد ورهطه أعمامي
والذي يرى البعض أنه يزيد بن كبشة عامل أبرهة في العبر
(C.541) .

وهو ما قد يفسر قول امرئ القيس :

كأنني لم أله بدمون مرة ولم أشهد الغارات يوماً بعنديل
وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن تلك الغارات فنحن لا نستبعد لها في
عصر تردت فيه الأحوال . وهذا ما يذكرونا بما زعمه الشاعر الصعلوك
السليك بن السلكة من أنه كان يغير في عمق اليمن كما يظهر من قوله :
وأذعر كلاباً يقود كلابه ومرخة لما أقتبسها بمقنب^(٣٦)
وكنا قد تحدثنا عما آل إليه حال حجر والد امرئ القيس
وأعمامه . ولقد بكى شاعرنا الأعمام والأهل ، ولكنه سعى إلى الأخذ

= ثبت وجود جالية حضرمية قديما في قرية . وإذا صح ذلك أو لم يصح فإن كندة
التي وجدت في حضرموت ربما منذ القرن الرابع وبصفة مؤكدة في القرن السادس
إنما هي من الملوك وأتباعهم الذين ينطبق عليهم وصف أعراب كندة كما هو حال
(أشعب ذي همدان) ، وهم أساسا القبائل التابعة للأقبال بني همدان .
(٣٦) هذا تصحيح منا لمرجة (اللسان مادة مرج) إذ نرى أنها تصحيف مرخه وينبغي
أن تكون في مادة مرخ .

بثأر أبيه حتى مات . وقد ذكر مسعاه ذاك في رائيته التي استشهدنا
أنفاً بييتين منها فقد جاء فيها :

عليها فتى لم تحمل الأرض مثله أبر بميثاق وأوفى وأصبرا
هو المنزل الآلاف من جوّ ناعطٍ بني أسدٍ حزنًا من الأرض أوعرا
ولو شاء كان الغزو من أرض حمير ولكنه عمداً إلى الروم أنفرا
وهو القائل في مناسبة أخرى ، وبالروي نفسه متذكراً أمجاد
أبيه :

ويغزو بأعراب اليمانين كلهم له أمرهم حتى يحل المشقرا
ولأعراب اليمانين هذه دلالة كبيرة فهي تعني أن القبائل البدوية
التي كانت تقاتل إلى جانب الملوك وتتكون منهم أحياناً قوات شبه
رسمية في جيوش الممالك اليمنية القديمة وجيش الأعراب الحميري الكبير
إنما هي من الين ، ولهذا نرى في قوله (أعراب اليمانين) هذا الرد
الذي طالما بحثنا عنه لإقناع الذين يزعمون أن الأعراب الذين ذكروا
في النقوش اليمنية أعراب قادمون من المناطق العدنانية ، باحثين في
ذلك عن حجة لا وجود لها يدعمون بها زعماً غريباً يقصر العروبة
والعربية على العدنانيين .

هذا ولعل قمة اعتزازه ببيانته أبياته التي تقول :

تطاول الليل على دمون دمون إنا معشر يمانون
وإننا لأهلها محبون

ولا يطعن في صدق نسبة هذا الشعر إلى شاعرنا أننا لا ندرى أي
دمون يعني^(٣٧) ؟ فنحن نعرف أن ما يذكره من مواقع في الين إنما
يذكره عن خبرة . ولعله قد ارتاد ديار همدان التي ذكر منها ناعط
وديار حمير ومنها هكر التي وردت في تشبيهاته كما في قوله :

هما نعجتان من نعاج تبالة لدى جوذرين أو كبعض دمي هكر
وهكر مدينة ذكرت في حروب إيل شرح يحضب الثاني وكرب
إيل أيفع في نقوش سبئية وحميرية عبرت عن وجهتي نظر الجانبين في
حروبها قبل اتحادهما الأخير في القرن الثالث .

وفي القصيدة ذاتها نراه يقول :

لعمرك ما إن ضرني وسط حمير وأقيالها إلا الخيلة والسكر
وغير الشقاء المستبين فليتني أجر لسانی يوم ذلکم مجر
وهو ضرب من نقد الذات لا يعرفه إلا الأقوياء . وقد قال
الشراح إنه أراد أن يفسر بذلك خذلان حمير له^(٣٨) . ولكننا نرى فيه

(٣٧) ينطبق على دمون ما ينطبق على النجير (انظر هامش ٢٩ أعلاه) .

(٣٨) انظر الديوان كأعلاه .

أيضاً دليلاً على مخالطته لهم ، وهو ما قد يفسر تشبيهاته من مثل :
وماذا عليه إن ذكرت أوانساً كغزلان رملٍ في محاريب أقيال
وهي عندنا تماثيل غزلانٍ وليست غزلاناً يريها الأقيال أو حتى
الملوك^(٣٩) . تماثيل من نوع التماثيل والدمى التي تزين القاعات في
القصور^(٤٠) .

وأخيراً لتأمل تتبعه لنشوء المطر وتجمع السيل وتدفعه حتى
ساح في صحراء الغبيط إذ لم يجد ما يشبه انتشاره ذاك مع ما جره في
طريقه من أشياء إلا نزول التاجر الياني يحيط به الأتباع ويتناثر
حولهم أنواع المتاع :

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| أحار ترى برقاً كأن وميضه | كلمع اليدين في حبيٍّ مكَلَّل |
| يضيء سناء أو مصايح راهب | أهان السليط في الذبال المقتل |
| قعدت له وصحبتى بين حامر | وبين إكام بعد ما متأملي |
| وأضحى يسح الماء عن كل فيقة | يكب على الأذقان دوح الكنهبل |

(٣٩) الشراح يخلطون بين قيل وملك وينسون أو يجهلون أن القبالة مرتبة دون الملك ، انظر ١٧ Le YEMEN ، أو (مختارات من النقوش اليمنية القديمة) الموجز

(٤٠) انظر محمد عبد القادر بافقيه : (لحات من أعمال الصيانة والترميم في الين القديم)
في دراسات يمنية ، عدد ٣٦ ، صنعاء أبريل - يونيو ١٩٨٩ م ، ص ٥٦ - ٥٨

وتياء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطماً إلا مشيداً بجندل
كأن طميّة المجير غدوة من السيل والغثاء فلكة مغزل
كأن أباناً في أفانين ودقه كبير أناس في بجادٍ مزمل
وألقي بصحراء الغبيط بعاعه نزول الياني ذي العياب الخول^(٤١)

هذا إذن هو بعض ما حفظه لنا الرواة من ذكر الين في الشعر الجاهلي . وهو - كما هو واضح - لا يكاد يخرج عن نطاق القرن السادس الميلادي . فأقدمه كما يبدو متصل ببداية ارتقاء قبضة التبابعة على القبائل النزارية المعدية ، وأحدثه قريب من صدر الإسلام أو معاصر له وخاصة شعر الأعشى . والقرن السادس بعد الميلاد هو الفترة التي شهدت بلورة شكل القصيدة العربية وليدة نهضة الشعر الجاهلي وعلامتها البارزة بعمودها المعروف الذي ارتكز عليه بناؤها الفني .

والسؤال الذي لا مفرّ منه هو ماذا عن شعر القرن الخامس وما قبل الخامس ؟

والجواب هو أنه ضاع فيما ضاع من تراث العرب الفكري والأدبي أولم يكتشف بعد .

(٤١) انظر الديوان كأعلاه .

على أنه لدينا من المصادر الأجنبية إشارة لطيفة إلى الشعر العربي في القرن الرابع الميلادي ، ففي مؤلف من النصف الأول من القرن الخامس عن (تاريخ الكنيسة) جاء ذكر يوم من أيام القرن الرابع ظل ذكره باقياً في الأذهان حتى وقت كتابة ذلك المؤلف الذي جاء فيه : « أن العرب قالت فيه الأشعار »^(٤٢) ، أي أنها قالت أشعاراً في ذلك اليوم أو المعركة . وهي بلا شك أشعار قديمة سابقة على عصر نهضة الشعر الجاهلي ، وقد تعود إلى الفترة نفسها التي اجتاحت فيها جيش أعراب حضرموت اليماني بقيادة بني ملشان، اليزنيين أرض نزار وبلغت أطراف أرض غسان على الأقل (نقش عبدان الكبير) . فهل سككت الشعراء عن ذلك اليوم من أيام اليمن ونزار ؟

(٤٢) انظر : نينا فكتورثنا ييغوليفسكانا ، « العرب على حدود بيزنطة وإيران » من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ١٩٨٥ ، ص ٢٤ ، عن المؤلف سوزومينوس ، وص ٥٤ - ٥٥ عن المعركة والإشارة إلى أشعار العرب .

الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|-----------------------------------|--------|
| المقدمة | ٩ |
| ١ - الحارث الرائش | |
| ونسبه المختلف فيه | ١٣ |
| ٢ - الرحبة وصنعاء | |
| في استراتيجية الدولة السبئية | ٥١ |
| ٣ - الأقيال والأذواء | |
| ونظام الحكم في الين القديم | ٧٤ |
| ٤ - عودة إلى نقوش العقلة | ٩٥ |
| ٥ - مجلف سبأ وحمير وحضرموت | |
| أو خاتم التبابعة | ١٢٠ |
| ٦ - اليزنيون والجدنيون | |
| من القبيالة إلى الملك | ١٣٧ |
| ٧ - أبرهة تبعاً | |
| تأملات في عهده في ضوء نقشه الكبير | ١٧٨ |
| ٨ - الأنساب اليمانية | |
| عناصرها ومصادرها | ٢١٥ |
| ٩ - الشعر الجاهلي والين | ٢٦٩ |

هذا الكتاب

من هو (الحارث الرائي) الذي أقام نشوان الحميري الدنيا من
أجله ولم تقعد بعد ؟

- متى ولماذا وكيف قامت صنعاء ، ومن هو الذي أمر
باختطاطها ؟

- ماهي العلاقة بين القيل والملك في نظام الحكم في اليمن القديم ؟

- مم يتكون خاتم التبابعة وإلام يرمز ؟

- من هم أسلاف سيف بن ذي يزن ، وكيف وصلوا إلى العرش ؟

- أبرهة المكنى في الشعر بأبي يكسوم ، هل كان تبعاً ؟